بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

المجالس الأدبية في العصرين الأموي والعباسي

"دراسة تأصيلية تأويلية"

"Literary Councils in the Umayyads and Abbasids Era-Interpretive Detailed Study"

إعداد

سعدة حمد محمد ربابعة

إشراف

الأستاذ الدكتور. حسين يوسف خريوش

حقل التخصص- أدب ونقد

١٩-٧-٢٠٠٧م/ رجب ١٤٢٨هـ

المجالس الأدبية في العصرين الأموي والعباسي

"دراسة تأصيلية تأويلية"

إعداد

سعدة حمد محمد ربايعة

بكالوريوس لغة عربية، جامعة آل البيت ٢٠٠٣م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص الأدب في جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

لجنة المناقشة

أ.د حسين يوسف خريوش.............................. رئيساً

أ.د يوسف حسين بكار.............................. عضواً

أ.د ابتسام مرهون الصفار.............................. عضواً

أ.د ميّ أحمد يوسف.............................. عضواً

تاريخ تقديم الأطروحة

رجب ١٤٢٨هـ

١٩-٧-٢٠٠٧م

شكر وتقدير

أشكر أستاذي الدكتور حسين يوسف خريوش لما بذله من جهد في الاشراف على هذه الرسالة؛ إذ كان له أكبر الأثر في توجيهي توجيهاً علمياً دقيقاً فجزاه الله خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر الجزيل من الأستاذة الدكتورة ابتسام الصفّار لمشاركتها بمناقشة هذه الرسالة، وأشكر أساتذتي الأستاذ الدكتور يوسف بكّار، والأستاذة الدكتورة مي يوسف لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة.

"المحتوى"

ثانياً : التدوين التاريخي والمصادر الأدبية

"المُلخص"

رابايعة، سعدة حمد . **المجالس الأدبية في العصرين الأموي والعباسي "دراسة تأصيلية تأويلية** ".رسالة ماجستير بجامعة اليرموك ،٢٠٠٧م/١٤٢٨هـ(المشرف أ.د حسين خريوش)

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم صورة واضحة للدور الذي أدّته المجالس الأدبية، في عصرين من عصور التاريخ (الأموي والعباسي)، من خلال دراستها دراسة تأصيلية تأويلية، تساعدنا على الخروج من الفهم القاصر والجامد للنصوص الأدبية، واستشراف أبعادها المختلفة وبيان مدى الصلات السياسية والفكرية والتاريخية، بالنصوص المجلسية، التي وضّحت مدى انغراس الأدب في صميم الواقع .

ولما كان النص المجلسي نصاً يقوم على أساس معرفي، فقد عملتُ في هذه الدراسة ، إلى قراءة تأويلية – تأصيلية، تربط الأحداث بالأدب؛ وتجعل الأدب في صميم الأحداث، فالدراسة التأصيلية توضّح الوظيفة الجمالية والبنائية للنصوص، ثم تربطها بالدراسة التأويلية التي تؤسس ثقافة حوارية تعمق فهمنا للأحداث.

الكلمات المفتاحية : (**المجالس الأدبية ،التأصيل ،التأويل ،أدب أموي ،أدب عباسي**).

المقدمة :

إنّ البحث في التراث الأدبي، يفتح آفاقاً جديدة للتفكير في الذات العربية في مختلف بُناها الذهنية والفكرية، وتمثّل "المجالس الأدبية "مصدراً مهماً من مصادر الثقافة العربية والاسلامية، التي كانت سبيلاً للتواصل الثقافي في جميع الأمم، كما مثّلت المدرسة العلمية الأولى في مختلف العصور .

وتهدف هذه الدراسة إلى قراءة النصوص المجلسية التي اتّسمت بشمولية المعرفة، قراءة تأويلية، لا تكتفي بظاهرالنص؛ إنما تحاول استجلاء الأبعاد الغائرة في ثناياه، وإيجاد الوشائج التي تربط الأدب بالفكر، والسياسة، والتاريخ، في منظومة فكرية واحدة.

ولم يكن اختيار المجالس الأدبية لدراستها دراسة تأويلية، اختياراً اعتباطياً؛ إنّما وجدنا في نصوص المجالس مادة ثريّة حريّة بالدراسة والبحث، فقد كانت وسيلة ناجحة سخّرها الخلفاء بقوة لتوطيد نفوذهم، وجعلها أصحاب الملل والفرق الدينية والسياسية، وسيلة لابلاغ أفكارهم ونشرها، فصرّحوا حيناً، وألمحوا أحياناً كثيرة.

وأكثر ما يواجه الباحث في موضوع المجالس، تشابك مضامينها بحيث تشمل المعرفة بأكملها، ووجود مجموعة من العلاقات المتشابكة والمتداخلة في بنية النص الواحد، بحيث ارتبط البعد السياسي والفكري والتاريخي بالأدب، وبالنص المجلسي بالتحديد. كما تداخلت المجالس الأدبية بالتعليمية، والفكرية، والتربوية، واللغوية، والدينية، حيث شكّل المجلس الواحد منظومة فكرية متكاملة، يصعب في كثير من الأحيان فصلها بتقسيمات دقيقة، فقد كانت المعرفة بأكملها غاية يسعى إليها الجميع، وهذا ما دفعنا لإدراجها ضمن المجالس الأدبية.

أما سبب طرح الموضوع بهذا الاتّساع الزماني والمكاني، فهو استشراف رؤية كلّيّة

لأدب المجالس، وتكوين فكرة متكاملة عنها، حيث اشتركت في كثير من الظواهر، ولم تختلف إلا بما فرضته البيئة وطبيعة الحُكم، فللمجالس سمات جامعة سائدة على مدار الفترات التاريخية المختلفة، أو حتّى البيئات المختلفة، لذلك كان اتّساع الرقعة الزمانية والمكانية لا يضير البحث بقدر ما يفيده، حتى يمكن احتواء جوانب الدّراسة؛ لذلك يبدو التحرك البيئي بمدلوليه الزماني والمكاني رهناً برصد ملامح التشابه، أو استكشاف مناطق التباعد، والتي أثّرت فيها طبيعة الحُكم، وخضعت في كثير من الأحيان لهوى الخليفة ومحابّه.

اشكالية الدراسة: محاولة تأويل نصوص المجالس تأويلاً يربط بين مصادر المعرفة، ويحقق التكاملية والشمول لعلوم التراث كافة، بحيث ينغرس الأدب في صميم الفكر.

تحتوي هذه الدراسة على بابين وستة فصول، **الباب الأول** " دراسة تأصيلية للمجالس" تتبعت فيها التأصيل الاصطلاحي، وما رافق مصطلح " مجلس" من مصطلحات مقاربة، تساعد على توسيع الوظيفة المجلسية في حقب التاريخ. وهذه المصطلحات هي: النادي، والمقام، ومجالس السمر، والمنادمة، والأمالي؛ وقد استوعب المجلس هذه المصطلحات بشكل عام، وكان لكل منها خصوصية يمتاز بها.

وفي الفصل الثاني عرضت فيه للتأصيل البنائي للمجالس، ومعرفة جمالياتها وأشراطها، وهيئة الجلساء وآدابهم، وأماكن المجالس وزمانها، وأسباب عقدها، وما طرأ على المجالس من عادات لم تُعرف من قبل، وخاصة في مجالس الخلفاء، كترتيب الجلساء في مراتب مرسومة، أو الاحتجاب عن الجلساء بستارة، ووضع علامة لانتهاء المجلس، ووضع شروط خاصة لجلساء الخليفة. أما الفصل الثالث فكان عرضاً لبعض الأنماط الأدبية المتولدة عن المجالس، ومنها أنماط تعليمية، كالإملاء، والمذاكرة، والسّماع، والإنشاد، والقراءة، والعرض، والإجازة، والألغاز والأحاجي. وأنماط سردية قصصية، كالقصّ، والمواعظ

والحكم، ومجالس النقائض، ومجالس المناظرات . وما أفرزه الأدب في عصوره المختلفة من مجالس تخيّلها الأدباء، لغايات مختلفة تثبت أهمية الدور الذي أدّته المجالس في الأدب، كمجالس ابن شُهيد مع الشعراء في "التوابع والزوابع"، ومجالس المعري الأدبية في "رسالة الغفران". وعرضت جانباً مهماً من المجالس وهو "مجالس النّساء"، والدور الذي لعبته المرأة فيها، منشدة كانت، أو مستمعة، أو متذوقة وناقدة للشعر، وكان للجواري دوراً ملحوظاً في هذه المجالس. وهذه الأنماط الأدبية ما كان لها أن تنضج بعيدة عن المجالس وعن عنصر الجمهور الذي تتحقق غايتها به، والحوار الفاعل.

أما الباب الثاني" **الدراسة التأويلية**"، أو"**التفسيرية/النقدية**" فقد كان محاولة لاستجلاء الأبعاد الفكرية المختلفة للمجالس، وتناولت بالدراسة " الأبعاد السياسية" والتي جلت لنا عن حقائق مهمة في علاقة السياسة بالأدب، وعن مدى اهتمام الخلفاء بالجلساء، حيث كان الجليس ركناً من أركان الدولة، وقلّده بعض الخلفاء وظائف مهمة فيها، وعُرِف الخلفاء بسياسة الجذب المادي، اضافة إلى سياسة تقريب الخصوم ومجالستهم، وتقريب الشعراء. كما ارتبطت البنية المعرفية في مجالس الخلفاء بسياسة الحكم، فقد كان لميول الخليفة وهواه أثر على مجالس العامة، وكانت هذه المجالس تدويناً دقيقاً لحالة العصر الاجتماعية والسياسية؛ فالقصر كان يعكس صورة العصر. وهذا ما قادنا إلى جدلية السياسة بالثقافة والأدب، من حيث تسييس الأدب، وظهور النّزعة الذاتية في ضوء السلطة السياسية، وما ترتب عليها من مساوئ، وتأثير مجالس الخلفاء على الرواية الأدبية. وعرضت في الفصل الثاني" الأبعاد الفكرية"، وكيف سخّر أصحاب الإتّجاهات الفكرية، الأدب مطية لنشر أفكارهم وبثّها بين الناس، ومنها الفكر المعتزلي، والذي عُرف بمجالس المناظرة، والتي احتاجت إلى الجدل لإقناع الخصوم، وهذا ما دعى رجال المعتزلة إلى دراسة البلاغة والبيان، حتى عُرف كثير من رجالها

بالفصاحة والبيان، وأخيراً عملت على توطيد علاقتها بالسلطة السياسية لنشر مبادئها. والفكر الشيعي، الذي عرف بمجالسه الأدبية، وإنشاد الأشعار فيها، لنشر الدعوة الشيعية، وقد وجدت تلاقحاً فكرياً بين المعتزلة والشيعة، حتى عُرِف بعض رجال الشيعة بأنهم أصحاب فكر معتزلي، فلجأوا إلى التأويل العقلي في مجالسهم.

وجاء الفصل الثاني من الباب الثاني في " تأويل الأبعاد التاريخية"، وبيان الصلات القوية بين الأدب والتاريخ، واعتبار المجالس الأدبية هي المرحلة الحاسمة بين المرحلة الشفاهية والمرحلة الكتابية، ودور المجالس الأدبية في حركة التدوين والنشاط التأليفي، كما عرضت لبعض المصادر الأدبية كالشعر، والقصص، والأنساب، في المدونات التاريخية، من خلال المجالس الأدبية، وأخيراً عرضت لأثر السلطة السياسية في الرواية التاريخية، ودورها في عملية تسييس الثقافة والأدب والتاريخ.

وأخيراً عرضت أهم ما توصّل إليه البحث من نتائج وتوصيات.

هذا وأسأل الله أن أكون قد وفّقت في هذه الدراسة. والحمد لله أولاً وآخراً.

التمهيد:

وحدة المنظومة الفكرية

تميّزت المجالس الأدبية بوحدة المنظومة الفكرية، والتنوّع في الفكر، الذي يعود لطبيعة الثقافة الحوارية التي كانت تحتّم على العالم أن يأخذ من كل علم وفنّ بطرف، " والنص الأدبي نصّ محاور مهما اختلف جنسه وتعددت أنماطه"(١)، وهذه الطبيعة الحوارية التي ترعرعت وازدهرت في الفضاء المجلسي، أكسبت الحديث نوعاً من الاستطراد الفاعل، والذي ساعد على نمو الفكر العربي، واستدعى التفكير بطريقة متنوعة، لا سيّما أنّ الحوار انفتح على الآخر، من أعاجم وأصحاب ديانات أخرى، وهذا أدّى إلى " نشوء طائفة من العلماء والأدباء الذين نوّعوا معارفهم تنويعاً واسعاً، إذ كانوا مثقفي عصرهم، الذين يستطيعون التحدّث حديثاً شائقاً في كل صور المعرفة والثقافة، وكانت لهم حلقاتهم، التي يسوقون فيها من الجدال والحوار في أي شيء يعنّ لهم. وظهور هذه الطائفة وما حظيت به في المجتمع، هو الذي جعل الجاحظ وغيره يحوّلون كتبهم الأدبية إلى دوائر معارف واسعة "(٢)، وهذا ما يفسّر الطبيعة المنهجية غير المنظمة لهذه الموسوعات، التي احتوت على ألوان المعرفة المختلفة، وهذا لا يُستدعى إلا من خلال محاورة جمع لهم آراء وأهواء مختلفة، لذلك لم يخل علم من العلوم من تداخل علوم أخرى به، "وهذا التداخل من طبيعة الفكر الاسلامي، الذي يتسم البحث فيه بالشمول، ثم إن الصلة بين جوانب الفكر الاسلامي لا يمكن أن تقطع بتقسيمات حادة، لأن مصدر النظر الأساسي فيها واحد وهو القرآن الكريم، فالتداخل من طبيعة تلك الموضوعات"(٣)

---

(١) مويفن، المصطفى، "**بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة**"، ط١ (سورية: دار الحوار، ٢٠٠٥م). ص٩.

(٢) جراد، خلف محمد، " **التفاعل الثقافي والحضاري في العصر العباسي** " مجلة التراث العربي – دمشق، ع٢

(٣) الحسناوي، رحيم جبر أحمد. **المناظرات اللغوية والأدبية**، ط١(عمان:دار أسامة،١٩٩٩م). ص١٩

ومن قبيل تحصيل الحاصل أن نقول إن علوم النقد والبلاغة، لم تنعزل لحظة واحدة عن العلوم الدينية، من كلام وفقه وتفسير، فهناك علاقات عضوية تنظم المجالات المعرفية للتراث.[1]

- اللغة والقرآن الكريم

أسهمت الدراسات القرآنية في وحدة المنظومة الفكرية للتراث الاسلامي، فقد كانت العلوم تخدم القرآن الكريم، فقام العلماء ليفسّروا آياته، ممّا جعل كثيراً من الحلقات العلمية تتحول إلى حلقات في التفسير، ومن ثم إلى اللغة، وكان القرآن الكريم الشاهد الأول على القضايا النحوية، ومجالس ثعلب (ت ٢٩١هـ) ومجالس الزجاجي (ت ٣٤٠هـ)، تمثّل هذا النوع من المعرفة القرآنية الممتزجة بعلم اللغة والنحو والصرف، وكثيراً ما كانت تعقد المجالس في تفسير آية، ومنها اجتماع سيبويه (ت١٧٠ هـ) مع الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ تقريباً) في قوله تعالى: (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كلِّ شِيعَةٍ أَيُّهم أَشَدّ عَلَى الرَّحمَنِ عِتِيّاً) فقال الخليل: هنا على الحكاية، كأنّه قال ثمّ لننزعنّ من كل شيعة الذين يُقال: أيّهم هو أشد عتيّاً، فقال سيبويه: هذا غلط، وألزمه أن يُجيز لأضربنّ الفاسق الخبيث بالرفع، على تقدير لأضربنّ الذي يقال له هو الفاسق الخبيث بالرفع، وهذا لا يُجيزه أحد، وقال يونس بن حبيب رأياً آخر، وقال الفرّاء آراء أخرى أيضاً[2]، ووردت ستة آراء للعلماء في هذه الآية ما كانت لتقال لولا هذا الاجتماع الحواريّ، الذي يدل على حرية التفكير، فالطالب (سيبويه) لا يتحرّج من قول رأيه ويخطىء شيخه (الخليل)، وخروج تسعة آراء في آية، من مجلس واحد، دليل واضح على اتّساع الفكر العربي ومرونته في نطاق قواعده.

---

(١) أبو زيد، نصر أبو حامد. **اشكاليات القراءة وآليات التأويل**، ط٢(بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م). ص٥

(٢) الزجّاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق(ت٣٤٠هـ). **مجالس العلماء** ، تحقيق: عبدالسلام هارون(الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء،١٩٦٢م). ص٣٠١-٣٠٢

وكانت الآيات القرآنية تتداول في المجالس الأدبيــة تفـسيراً، وإعرابـاً، وقــراءات. "والقراءات القرآنية كانت سبباً في قيام المناظرات اللغوية، فالقراءة تختلف أحياناً من قــارئ للقرآن وآخر، ويترتب عليه خلاف نحوي أو صرفي أو في الأصــوات اللغويــة "[1]، وفــي مجالس العلماء نماذج لهذه المناظرات[2]، وفي مجلس من مجالس معاوية قرئت هذه الآية (وجدها تغرب في عين حامية) فقال ابن عباس: ما تُقرأ إلا " حَمِئَة "، فتـذاكر الجالـسون قراءتها وأرسلوا إلى كعب الأحبار، واستشهدوا بالـشعر وتفـسيره، للتحقــق مــن القــراءة الصحيحة[3].

ـ اللغة والحديث النبوي والفقه.

كان الحديث النّبوي الشريف يتداول في المجالس العلمية على اختلافها، كيف لا وهــو موسوعة للمعارف والعلوم، فقد فهم الصحابة حديث النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وفــي عصور لاحقة اهتم العلماء بتفسيره، وكان الشعر ديوان العرب، واللغة هي السبيل لفهم القرآن الكريم والحديث والفقه أيضاً.

ومن أمثلة هذه المجالس:" مجلس فيه سفيان بن عُيينه والشافعي، قرأ فيه ابــن عيينــه حديث النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ((أقرّوا الطير في مكناتها)) فطلب مــن الـشافعي تفسيره، فقال الشافعي: إن علم العرب كان في زجر الطير والخط والاعتياف، كان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمراً نظر أول طير يراه، فإن سنح عن يساره فاجتاز في يمينه، قال: هذا طير الأيامن فمضى في حاجته ورأى أنه يستنجحها، وإن سنح عن يمينه واجتاز عن يساره،

---

(١) الحسناوي: المناظرات اللغوية، ص١١٥

(٢) الزجاجي: مجالس العلماء، ص ١٨٨، ٢٦٨، ٢٤٧، ٣٢٣.

(٣) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي(ت٤٦٣هـ). **الجــامع لأخــلاق الــرّاوي وآداب الــسّامع**، تحقيــق: محمــود الطحان(الرياض: مكتبة المعارف،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ١٩٧/٢-١٩٨

قال: هذا طير الأشائم فرجع، وقال: هذه حالة مشئومة، فيشبه قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ، أقرّوا الطير مكناتها، أي لا تهيّجوها، فإن تهييجها وما تعملون به مــن الطيــرة لا يصنع شيئاً، وإنّما يصنع فيما توجّهون فيه ، قضاء الله عز وجل[1]. فسّر الشافعي الحــديث وفق ما تعرفه العرب من عقائد، ولا يخفى لما لهذا التفسير من ثراء على الـصعيد اللغــوي والاجتماعي، في معرفة تقاليد العرب. كما كانت المجالس التي يثار فيها تفسير ألفــاظ مــن الحديث الشريف، سبباً في التأليف؛ فقد ألّف ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ) موسـوعته معجـم البلدان، في أعقاب مجلس أدبي تباحث الحاضرون فيه لفظة "حباشة"، الواردة فــي الحــديث الشريف، فنطقها ياقوت" حُباشة" بالضم، فصحّح له أحد الحضور اللفظة" حَباشة" بالفتح، وبعد هذا المجلس رأى ياقوت ضرورة تأليف كتاب في أسماء المواضع. [2]

وقد اهتم العلماء بعلم العربية حتى فضّلوه على ما سواه " فعن سالم بن قتيبة قال: كنت عند أبي هبيرة الأكبر، فجرى الحديث حتى جرى ذكر العربية، فقال: والله ما استوى رجلان دينهما واحد، وحسبهما واحد، ومروءتهما واحدة، أحدهما يلحن، والآخر لا يلحن، إن أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن، قلت: أصلح الله الأمير، هذا أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعربيته، أرأيت الآخرة، ما باله فضل فيها؟ قال: إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزلــه الله، وإن الذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه، ويخرج منه ما هو فيه، قال: قلت: صدق الأمير وبر"[3]. كما كانت الأحاديث المتنوعة والشعر من موضــوعات مجــالس الحديث، " فقد كان رجل يجالس أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويذاكرهم فإذا

---

(١) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي (ت٦٢٦هـ). **معجم الأدباء** ، تحقيق:احسان عباس، ط١(بيروت:دار الغرب الإسلامي،١٩٩٣م). ٢٤٠٣/٦

(٢) انظر:الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي (ت٦٢٦هـ). **معجم البلدان** (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م). المقدمة ١٠/١

(٣) الخطيب البغدادي: الجامع ٢٥/٢

كثر وثقل عليه الحديث، قال: إن الأذن مجّاجة وإن للقلب حِمضة ألا فهاتوا من أشعاركم وأحاديثكم"[1].

وكانوا يعدّون الفقيه لا شيء بدون فقه بالعربية، وهذا ما يجعلنا نقول إن كل فقيه نحوي، وليس كل نحوي فقيهاً، والأمر ينطبق على المفسّر والمحدّث؛ إذ لا تكتمل هذه العلوم إلا بالعربية، وكانوا يفضّلون النحو على الفقه، " فكان الفرّاء يوماً عند محمد بن الحسن، فتذاكروا الفقه والنحو، ففضّل الفرّاء النحو على الفقه، وفضّل محمد بن الحسن الفقه على النّحو، حتى قال الفرّاء، قلّ رجل أنعم النظر في العربية وأراد علماً غيره إلا سهل عليه، فقال محمد: يا أبا زكريا، قد أنعمت النّظر في العربية وأسألك عن باب في الفقه، فقال: هات على بركة الله، فقال له: ما تقول في رجل صلّى فسها في صلاته، وسجد سجدتي السهو فسها فيهما؟ فتفكّر الفراء، ثم قال: لا شيء عليه، لأن التصغير عندنا ليس له تصغير، وإنما سجدة السهو تمام الصلاة وليس للتمام تمام، فقال محمد: ما ظننت أن آدمياً يولد مثلك "[2].

وكان الفقهاء يتذاكرون الأشعار[3]، ويتناشدونها، ويحثّون على ترطيب المجلس بها، وبالحكايات والقصص، وكانوا يسمّون الحكايات " أبراز الجنة "[4].

---

(١) الخطيب البغدادي: الجامع ١٢٩/٢ (وفي رواية أخرى عن الزهري قال: هاتوا من أشعاركم، هاتوا من حديثكم، فإن الأذن مجة، والقلب حمض) ١٣٠/٢ ، الحمضة: الشهوة إلى الشيء.

(٢) الحموي: معجم الأدباء ١٧/١، وفي مجالس الزجاجي للقائل أبو عمر الجرمي بلفظ (المرخّم لا يرخّم) ص٢٥٢ (وفي نشوار التنوخي النص بين الفرّاء وبشر المريسي ٢٠٥/٦). وفي مجالس الرشيد لقاءات بين الكسائي والقاضي أبي يوسف وفيها يذم القاضي النحو ويسأله الكسائي مسائل في الفقه، لا يستطيع الإجابة عليها إجابة صحيحة، فيجيبها الكسائي من العربية، وهذا ما جعل القاضي ينظر في النحو والعربية.

(٣) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين(ت٣٥٦هـ). **الأغاني**، مراجعة: عبدالله العلايلي وآخرون، ط٢(بيروت: دار الثقافة، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م). ٨٤/١ (مجالس فقهاء يتذاكر فيه شعر عمرو بن أبي ربيعة).

(٤) الخطيب البغدادي: الجامع ١٣١/٢

وللقضاة والفقهاء مجالسات تبدأ بقضايا فقهية وتنتهي بالشعر وأخبار العشّاق[١].

ومن أسباب هذا التنوع المعرفي لدى علماء العرب، إضافة إلى الرغبة في العلم، وجود المجالس المتنوعة كمحفّز ودافع قوي للإحاطة بكل العلوم.

والحوار البناء هو ما دفع كثيراً من العلماء المختصين إلى اقتحام علوم جديدة، فهذا أبو عمرو بن العلاء يقول: " ما ناظرني أحدٌ قطّ إلا غلبته وقطعته إلا ابن أبي إسحاق، فإنّه ناظرني في مجلس بلال بن أبي بردة في الهمز فقطعني، فجعلت إقبالي على الهمز حتى ما كنت دونه "[٢]. وهذا نوع من أنواع المنافسة البنّاءة، وهذه المنافسة البنّاءة دفعت سيبويه لتعلم العربية، فقد كان يجالس حمّاد بن سلمة ويستمليه، وكان حمّاد فصيحاً، فاستملاه يوماً قول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: " ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء" فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، فصاح به حمّاد: ألحنت يا سيبويه ليس هذا حيث ذهبت، إنما هو استثناء، فقال سيبويه: لا جرم والله، لأطلبنّ علماً لا تلحنني معه، ومضى ولزم مجلس الأخفش مع يعقوب الحضرمي والخليل وسائر النحويين[٣].

ولهذه المسألة أبعادٌ عدة، فهي بالإضافة إلى التحفيز لتعلّم العربية، فيها إثبات أن العربية أمّ العلوم، وأيضاً في هذه المجالس صورة للحريّة الفكرية، وحوار التلميذ مع أستاذه بالمسائل العلمية، والتحفيز القوي الذي دفع هؤلاء للمزيد من العلم، هو المجالس العلمية الحوارية التي أسهمت في بناء العقلية العربية الفريدة، ولو عرفنا أن سبب تعلّم الكسائي النحو هو خطؤه في

---

(١) الحموي: معجم الأدباء ٦/٢٥٢٨-٢٥٢٩. التنوخي، القاضي أبو علي المحسّن بن علي(ت٣٨٤هـ). **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق: عبود الشالجي(بيروت: دار صادر،١٣٩٣هـ/١٩٩٤م). ٨/١٨٦-١٨٨

(٢) الزجاجي: مجالس العلماء ، ص ٢٤٣

(٣) نفسه ، ص ١٥٥

قراءة آية قرآنية، لعلمنا مدى هذا الحافز الفاعل في ذهابه إلى البادية وأخذه عن الأعراب حتى أتقن العربية والنحو[1].

ومن المحفزات العلمية أيضاً، الخلفاء الذين كانوا يطلبون جليساً موسوعي المعرفة، مما جعل كثيراً من العلماء والأدباء ينظرون في المزيد من العلوم والأدب، فالمأمون (ت ٢١٨هـ) كان على درجة راقية من العلم والثقافة، وكان يختار جلساءه بنفسه، ويختبرهم أحياناً وهذا يستدعي من جليسه الحذر في دقة القول من جهة، وموسوعية العلم من جهة أخرى، وفي أحد مجالسه مع النّضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ) الذي كان أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب، ورواية الحديث وفقه اللغة[2]، يتنوع الحديث حتى يشمل أخبار النساء، وأحاديث للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتصحيحه من التصحيف، والاستدلال باللغة والشعر على الرواية الصحيحة، ثم إلى فرع من فروع النقد المتمثّل في : أطرب بيت قالته العرب، وأنصف بيت وأقنع بيت[3].

وكذلك عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ) الذي كان ينوّع في مجالسه، حتى سأل جلساءه يوماً أن يأتوا بكلمات من جسم الإنسان بحروف المعجم[4]. ويتفنن الجلساء، ويأتي أحدهم بعضوين على كل حرف، ويأتي أحدهم بثلاثة أعضاء على كل حرف من حروف المعجم، وهذا دليل المنافسة التي يذكيها الخليفة كدافع قوي لتنشيط ذهن جلسائه.

أما التوحيدي (ت ٤٠٠ تقريباً) ففي مجالسه أوضح النماذج على التنوع المعرفي

---

(١) نفسه ، ص ٢٦٦

(٢) ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس احمد بن إبراهيم (ت ٦٨١ هـ). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (مصر: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م). ١٦١/٢

(٣) الحموي: معجم الأدباء ٢٧٥٨/٦-٢٧٥٩

(٤) **الأبشيهي**، شهاب الدين محمد بن أحمد(ت٨٥٠هـ).**المستطرف في كل فن مستظرف**. تحقيق: المكتب العلمي للبحوث(بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت) ٧٩/١

للمجالس، فقد كان " يسجّل في كتبه حُريّة التفكير والتعبير، ويدل على نشاط ذهني فلسفي عجيب، وهذه المجالس يشترك فيها المسلم والنصراني واليهودي والمجوسي ، واللغوي، والنحوي، والفقيه، والمتكلم، كلٌ ينهل من هذه الموارد كيف ومتى شاء دون قيود أو حدود . والتوحيدي وضع كتبه في شكل أسئلة تُلقى عليه ممّن يسامرهم، فيحاول هو أن يجيب عنها، والأسئلة تخضع لمزاج السائل ورغباته وميوله، واستعداداته.(١)

وتمثّل المقامة الحُصَيبية هذا التنوع المعرفي، في مفاضلتها بين العلوم، وبيان حاجة العالِم لمجموعة من العلوم(٢). وهذه المنظومة الفكرية المتنوعة، تدفعنا إلى تناولها بالدراسة، وتأويلها بعد تأصيلها في التراث العربي.

---

(١) بهي، عصام " الكلام على الكلام" ، (فصول ١٩٩٥م مج ١٤ / ع٣ ، ص١٨٣)، وانظر: التوحيدي، أبو حيّان علي بن محمد(ت٤٠٠هـ تقريباً). **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق: محمد حسن اسماعيل، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م) ص ٢٧

(٢) ابن الزبير، القاضي الرشيد أحمد بن الزبير(ت٥٦٣هـ). **المقامة الحُصَيبية في المفاضلة بين الفنون وأربابها**، تحقيق: ابتسام مرهون الصفار وبدري محمد فهد، ط١(بريطانيا: سلسلة اصدارات مجلة الحكمة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م). وفيها في فضل النحو، والفصاحة، وحاجة الفقهاء لعلم النحو، وعلم الشعر وفضله، وعلم البديع، وعلم العروض، وصناعة النثر وفضله، والعلوم الدينية والشرعية، وعلم الحساب، والهندسة،...

الباب الأول

الدراسة التأصيلية

تساعدنا هذه الدراسة على فهم البنى المعرفية للمجالس الأدبية، لفهم الفصول وبيان العلاقات التي تنظمها جميعاً. ومعرفة أصول أي علم من العلوم يساعد على استكناه الأبعاد الفكرية والسياسية والاجتماعية وغيرها، وبيان الدور المهم الذي أدّته هذه المجالس في حقب التاريخ المختلفة.

الفصل الأول:" في التأصيل الاصطلاحي"

البحث في أصول أيّ علم من العلوم ؛ـ من خلال مصطلحه ـ يبيّن مدى تطوّره واتّساع رقعة معارفه؛ لذلك كانت" معرفة المصطلح مفتاحاً من أهم مفاتيح العلم، أيّ علم"[1] .

فهناك مصطلح يدل على شيء بعينه ، وثمة مصطلحات تدل على أشياء بأعيانها. ومردّ ذلك ومرجعه إلى تداخل فروع العلم والمعرفة، وتعدُّد واضعي المصطلح واختلاف ثقافتهم[2]. وفي هذه الدراسة تتجلّى لنا أهمية دراسة المصطلح، لتقارب مجموعة من المصطلحات مع مصطلح الدراسة، وبيان الفروق بينها، والتي يربطها جميعاً مصطلح" المجلس"، فمصطلح "مجلس" فضاء واسع تنطلق منه مجموعة من المصطلحات المتباينة.

إنّ ضبط بعض المفاهيم والمصطلحات من شأنها أن تدقق للقارئ كيفية فهم البحث، وتعينه على فهم الأبواب الأخرى، وتأويل الأبعاد المعرفية لهذه المصطلحات، والتفريق بينها، وسنرى من خلال تتبع المصطلحات المختلفة للمجلس، مدى تداخلها عند كثير من الكتّاب.

---

(١) ويس، أحمد محمد." **الإنزياح وتعدد المصطلح**".(عالم الفكر، مج٢٥، ع٣، ١٩٩٧م) ص٥٧ــ٧٨

(٢) نفسه ص٥٨.

ودراسة هذه المصطلحات تساعد على معرفة أصولها المعرفية في الحضارة الإسلامية .

أولاً: مصطلح الدراسة "المجلس"

توافَقَ أهل اللُّغة على أبعاد المجلس الدلالية؛ فهي لا تخرج عن: المكان المرتفع[1] وموضع الجلوس نفسه[2] ، والجماعة من الناس [3] ، وهيئاتهم[4]، إلى أن استقلت هذه الدلالة على المكان والناس والهيئة جميعاً.[5]

يقول ابن منظور (ت٧١١هـ) المجلس : المكان والجماعة من الناس وهيئاتهم، أنشد ثعلب:

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبالِ أَذِلَّةٌ سَواسِيةٌ أَحْرارُها وَعبيدُها

أي جماعة الجلوس، وفي الحديث: وإنَّ مجلس بني عوف ينظرون إليه، أي أهل المجلس، والجلسة الهيئة، والمجلس موضع الجلوس[6].

وفي عصر الرسول – صلى الله عليه وسلم– اختص المجلس بالمكان الذي يجتمع فيه الناس، وفي الحديث "إيّاكم والجلوس في الطرقات، فقالوا: ما لنا بدّ، إنما هي مجالسنا نتحدّث

---

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت١٧٠هـ). **العين**، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). ١/ ٢٥٣.

(٢) الجوهري، ابو نصر اسماعيل بن حمّاد(ت٣٩٣هـ). **الصّحاح"تاج اللغة وصحاح العربيّة"** تحقيق: أحمد عبدالغفور عطّار ، ط٣(بيروت: دار العلم للملايين،١٤٠٤هـ/١٩٨٤م). ٣ /٩١٤.

(٣) ابن فارس، أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ). **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط١(بيروت: دار الجيل،١٤١١هـ/١٩٩١م). ١/ ٤٧٣-٤٧٤.

(٤) القالي، أبو اسماعيل بن القاسم(ت٣٦٥هـ). **الأمالي في لغة العرب**(بيروت: دار الكتب العلمية،١٣٩٨هـ/١٩٧٨م). ١/ ٩٥.

(٥) الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ). **أساس البلاغة**(بيروت: دار صادر،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م). ص٩٧. ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل(ت٤٥٨هـ). **المُحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط١(لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ٧/ ٢٧٠ـ ٢٧١

(٦) ابن منظور، محمد بن المكرم بن علي جمال الدين(ت٧١١هـ). **لسان العرب**(بيروت: دار صادر،١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) ٦/ ٣٩ـ ٤٢ ، الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ). **القاموس المحيط**، تحقيق: يوسف البقاعي(بيروت: دار الفكر،١٤١٥هـ/١٩٩٥م). ص ٤٨٢.

فيها، قال: فإذا أتيتم إلى المجالس فأعطوا الطريق حقّه، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهيٌ عن المنكر"[1]

وقد تحدّدت دلالة المجلس في هذا الحديث بأنّه مكان تتداول فيه الأحاديث، وأعطاه الرّسول ــ عليه السلام ــ خاصيّته.

وفي المعاجم الحديثة فإنّ هذه الدلالة لا تكاد تغادر مكان الجلوس ، وجماعة الناس تخصص للنظر فيما يناط بها من أعمال.[2]

والمجلس "اصطلاحاً": هو الفضاء المكاني الذي يجتمع فيه جماعة من الناس، اثنان أو أكثر للتباحث في قضايا أدبية أو علمية أو دينية أو سياسية، ويعقد ليلاً ونهاراً ويسمّى الاجتماع ليلاً "سمراً"، والاجتماع نهاراً "ندوة"، وقد يكون عاماً، أو خاصاً، أو يكون سرّاً أوعلناً؛ أويأخذ طابع الحقيقة أو الخيال.

ثانياً:

أوردت كتب التراث مجموعة من المصطلحات المتقاربة مع مصطلح المجلس، وهذه المصطلحات هي في حقيقتها مجالس، ولكن بينها فروقاً دقيقة، يساعد فهمها على صحة التأويل ودقّته.

أ: النّادي

اختلط مصطلح النّادي ومصطلح المجلس، حتى عدّا مصطلحاً واحداً. وللتفريق بينهما نتناول المعنى اللغوي للنّادي.

---

(١) البخاري، محمد بن اسماعيل(ت٢٥٦هـ). **صحيح البخاري**(مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي،١٣٧٢هـ/١٩٥٣م) كتاب المظالم/باب أفنية الدور والجلوس فيها ٢/٤٧

(٢) أنيس، ابراهيم، وأخرون. **المعجم الوسيط**، ط٢(بيروت: دار الأمواج،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)١/١٣٠

"النون والدال والحرف المعتل (ندى) تدل على التجمّع، والنّدي المجلس ينـدو القـوم حواليه، وإذا تفرّقوا فليس بندٍ، ومنه دار النّدوة بمكة، لأنّهم كانوا يندون فيها، أي يجتمعـون وناديته أي جالسته في النّدي"[1] وناديتهم جالستهم[2]

وقد ورد ذكر النّادي في عدة مواضع من القرآن الكريم، قال تعالى:" وإِذَا تُتْلَى عَلَـيْهِم ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَيُّ الفَرِيقَيْنِ خَيرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا" [مريم:٧٣]

وقوله: "وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ المُنكَر" [العنكبوت:٢٩]

وقوله: "فَلْيَدعُ نَادِيَه"[العلق:١٧]

والنّادي في هذه الآيات بمعنى المجلس، ومن النّدي قول حاتمٍ [3]:

وَدُعيتُ في أُولى النَّدي ولَمْ   يُنظَر إليَّ بأعينٍ خُزْرِ[4]

ونواديكم مجالسكم[5] وناديه: أي أهل مجلسه وأنصاره من عشيرته.[6]

وأحسنُ نديا: النديّ، المجلس والنِّعمة والبهجة التي كانوا فيها، والعرب تُسمّي المجلـس النّادي.[7]

فالنّادي في هذه الآيات احتمل معنى المجلس[المكان ــ القوم] إضافة إلى معان معنوية وهي البهجة والنعمة.

ولم يفرّق أهل اللُّغة بين المجلس والنّادي إلاّ من حيث الاجتمـاع فيـه، فـإذا تحقـق

---

(١) ابن فارس: مقاييس اللغة ٤١٢/٥- الجوهري: الصحاح ٢٥٠٥/٦

(٢) الزمخشري: أساس البلاغة ، ص ٦٢٦

(٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ). **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيـق: صـدقي جميـل العطار(بيروت: دار الفكر،١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ١٤٥/٩

(٤) **ديوان حاتم الطائي**(بيروت: دار صادر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م). ص٥٤

(٥) الطبري: جامع البيان ١٧٨/١١

(٦) نفسه ٣٢٣/١٥

(٧) نفسه ١٤٦/٩

اجتماعهم فهو النّادي، وإذا تفرّقوا عن الموضع فليس بنادٍ، واشترطوا أن يكون مجلس القـــوم نهاراً[1]. والنّادي يقع على المكان وأهله[2].

وهناك من لم يفرّق البتة بين المجلس والنَّادي[3]. وقد جاءت اللفظتان متقـــاربتين فـــي الشعر العربي، وعند الأدباء. ذكر صاحب الأغاني(ت٣٥٦هـ) أنَّ مالك بن نويرة أقبل على راحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوس في نـــاديهم، فـــسلّم علـــيهم وحـــادثهم وضـــاحكهم وأنشدهم[4]. وكان للنّادي شرف كبير عند العرب، فعندما سأل رجل من ولد عامر بن الضرب عمر بن الخطاب عن حاله في جاهليته قال: "ولا رآني راء إلا في ناد"[5]

ويقول زهير في شرف النادي ومكانته:

وَفِيهِمْ مَقامَاتٌ حِسانٌ وجُوهُهُمْ   وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُها القَولُ والفِعْلُ[6]

وكان مجنون ليلى يجلس في نادي قومه وهم يتحدثون، وهو باهت[7]، فقال:

إنّي لأجلسُ في النّادي أُحَدِثهم   فأستفيقُ وقد غالتني الغولُ[8]

أمّا المعاجم الحديثة فلم تزد على ما ورد في المعاجم القديمة، إلاَّ أنها أضافت اتِّفـــاق أهل النَّادي في الصناعة أو الطبقة [9]. وفي الحقيقة لا فرق كبيراً بين النّادي والمجلس، إلاَّ أن لفظة المجلس" أعم وأشمل، فإذا كان شرط النَّادي اجتماع أهله فيه، وإذا تفرّقوا فليس بنادٍ، فإنَّ

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ٣١٦/١٥- الفيروزآبادي: القاموس المحيط ، ص ١٢٠٤

(٢) ابن منظور: لسان العرب ٣١٧/١٥

(٣) الطبري: جامع البيان ١٤٦/٩. الحميري، أبو سـعيد نـشوان (ت٥٧٣هـ). **الحـور العـين**، تحقيـق: كمـال مصطفى(مصر: مطبعة السعادة، ١٩٤٨م) ص ١١٥. زيدان، جرجي. **تاريخ آداب اللغـة العربيـة**(مـصر: دار الهلال،١٩٥٨م) ١٧٣/١

(٤) الأصفهاني: الأغاني ٣١٠/١٥

(٥) الجاحظ، أبو عثمان (ت٢٥٥هـ). **البيان والتبيين**، تحقيق: عبدالسلام هارون(بيروت: دار الجيل، د.ت) ١١/٤

(٦) **ديوان زهير بن أبي سلمى**، تحقيق: حجر عاصي(بيروت: دار الفكر العربي،١٩٩٤م) ص٩٢

(٧) التنوخي: **النشوار** ١٠٦/٥

(٨) **ديوان مجنون ليلى**، تحقيق: يوسف فرحات، ط١(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ/١٩٩٢م). ص١٥٤

(٩) أنيس: المعجم الوسيط ٩١٢/١

المجلس كذلك، وإذا كان النّادي شرطه الوقوع نهاراً فإنَّ المجلس يقع ليلاً ونهاراً[١].

ب- "المقام"

هناك من عدَّ المجلس مقاماً، ومنه تطورت لفظة "المقامات". ولتوضيح ذلك نعرض المعنى اللغوي للمصطلح.

في لسان العرب: المقام والمقامة بمعنى الموضع الذي يقيم فيه، والمَقامة بالفتح: المجلس والجماعة من النّاس، وقوله تعالى"لا مقام لكم" أي لا موضع لكم، والمقام والمقامة المجلس، ومقامات الناس مجالسهم، ويقال للجماعة يجتمعون في مجلس مقامة[٢]، ومنه قول لبيد:

ومَقامةٍ غُلب الرّقاب كأنَّهم   جنٌ لدى بابِ الحصير قيام"[٣]

وقد استخدمها الحريري في مقاماته، فقال: "المجالس واحدها مقامة، والحديث يجتمع له الناس لاستماعه يسمى مقامة ومجلساً، لأن المستمعين للمحدّث ما بين قائم وجالس، ولأنَّ المحدث يقوم ببعضه تارة ويجلس ببعضه تارة أخرى، قال الأعلم[٤]: المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحض على فعل الخير"[٥] والحريري بهذا يستعير لفظة مقامة كمصطلح مرادف للمجلس، ويعتبر أن الجلوس يرافق القيام.

---

(١) هناك من يرى تطوّر لفظة "النادي" في العصر العباسي وانفصالها عن" المجالس"، حيث أن النّادي في العصر العباسي استطاع أن يستكمل شخصيته الثقافية شكلاً ومضموناً، مقتصراً ذلك على عَلية القوم من رجال الأدب والشعر والفلسفة وسائر العلوم والفنون، وأن لفظة " مجلس" أصبحت تقتصر على حلقات التدريس، وبذلك سمّيت" مجالس العلماء"، ونحن لا نرى بهذا الرأي؛ إذ ثبت اطلاق لفظ" مجلس" على مجالس الخلفاء في العصر العباسي، كما ثبت في دراستنا. انظر: هاشم، علي محمد. **الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق**، ط١ (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م). ص٥٤ـ٥٥

(٢) ابن منظور: لسان العرب ٤٩٨/١٢، الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٠٣٩

(٣) **ديوان لبيد بن ربيعة**(بيروت: دار صادر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م). ص١٦١

(٤) الأعلم الشنتمري(ت٤٧٦هـ) أحد علماء اللغة العربية بالأندلس، أشتهر بحفظ الشعر واتقانه، ومعرفة معانيه، وكانت إليه الرحلة في زمانه.(ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٥٣/٢).

(٥) الحريري، أبو محمد القاسم بن علي البصري(ت٥١٦هـ) **مقامات الحريري** (بيروت: دار صادر، ١٩٥٨م) ١٤/١

وفي القرآن الكريم وردت لفظة مقامة" في قوله عز وجل:

" أيُّ الفَرِيقَيْنِ خَيرٌ مَّقَاماً " [مريم:٧٣] بمعنى المسكن والنعيم وموضع الإقامة(١) وفي هذه الآية نرى تقارب ثلاث كلمات [المقام-النّادي-المجلس] في قوله " خَيرٌ مَّقاماً" "وَأَحسَنُ نَدِيًّا" والدلالة على معنى المجلس والموضع والنّعمة. إلا أنّ كل لفظة تؤدي دوراً محدداً ودقيقاً في السياق. وقال الخالع(٢): للشعراء حلبة، وليس للبلغاء حلبة ، وإذا تتبعت جوائز الشعراء التي توصلت إليهم من الخلفاء وولاة العهود والأمراء والولاة في: مقاماتهم المؤرخة ، ومجالسهم الفاخرة، وأنديتهم المشهورة..."(٣)

في هذه المقولة جاءت [المقامة، والمجلس، والأندية] بمعنى واحد وهو اجتماع الشعراء في حلبة وهي المجلس، إلا أن تفريقه بينهما جاء لبيان دقة كل كلمة في سياقها ووظيفتها المحددة التي تؤدّيها.

ومن هذا التتبع نرى تطوّر مصطلح "مقامة" من المجلس (الموضع) إلى القوم، إلى الحديث الذي يدور في المجلس كما في المقامات المشهورة(٤)

وهناك من عدّ المقامة "النوع المضاد للمجلسية، فالمجلسية ترسّخت في الجلوس الفعلي في مكان مسمّى أو مألوف أو مُشتهر عادة، والمقامة تدين بوجودها لحس نام بالمفارقة اللاذعة وميل إلى التفكّه، واشتق اسمها من نقيض الجلوس"(٥) .

إلا أن تتبع اللفظة في المعاجم العربية يؤكد على وجودها بمعنى المجلس والموضع،

---

(١) الطبري: جامع البيان ١٤٥/٩

(٢) الخالع، هوالحسين بن محمد بن جعفر الرافقي(ت٤٢٢هـ) أديب له شعر حسن(الأعلام٢/ ٢٥٤)

(٣) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ص٣٠٣

(٤) عوض، يوسف نورالدين. **فن المقامات بين المشرق والمغرب**، (مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ص٢-١٠

(٥) أبو ديب، كمال."**المجلسيات والمقامات والأدب العجائبي**" (مجلة فصول، مج١٤،ع٤، ١٩٩٦م). ص ٢١١

والحريري استعار هذه اللفظة تأكيداً على الدور المهم الذي تؤدّيه المجالس في التعبير عن مناحي الحياة. إلا أن المقامة لها خصوصية، وهي أن المتحدث يكون قائماً، بينما المجالس لها خصوصية الجلوس.

ج- "مجالس السَّمر"

مجالس السَّمر من أنواع المجالس إلاّ أن لها خصوصية زمانية، فالسَّمر هو الحديث بالليل، وَسَمَرَ يَسْمُرُ وسموراً، لم ينم وهو سامر، وقيل السَّامر والسمّار الجماعة الذين يتحدّثون بالليل، والسَّمر حديث الليل خاصة، والسَّمر والسّامر: مجلس السّمار، والسّامر: الموضع الذي يجتمعون للسّمر فيه. وقال الأصمعي: السّمر عندهم الظلمة، والأصل اجتماعهم يسمرون في الظلمة"[1]

فيشترك السّمر مع المجلس في كونه موضع الاجتماع ومكانه، وفي كونه الجماعة من النّاس، ولكنّ السّمر في الليل خاصة، بينما المجلس يعقد في أي وقت ليلاً أو نهاراً. فالسّمر اكتسب خصوصية الزمان (ليلاً) كما اكتسب النّادي خصوصية الزمان (نهاراً)[2]

ويعد السَّمر فناً قائماً بذاته، وهناك من أُطلق عليه "علم المسامرة" وعدّه من فروع المحاضرات، وهو علم يبحث في أحوال يرغب فيها الملوك من القصص والأخبار والمواعظ والعبر والأمثال وغرائب الأقاليم وعجائب البلدان[3].

د- "المنادمة" "النّديم"

يُقابل لفظ النَّديم لفظ الجليس – والمنادمة تقابلها المجالسة، وعلى الرغم من اتفاقهما في

(١) ابن منظور: لسان العرب ٣٧٦/٤-٣٨٠، الفيروز آبادي: القاموس المحيط ٣٦٩

(٢) ابن منظور: لسان العرب ٣١٦/١٥

(٣) طاش كبرى زاده(ت٩٦٨هـ). **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**، تحقيق: علي دحروج، ط١(بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٨م) ص ٧٩٤

أمور عدة، إلا أنّ الاختلاف بينهما كبير، وإن خلطت بعض كتب الأدب بينهما.

فالنّديم هو الشرّيب، ويُقال للنّعمان بن عدي:

فَإِنْ كُنْتَ نَدماني فَبالأكبرِ اسْقِني وَلا تَسْقِني بِالأصْغَرِ لمُتَثَلِّمِ

لَعَـــلَّ أميرَ المُؤْمِنـــينَ يَسُوءه تَنَادُمنَا في الجَوْسَقِ المُتَهَدِّمِ

ويُقال المنادمة مقلوبة من المدامنة، لأنه يُدمن الشراب مع جَليسه، ونادم الرجل منادمةً ونداماً: جالسه على الشَّراب[1].

وقيل: اشتقاق النّديم من النّدم لأنه يندم على فِراقه[2] وفـي تعريـف الرقيـق النـديم (ت٤١٧هـ) للنديم أتبعه بقوله: "لسان الملك كاتبه، ووجهه حاجبه، وجليسه كله"[3] دامجاً بين مصطلحي "النديم" و "الجليس".

وقد كان للنديم أهمية كبيرة في العصر الجاهلي، أورد ابن حبيب (ت ٢٤٥هـــ) فـي "المُحبَّر" باباً في "الندماء من قريش"، وضرورة اتخاذ القُرَشي نديماً ينادمه ويعرف به ويشتهر، فإذا مات أحدهما انتقل النديم إلى سيّد آخر ينادمه[4].

ويفخر امرؤ القيس بمنادمته للملوك[5]، ويقول:

وَنَادَمتُ "قَيْصَرَ" في مُلْكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ البَرِيدَا[6]

وقد أفرد ابن النديم في "الفهرست" باباً في النُّدماء والجلساء، وفيما كتب العلماء والأدباء

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ٥٧٢/١-٥٧٣، الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٠٤٧

(٢) الرقيق النديم، أبو اسحاق ابراهيم(ت٤١٧هـ). **قطب السرورفي أوصاف الخمور**، تحقيق: أحمد الجندي(دمـشق: مجمع اللغة العربية،١٩٦٩م). ص ٢٨٥

(٣) الرقيق النديم: قطب السرور ، ص ٢٨٥

(٤) ابن حبيب، أبو جعفر محمـد بـن حبيـب(ت٢٤٥هــ). **المُحبّـر**، تحقيـق: إيلـزة ليختـن شـتيتر(بيـروت: دار الآفاق،١٣٦١هـ/١٩٤١م) ص ١٧٣-١٧٥

(٥) الرقيق النديم: قطب السرور، ص ٢٨٥

(٦) **ديوان امرئ القيس**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٤(القاهرة: دار المعارف، د.ت). ص٢٥٢

في الجلساء والندماء.[1] وذكر الأصفهاني في "محاضرات الأدباء" فصلاً في المنادمات"[2].

واهتمت كتب الأدب عامة بالنّديم والمنادمة، ووضعوا للمنادمة شروطاً وقرنوها بالمسامرة.[3]

وقد جعلت كتب الأدب خصوصية لمصطلحي النّديم والجليس، فقد ذكر صاحب اليتيمة أنّ عضد الدّولة (ت٣٧٢ هـ) كان يؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء.[4] مفرّقاً بين المسامرة والمجالسة من حيث الوظائف، وفي موضع آخر يقول: كان ينادم عضد الدولة بعض الأدباء[5]. وهذا مثال واحد على تمييز الكتاب بين المصطلحين.

والحقيقة أنّ المصطلحين مختلفان من حيث الوظائف، فكل نديم جليس وليس كل جليس نديماً،" ولاشتراك النديم والجليس في صحبة الذين يتقربون منهم من ذوي السلطان وغيرهم، ولتشابه بعض ما يقومون به، خلط المؤلفون بينهما، وتحدّثوا عن الجلساء وهم يقصدون الندماء، وتحدّثوا عن الندماء وهم يقصدون الجلساء وهكذا[6]. وقد يرتبط مصطلح النّديم بالشرب واللهو، بينما مصطلح الجليس وظيفته أشمل وأكثر جدّية، فهو منبع للعلم والأدب واللهو أيضاً في بعض الأحيان، وقد يؤدي النديم هذه الوظيفة ولكن في أحيان أقل.

---

(١) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب(ت٣٨٠هـ).**الفهرست**، تحقيق: يوسف علي طويل، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية،١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ص٢٢٦-٢٤٦

(٢) الأصفهاني، أبوالقاسم الحسين بن محمد بن المفضل(ت٥٠٢هـ). **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء**، تحقيق: عمر الطبّاع، ط١(بيروت: دار الأرقم ابن أبي الأرقم،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ٢/٨٠٧ـ٨١٥

(٣) الحصري، أبو اسحاق ابراهيم بن علي القيرواني(ت٤٥٣هـ). **زهر الآداب**، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد، شرح: زكي مبارك، ط٤(بيروت: دار الجيل، د.ت) ٢ /٤٩٥

(٤) الثعالبي، أبو منصور (ت٤٢٩هـ). **يتيمة الدّهر** (بيروت: دار الكتب العلمية،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ٢/٢١٦

(٥) الثعالبي: يتيمة الدهر ٢/٢١٧

(٦) سرحان، جمال. **المسامرة والمنادمة عند العرب**، ط١(بيروت: دار الوحدة،١٩٨١م) ص١٣-١٤

هـ- "الأمالي"

ارتبط مصطلح الأمالي بالمجالس، وكثير من العلماء لم يفرّق بينهما، إلاّ أن الفرق بينهما كبير جداً، ولتوضيح ذلك نعرض معنى الأمالي لنقارن بينها وبين المجالس.

" الأمالي جمع املاء: وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس، فيتكلم العالم بما فتح الله عليه من العلم ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً ويسمّونه الإملاء والأمالي، وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية وغيرهم في علومهم"(١)

أمّا وجه الصلة بين الأمالي والمجالس، فهي علاقة العموم والخصوص؛ فالمجلس أعمّ من الأمالي من حيث الوظائف التي يؤدّيها؛ والأمالي أحد الفروع الثقافية للمجالس، وبعض الكتب خلطت بين المصطلحين، وعَدّوا كتب الإملاء هي نفسها كتب المجالس، مثل كتاب "مجالس ثعلب" الذي يسمّيه بعضهم "أمالي ثعلب" وهو أقرب إلى الأمالي منه إلى المجالس.

إلاّ أنّ الفرق بين الأمالي والمجالس دقيق، فالأمالي يتولّى فيها الشيخ أو الأستاذ املاء المادة المهيّأة على طلاّبه الذين جاءوا ليتلقوا ويكتبوا ما يقول، أمّا المجالس فهي تسجيل كامل لكل ما يدور في حلقة الأستاذ، أو أي حلقة أو اجتماع تطرح فيه قضايا أدبية وعلمية مختلفة(٢)

وهناك من يرى من المحدثين أنّه لا فرق بين عنوان "الأمالي" وعنوان "المجالس"، فلقد كان الطّلاب في واقع الأمر يجلسون متحلّقين حول أُستاذهم وأمامهم محابرهم ودفاترهم ويقيّدون ما يجري على لسان أستاذهم.(٣) وهذا القول مخالف حقيقة لواقع الأمالي والمجالس.

---

(١) حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني (ت١٠٦٧هـ). **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ١٦١/١

(٢) ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى(ت٢٩١هـ). **مجالس ثعلب**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٣(مصر: دار المعارف، ١٩٥٠م) المقدمة ص ٢٣، حبّاس، سامة محمد سليم ."**الأمالي في اللغة والأدب**"(أطروحة دكتوراة، جامعة حلب ،١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص ٧٥-٧٦

(٣) الشكعة، مصطفى. **مناهج التأليف عند العلماءالعرب**، ط٧(بيروت: دارالعلم للملايين،١٩٩٣م) ص ٣٤١

وقد كانت أعلى وظائف الحافظ في اللغة هي "الإملاء" وللإملاء آدابه وشروطه أوردها السيوطي (ت ٩١١هـ) في مزهره"[١]

والمجالس أشمل وأوسع من الأمالي، لتقييدها كل ما يدور في المجلس من أحداث أو أقوال، بينما الأمالي تسجيل لما يقوله الشيخ فقط، وكانت الأمالي أكثر تنظيماً من المجالس؛ إذ كانت المجالس تعقد في أي وقت وفي أي مكان وتقوم أساساً على الحوار، بينما الأمالي على خلاف ذلك. إلا أنّ الأمالي في أحد جوانبها صورة من صور المجالس الأدبية، فكثيراً ما كان المستملي يُملي ديوان شعر، مما يجعله أحياناً يتطرّق لشرح بعض مُشْكله، مما يجعله مجلساً أدبياً.

وكتب الأمالي صورة واضحة لتاريخ التعليم، وهي بمثابة المنهج الدراسي في عصرنا، إذ تعرّضت هذه الكتب لشروط المعلم وواجب المتعلم، والعوامل المعينة على الحفظ وغيرها من الآداب.[٢]

ومن تتبعنا لكتب الأمالي، وجدنا أنّ بعض أصحابها سمّوا أبواب كتبهم "مجالس"[٣] وهذا دليل واضح على خلط القدامى بين المصطلحين.

هذه أهم المصطلحات المقاربة لمصطلح "المجلس"، والتي كان بينها فروقاً دقيقة في تحديد الوظيفة المنوطة بها.[٤]

---

(١) السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين(ت٩١١هـ). **المزهر في علوم اللغة**، شرح: محمد جاد المولى وآخرون(بيروت:المكتبة العصرية،١٤٠٦هـ/١٩٨٦ م) ٢/٣١٣-٣٢٢

(٢) الشيخ، عبدالرحمن عبدالله." **كتب الأمالي والمجالس والمحاضرات**"(مجلة عالم الكتب، مج٥، ع٢ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص ٣٠٦

(٣) المرتضى، علي بن الحسين الموسوي(ت٤٣٦هـ). **أمالي المرتضى أو غُرر الفوائد ودرر القلائد**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١(القاهرة: دار احياء الكتب،١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) انظر تقسيم أبواب الكتاب.

(٤) إذا تتبعنا المعاجم العربية وكتب التراث، سنجد مصطلحات أخرى مرادفة للمجلس، ومنها ـ على سبيل المثال لا الحصر:

الفصل الثاني

في التأصيل البنائي

اتّخذت المجالس الأدبية هيئات خاصّة بها، تطوّرت عبر العصور تبعاً لتطور الدولة وتأثير الأعاجم فيها، وهذه الهيئات اختلفت من حيث المكان والزمان، فقد حدّد بعض العلماء والخلفاء أياماً معيّنة لمجالسهم العلمية. كما اختلفت أسباب عقد تلك المجالس وأصبحت لها مناسبات خاصة تعقد فيها. واختلفت أشكال المجالس من حيث فرشها وجمالياتها، وخاصّة مجالس الخلفاء التي كانت تتميّز بالثقافة المعنوية، والحضارة المادية، وتمثّل هذه المجالس الثقافة السائدة في عصورها[1].

أ ـ **المثافنة**: وثافنه أي جالسه ولازمه، فهو مُثَافِنٌ ومُثَفّنٌ (الفيروزأبادي: القاموس المحيط، ص١٠٦٧ ، وانظر التنوخي: نشوار المحاضرة، المقدمة)

ب ـ **المزاملة**: زمله أي تبعه(الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص٩٠٩) وذكرها المسعودي في مروج الذهب، حينما طلب الخليفة المعتصم مزاملة الجنيد، المروج ٤/ ٥٠/٤٨).

ج ـ **المسايرة**: ونقصد بها الحديث غير المقرون بالجلوس ولكن يتحقق به غاية الجلوس، وقد وردت عند ابن حيّون(ت٣٦٣هـ) في كتابه " المجالس والمسايرات" والذي يبيّن فيه مدى الرقي الفكري في العصور الاسلامية، إذ كان مرافقاً للمعز الفاطمي (ت٣٦٥هـ) في جلوسه وسيره.

د ـ "**مثاقفة**": ذكره التوحيدي (ت٤٠٠هـ تقريباً) عندما قال أبو الوفاء المهندس للتوحيدي في مقدمة الإمتاع:" واعمد إلى الحسن فزد في حسنه، وإلى القبيح فانقص من قبحه، واقصد إلى امتاعي بجمعه نظمه ونثره، وإفادتي من أوّله إلى آخره، فلعلّ هذه المثاقفة تبقى وتُروى، ويكون في ذلك حُسن الذكرى" ،(التوحيدي: الامتاع والمؤانسة، ص١٧) وقد أراد بالمثاقفة هنا المطارحة في العلم والأدب ومذاكرتها. وقد التزم التوحيدي والوزير بوضع شروط خاصة لهذه المطارحة العلمية. وقد حدّد معنى المثاقفة الخليفة العباسي المتوكل(ت٢٤٧هـ) في مجالسته للبحتري(ت٢٨٤هـ)حين تجاذبا أطراف الحديث، فقال البحتري للمتوكل: أثقلت ظهري بالفوائد. فقال: **إنّا نأخذ ونعطي ونأتي بما يحيي المهج**. (البيهقي. **المحاسن والمساوئ**، تحقيق: محمد سويد، ط١(بيروت: دار احياء العلوم،١٩٨٨م) ص٤٧٣ـ٤٧٥.

(١) عابدين، سامي. **قصر المأمون وأثره على العصر**، ط١(بيروت: دار النهضة العربية،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ص١١

أولاً: أماكن انعقاد المجالس الأدبية.

كانت المجالس الأدبية ملتقيات متميّزة، يجتمع في رحابها العلماء والأدباء وطلبة العلم ؛ وهذا التنوع المكاني للمجالس دليلٌ قويٌ على انتشار الثقافة، ونموّ الفكر. وكانت الصحراء على اتّساع رقعتها خيرمكان للعرب لسمرهم وتناشد الأشعار بينهم. كما كانت أسواقهم "مجمعاً أدبياً لغوياً رسمياً، له محكّمون تضرب عليهم القباب فيعرض شعراء كل قبيلة عليهم شعرهم وأدبهم، فما استجادوه فهو الجيد وما بهرجوه فهو الزائف"،[1] وكان الأشراف يخرجون إلى سوق المربد للمذاكرة والمناشدة[2]. وفي صدر الإسلام أصبح المسجد المجمع الرّسمي للدولة الإسلامية، ومنه انطلقت دعوة الإسلام، وفيه التقى الأدباء والعلماء لوقت طويل من العصور الإسلامية اللّاحقة. وقد عدّ المسجد أشرف المجالس، وجاء في الأثر: "إنّ لكل مجلس شرفاً، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة"، وعن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- قال: المساجد مجالس الأنبياء وحرزٌ من الشيطان"[3]

و خصّصت فيما بعد قبة للشعراء[4] وقبة للحديث في المسجد.[5]

كما كانت المجالس تعقد في ظل الكعبة للمذاكرة في أشعار العرب وأمثال الناس[6] وكان الحج ملتقىً أدبياً للشعراء[7].

---

(١) الأفغاني، سعيد. أسواق العرب (دمشق: المطبعة الهاشمية،١٣٥٦هـ/١٩٣٧م) ص ٢٤٢

(٢) الأصفهاني: الأغاني ٥٨/١٢ – زيدان : تاريخ آداب العربية ٢١١/١

(٣) الخطيب البغدادي: الجامع ٦٠/٢

(٤) التنوخي: النشوار ٤٨/٧

(٥) الخطيب البغدادي: الجامع ٥٨/٢

(٦) الأبشيهي: المستطرف ٢٩١/١

(٧) الحموي: معجم الأدباء ٤١٢/١- البيهقي: المحاسن والمساوىء ، ص٢٤٤

وكانت المجالس تعقد في الأسواق[1] والدكاكين المختلفة، وخاصة دكـاكين الـورّاقين[2] والعطّارين[3]، وفي المخابز، فقد كان الخبزارزي يخبز وهو ينشد ما يقوله من الشعر فيجتمع الناس حوله، ويزدحمون عليه لاستماع شعره ومُلَحه[4]. وكانــت المجــالس تعقــد فــي دور القطن[5]، و دور الشعراء[6].

و بيوت العامّة من أهل الفضل[7]، والدواوين(ديوان الضياع).[8] وديوان الإنـشاء[9]. وفي دار النيروز في البصرة[10]، وفي بيوت العزاء، فعن الرياشي، قال: توفي ابـنٌ لـبعض المهالبة، فأتاه شبيب بن شيبة المنقري يعزيه، وعنده بكر بن حبيب السهمي، فقال شبيب: بلغنا أن الطفل لا يزال محبنطئاً على باب الجنة يشفع لأبويه، فقال بكر بـن حبيـب: إنّمـا هـو" محبنطياً" غير مهموز، فقال له شبيب: أتقول لي هذا وما بين لابتيها أفصح مني؟ فقال بكـر: وهذا خطأتان، ما للبصرة وللّوب؟! لعلّك غرّك قولهم" ما بين لابتي المدينة" يريدون الحـرة، والحرة أرضٌ تركبها حجارة سود، وهي اللابة، وجمعها لابات، فإذا كثـرت فهـي اللـوب واللاب، وللمدينة لابتان من جانبيها وليس للبصرة لابةٌ ولا حرة، [11] فقد وجدنا مجلس أدبـي متكامل في بيت العزاء هذا. وكانت المجالس تعقد في الحق (المقـابر) روى التنـوخي فـي

---

(١) الحموي: معجم الأدباء ١٩/١

(٢) الحموي: معجم الأدباء ٤٢٥/١-١٧١٣/٤، التنوخي: النشوار ٢٤٦/٤

(٣) ابن ظافر، جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي(ت٦١٣هـ). **بدائع البدائه**، تحقيق: محمد أبـو الفـضل ابراهيم(القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٠م) ص١٢٩

(٤) الحموي: معجم الأدباء ٢٧٤٥/٦

(٥) البغدادي: الجامع ٥٧/٢

(٦) ابن عبد ربّه، أبوعمرأحمد بن محمدالأندلسي(ت٣٢٧هـ).**العقد "الفريد"**، تحقيق: أحمدأمين وآخرون(بيروت: دار الكتاب العربي،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ٥/ ٣٦٧، الحموي: معجم الأدباء٣/ ١٢٥٧

(٧) التنوخي: النشوار ٤٨/٧

(٨) الحموي: معجم الأدباء ٨١/١

(٩) ابن ظافر: البدائع ، ص١٠٨

(١٠) ابن عبد ربّه: العقد ٣٢٤/٣

(١١) الحموي: معجم الأدباء ٧٥٠/٢

النشوار، أن أبا جعفر البهلول القاضي كان في جنازة بعض أهل بغداد من الوجوه، وإلى جانبه في "الحق" جالس أبو جعفر الطبري، فأخذ القاضي يعظ صاحب المصيبة ويسليه، وينشد له الأشعار ويروي له أخباراً، فداخله الطبري في ذلك، وذنّب معه، ثمَّ اتّسع الأمر بينهما في المذاكرة، وخرجا إلى فنون كثيرة من الأدب والعلم، استحسنها الحاضرون، وعجبوا منها[١].

وكثيراً ما كانت المجالس تُعقد في الأديرة[٢]، والرياض وعلى غدران الماء.[٣]

فكان الأدباء يستغلّون أيّة فرصة يتذاكرون فيها الأدب والشعر، ولو في الأعراس[٤]، أوموائد الطعام[٥]، وكان الوزير المهلبي يكثر من مذاكرة الأدب، وضروب الحديث على المائدة، لكثرة من يجمعهم عليها من العلماء والكتّاب والندماء[٦]

وقد يعقد الواعظ مجلسه في ساحة قصر خليفة[٧] إن أراد الخليفة وأهله سماع الموعظة.

هذا بالنسبة لمجالس العلماء والأدباء، أمّا مجالس الخلفاء والأمراء فكانت تعقد في قصورهم، أو في بساتينهم وحول البِرك[٨]، وقد يعقد الوزير مجلساً أدبياً في دار الوزارة[٩]

---

(١) التنوخي: النشوار ١٧/٤

(٢) الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد(ت٣٨٨هـ). **الدّيارات**، تحقيق: كوركيس عواد، ط٢(بغداد: مطبعة المعارف،١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) ص٥٤- ابن ظافر: البدائع ٢٤٧/٢٤٨

(٣) ابن ظافر: البدائع ١٢٩/٢٠١/٢٤٧/٢٤٨

(٤) نفسه ٢٢٧-٢٢٨

(٥) التوحيدي، أبو حيّان(ت٤٠٠). **البصائر والذخائر** ، تحقيق: وداد القاضي، ط١(بيروت: دار صادر،١٩٨٤م)٨٩/٢

(٦) التنوخي: النشوار ٢٠٨/٣

(٧) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي(ت٦١٤هـ). **رحلة ابن جبير**، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م) ص ١٧٣

(٨) الأصفهاني: الأغاني ٤/ ٤٢٢ـ ابن ظافر: البدائع ، ص ٢٠

(٩) ابن ظافر: البدائع ، ص ١٦١

وقد خصّص الصاحب بن عبّاد مكاناً خاصاً لمجلس املائه سمّاه "بيت التوبة"[1] كما صنع في قبة "سعد السعود" مجلساً سمّاه "الزّاهي"[2]

وكان لاختيار المكان المناسب للمجالس أهمية بالغة، فيما تعود عليه من عواقب عقلية ونفسية، عبّر عنها ابن المقفع بقوله لأصحابه: هل لكم في دار ابن برثن في ظل ممدود، وواقية من الشمس، ويسمع بعضنا بعضا، فهو أمدُّ للمجلس، وأدرّ للحديث[3].

وهو بذلك يربط بين المكان المريح والواسع، وبين الرّاحة والاسترسال في الحديث.

ثانيا: أوقات عقد المجالس وأسبابها

الأصل أن تعقد المجالس الأدبية في أيّ وقت، خاصة أنّ الهدف هو تلقي العلم والمذاكرة فيه. لكنَّ بعض العلماء والخلفاء حدّدوا أوقاتاً وأيّاماً لمجالسهم. كما كانت المجالس تُعقد في مناسبات معيّنة.

ومعاوية بن أبي سفيان (ت٦٠هـ) أوّل الخلفاء الذين نظّموا أوقات مجالسهم.[4]

ومن المناسبات التي عقدت المجالس لأجلها، التهنئة للخليفة بالخلافة أو التعزية، وكانت التهنئة تمتزج بالتعزية عادة، وكانت تُتناشد الأشعار والقصائد الطّوال في ذلك.

وكان الخلفاء يعقدون مجلساً للعلماء والأدباء لاختيار مؤدبين لأبنائهم، ومن ذلك عقد

---

(١) الحموي: معجم الأدباء ٣١٢/٢

متز، آدم.**الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٤(القاهرة: مكتبة الخانجي، بيروت: دار الكتاب العربي،١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ٣٣٥/١

(٢) ابن ظافر: البدائع ٨٦ ، المقرّي، أحمد بن محمد التلمساني(ت١٠٤١هـ). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**، تحقيق: احسان عبّاس(بيروت: دار صادر،١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ١٤٦/٥

(٣) التوحيدي: الإمتاع ، ص٧٠

(٤) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين(٣٤٦هـ). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: شارل بيلا(بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية،١٩٧٠م) ٣٩/٣

الخليفة المتوكل (ت٢٤٧هـ) مجلساً أشرف عليه إيتاخ[١] ليتخذ مؤدبين للمنتصر والمعتز وكان المجلس على هيئة مذاكرة أدبية ليعرف موضعهم من العلم[٢]

ومن أسباب عقد المجالس، اختيار الخلفاء جلساءهم عن طريق اختبارهم، فقد اختبر معاوية جلساءه وجعل معيار النجاح معرفة أفصح العرب، فسألهم يوماً: من أفصح العرب؟ فقال قائل: قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات، وتيامنوا عن عنعنة تميم، وتياسروا عن كشكشة بكر، ليست لهم غمغمة قضاعة ولا طُمْطُمانية حمير، قال: من هم؟ قال: قريش. قال: ممن أنت؟ قال: من جرم. قال: اجلس[٣]. فمعاوية ادرك مدى فصاحة الرجل وعلمه ، فطلب إليه أن يجلس. وأمر المتوكل بإحضار المبرّد(ت٢٨٥هـ) لاختباره ليجعله من جلسائه[٤]. وحينما وفد صاعد اللغوي إلى الأندلس أحب المنصور اختباره في مجلسه ومناظرته للتأكد من علمه[٥] . كما اختبر المعتمد بن عبّاد الشاعر عبد الجبار بن حمديس ليضمّه إلى قائمة شعرائه، فأرسل إليه وطلب إليه أن يصف منظراً هيّأه له بقصيدة شعرية[٦]وكان الملك الكامل يمتحن جلساءه.[٧]

ولم يكن اختبار الجلساء خاصّاً بالخلفاء وحدهم، إنما كان الوزراء يمتحنون جلساءهم.

---

(١) هوأحد الأمراء الكبار، وكان والي مكة والمدينة والموسم سنة٢٣٤هـ، وكان غلاماً خزرياً طبّاخاً اشتراه المعتصم ورفع منزلته، وكذلك الواثق والمتوكل،هلك في السجن سنة٢٣٥هـ(ابن كثير،الحافظ عمادالدين أبو الفداء اسماعيل(ت٧٧٤هـ). **البداية والنهاية**، تحقيق: يوسف البقاعي، ط٣(بيروت:دار الفكر،١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ٣٢٣/٧ـ٣٢٤

(٢) الزجّاجي: مجالس العلماء ، ص٦١ـ٦٢، الحموي: معجم الأدباء ٣٦١/١

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين ٢١٢/٣-٢١٣(لخلخانية الفرات: كقولهم: مشا الله كان، أي ما شاء الله وكان، وعنعنة تميم، تقول في موضع أن : عن. وكشكشة بكر، أي يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيناً، فيقولون: رأيتكش. وطمطمانية حمير، كقولهم: طاب امهواء: أي طاب الهواء. انظر: السيوطي: المزهر ٢٢١/١ـ٢٢٣)

(٤) الحموي: معجم الأدباء ٧٦٦/٢-٧٦٧

(٥) نفسه ١١٦٤/٣-١١٦٥

(٦) المقري: نفح الطيب ١٥٣/٥-١٥٤

(٧) المقريزي، أحمد بن علي(ت٨٤٥هـ). **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ط٢(القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة،١٩٥٦م) ص ٢٥٨

فالوزير عبد الله بن طاهر يدعو أبا العباس ثعلب لمجلسه لأنّه سمع عن علمه، فأحضر ديوان الرّاعي، وكتاب النّدبة للفرّاء، واختبره بهما، وقال له: قد وصفت لي وأنا بالمعسكر وشاهدتك فما رأيت رجلاً إلاّ كانت مشاهدته دون صفته خلاك.[1]

كما بلغ التّرف ببعض الخلفاء أن يعقدوا مجلساً عند شراء جارية كما فعل الأمير تميم ابن المعز[2]

كما جرت العادة عند العلماء والخلفاء تخصيص يوم للمجالس. فلقد كان المأمون يجلس للمناظرة يوم الثلاثاء[3]، وكان الشّافعي (ت٢٠٦هـ) يجلس في حلقته بعد صلاة الصبح مقسّماً أوقاته لأهل القرآن وأهل الحديث وأهل العربية والعروض والشعر[4]، وابن العميد عقد مجالس مختلفة، للفقهاء يوماً وللأدباء يوماً وللمتفلسفين يوما[5].

وحدّد المعتصم (ت ٢٢٨هـ) يوم الجمعة للاجتماع بأهل الرأي والعلم والأدب [6]. والملك الكامل(ت٦٣٥هـ) جعل في كل ليلة جمعة مجلساً لأهل العلم عنده ويجلس معهم[7] .

ثالثا: هيئات المجالس وجمالياتها

اختلفت المجالس بأشكالها وجمالياتها؛ فهيئة المجالس في الشام تختلف عنها في العراق ، وتختلف عنها في الأندلس، كل بحسب طبيعة المكان وطبيعة المؤثرات الخارجية عليها. وفي البداية كانت تفضل المجالس الفسيحة، قيل للأحنف بن قيس: أي المجالس أحب إليك؟ قال: ما

---

(١) الزجّاجي: مجالس العلماء ، ص ١٠١-١٠٢

(٢) التنوخي: النشوار ٢٦٦/٧

(٣) المسعودي : المروج ١٩/٤ ـــ البيهقي: المحاسن والمساوىء١٦١

(٤) الحموي: معجم الأدباء ٢٤٠٥/٦

(٥) نفسه ١٨٩٦/٤

(٦) ابن الأبّار، أبوعبدالله محمد بن عبدالله القُضاعي(ت٦٥٨هـ). **الحلّة السّيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، ط١(القاهرة: الشركة العربية للنشر،١٩٦٣م) ٨٢/٢

(٧) السلوك: المقريزي ج١/ق١ ص ٢٥٩

سار فيه البصر واتدع فيه البدن. كما كانت مجالس الرّاشدين في المسجد أو في المنزل يقعدون على حصير أو جلد يلتفون بعباءة أو نحوها [١]. وبقيت المجالس بسيطة في هيئتها وفرشها حتى بداية العصر الأموي؛ إذ اتّخذ معاوية الكرسي أو السرير في مجلسه. وهو عبارة عن أعواد مضروبة أو أرائك منضدة لجلوس السلطان عليها، مرتفعاً عن أهل مجلسه أن يساويهم في الصعيد. وقد استأذن معاوية الناس في الجلوس على السرير فاتّخذه واتبعه الملوك الاسلاميون فيه، وصار من منازع الأبّهة.[٢]

ومعاوية باتّخاذه السرير في مجلسه، يقلّد بطارقة الروم في الشّام[٣]. وفيما بعد أصبح الخليفة يخصّ بعض جلسائه بالجلوس على كراس، كما فعل الرّشيد (ت ١٩٣هـ) مع الكسائي والمفضّل.[٤]

ومن ثمّ أصبحت هذه الظاهرة في مجالس العلم، خاصة مجالس الاملاء، فلقد كان المستملي في المجالس الكبيرة، يجلس على مقعد مرتفع ليسمع الحاضرين[٥]. وفيما بعد خصّص القائم بأمر الله كرسياً خاصاً للكلام، وقد منحه للشيخ الطّوسي الشيعي (ت٤٦٠ هـ) وكان هذا الكرسي لا يُمنح إلاّ للقليلين من كبار العلماء.[٦] أمّا شكل المجلس وهيئته فقد تطوّر تطوّراً كبيراً متأثراً بمجالس الفُرس والروم، وظهرت بعض التقاليد في مجالس الخلفاء، مثل

(١) زيدان، جرجي. **تاريخ التمدن الإسلامي** (بيروت: دار الحياة،١٩٦٧م) ٦٦٦/٣

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين(ت٨٠٨هـ). **المقدّمة** (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٢م) ص٢٤٩

(٣) زيدان: تاريخ التمدن ٦٦٧/٣ (لم يكن وجود الكرسي والسرير جديداً في الحضارة العربية والاسلامية، ولكن الجديد هو اتخاذ الخليفة السرير في مجلسه مترفعاً عن جلسائه أن يساويهم في المكان، ومن هنا كان تقليد الروم).

(٤) الزجاجي: مجالس العلماء ، ص٣٨

(٥) متز: الحضارة الإسلامية ٣٣٧/١

(٦) الطوسي، محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ). **أمالي الطوسي**، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم(بغداد: المكتبة الأهلية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)-المقدمة ص٧

ظاهرة الكتابة على حيطان المجلس وأبسطته شعراً ونثراً(١).

ويصف جبلة بن الأيهم(ت٥٣هـ) أحد مجالس الرّوم بعد أن تنصّر، فيقول: مجلس مطلية حيطانه بماء الذّهب والفضة، ودخلت جاريتان في يد إحداهما جام فيه مسك مسحوق، وفي يد الأخرى جام مملوء ماء ورد، ثمّ أقبل طائران كانا شبيهين بطاؤوسين فسقطا في الجام واحتملا المسك بجناحيهما فرشّاه علينا، وغنّت جاريتان شعراً(٢)، وقلّد الخلفاء الرُّوم في شكل مجالسهم تقليداً كبيراً، حتّى فاقت مجالس الرُّوم والفرس، وقد أنفق الخلفاء على مجالسهم أموالاً طائلة، والمتوكّل أكثر من أنفق على مجالسه(٣).

وكانت أسرّة الخلفاء مرصّعة بأنواع الجواهر، كما كان مجلس المعتصم مليئاً بالأسرّة عن يمينه وعن شماله، وكان مجلسه بالإيوان المنقوش بالفسافا(٤)، وجعل على سريره أنواع الجواهر، ووضع على رأسه التاج الذي فيه الدّرة اليتيمة(٥). وبُسط للمتوكل في صدر الإيوان سرير ومدّ بين يديه أربعة آلاف مرفع (كرسي) ذهب مرصّعة بالجوهر، فيها تماثيل العنبر والكافور، وفرشت في المجلس الأبسطة(٦).

ويصف ابن المعتز(ت٢٩٦هـ) مجلس الخليفة المخلوع الأمين (ت١٩٨هـ) فيقول: "مجلس لم تر العرب والعجم مثله، قد صوّر فيه كل التصاوير، وذهّب سقفه وحيطانه وأبوابه،

---

(١) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين(ت٣٥٦هـ). **أدب الغرباء**، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط١(بيروت: دار الكتاب الجديد،١٩٧٢م) ص ٨٦/٧٦/٢٤ ، التنوخي: النشوار ١٨٣/٥

(٢) البيهقي: المحاسن والمساوىء ، ص ٩٧-٩٨

(٣) الشابشتي: الديارات ، ص ١٠٢ ؛ المسعودي: مروج الذهب ١٢٢/٤

(٤) الفسافا أو الفسيفساء: ألوان من الخرز تركّب في حيطان البيوت من الداخل(القاموس المحيط، ص ٥٠٧).

(٥) الصابئ، غرس النّعمة أبو الحسن محمد بن هلال (ت٤٨٠هـ). **الهفوات النادرة**، تحقيق: القدس للدراسات والبحوث، ط١(القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ٤٦-٤٧

(٦) الشابشتي: الديارات ، ص ١٥٠-١٥١

وعلّقت على أبوابه ستور معصفرة مذهّبة، وفرش بمثل ذلك من الفرش"[1].

وإذا أراد الخليفة أن يجالس الأدباء والشعراء خارج القصر، فالتّرف لا يقل في خارج القصر عن داخله، فمثلاً أمر الأمين أن يُفرش له بساط على دكان في قصر الخلد في أيّام الفتنة، فبسط وطرح عليه النمارق، وملىء من آنية الذهب المرصّعة بالجوهر ومشامّ المسك والعنبر[2]، وفي كتب الأدب الكثير من وصف مجالس الخلفاء وهيئاتها[3].

كما كانت البسط تأتي من بلاد الفرس، وعليها الكتابة الفارسية، وتفرش في مجالس الخلفاء[4]. ولم يتوقف هذا الترف في هيئة المجلس على الخلفاء فقط؛ إنما راح الأمراء والتّجار أيضاً يقلّدون مجالس الخلفاء، وقد وصف ابراهيم بن المهدي للمأمون أحد مجالس كبار التجار.[5]

وقال ابن عبد ربه(ت٣٢٧هـ) في وصف مجلس[6] :

يا مَجلِساً أيْنَعَت مِنهُ أزاهِـــرُه   يُنسيكَ أوّله في الحُسنِ عَن آخِرِه

لَمْ يَدْرِ هَل باتَ فيهِ ناعماً جَذِلاً   أو باتَ في جَنّةِ الفِردوسِ سامِره

ولشدة اهتمام الخلفاء بالمجالس والجلساء؛ فقد خُصّصت أماكن في قصور الخلفاء لهم، وروي عن الرّشيد أنّه خصّص داراً للنّدماء في قصره[7]. وقد تحوّل النّديم أوّل مرّة في

---

(١) ابن المعتز، عبدالله بن محمد(ت٢٩٦هـ). **طبقات الشعراء** ، تحقيق: عبدالستار فرّاج(مصر: دار المعارف، د.ت) ص٢٠٩

(٢) غرس النعمة: الهفوات النّادرة ، ص ٤٣

(٣) مجلس ابن العميد (النشوار ٢١/٥)، مجلس المنتصر (النشوار١٨٣/٥)، مجلس عضد الدولة (النشوار ٨٨/٥)

(٤) الوشّاء، أبو الطيب محمد بن اسحاق(ت٣٢٥هـ). **الموشّى أو الظرف والظرفاء**(بيروت: دار صادر، ١٩٦٥م) ص٢٧٠

(٥) المسعودي: المروج ١١/٤-١٤

(٦) ابن عبد ربّه: العقد ٧٣/٦.

(٧) الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس(ت٣٣١هـ). **الوزراء والكتاب**، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الابياري، ط١(القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي،١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) ص ٢٥٠.

عصر الرّشيد إلى موظف في البلاط له جار من الــرّزق، عــدا مــا ينــال مــن الــصلات والجوائز.[١] وفي قصر المعتضد (ت٢٨٩هـ) خصّصت حجرة للندماء[٢].

رابعا:- ترتيب الجلساء - عددهم - هيئتهم ولباسهم

من التقاليد المعروفة في مجالس الخلفاء، ترتيب الجلساء، وتقسيمهم مراتب معيّنة، وأوّل من رتّب جلساءه من الخلفاء معاوية[٣] ومن أمثلة ترتيبه لجلسائه، أنّه كان يأذن للأحنف أول ما يأذن، فأذن له يوماً ثمّ أذن لمحمد بن الأشعث، حتى جلس بين معاوية والأحنــف، فقــال لــه معاوية: إنّي لم آذن له قبلك إلاّ ليكون إليّ في المجلس دونك، وإنّا كما نملك أمــوركم كــذلك نملك تأديبكم[٤].

وكان ترتيب الجلساء والندماء وتقسيمهم طبقات، من أخلاق الملك. والعجــم أوّل مــن رتّب الجلساء[٥]، وعنهم أخذ العرب ذلك، وقد رتّب أردشير جلساءه وجعلهم ثــلاث طبقــات، فكانت الأساورة وأبناء الملوك في الطبقة الأولى، ومجلسهم على عشرة أذرع من الستارة، ثمّ الطبقة الثانية وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدّثوه من أهل الشرف والعلم، ثم الطّبقة الثالثة وهم المضحكون[٦].

---

(١) سرحان: المنادمة والمسامرة، ص٦٠

(٢) التنوخي: النشوار ١٧٢/٤-١٧٣

(٣) ابن عبد ربّه: العقد ١٩/٦

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ). **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم(بيروت: روائع التراث العربي، د.ت) ٣٣٢/٥

(٥) عرف المسلمون ترتيب الجلساء منذ بداية العهد الاسلامي، وروي في الأثر" أنزلوا النّاس منازلهم"، إلا أنّ المقصود بالترتيب هنا، هو تخصيص مراتب معيّنة لكل طبقة، وهذا التقسيم يخضع للطبقية، ودرجة الثــراء وغيرهــا، ممــا يتنافى وتعاليم الاسلام، والتي يأخذ التقوى فيها أسمى المراتب).

(٦) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت٢٥٥هـ). **التاج في أخلاق الملــوك**، تحقيق: أحمد باشا زكي، ط١(القاهرة: المطبعة الأميرية،١٣٣٢هـ/١٩١٤م) ص٢١-٢٤.(في تحقيق جليل عطية للكتاب ينسبه إلى محمد بــن الحــارث الثعلبي من القرن الثالث الهجري، انظر: الطبعة الأولى، بيروت: دار الطليعة،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

وقد سار الخلفاء في العصر الأموي والعبّاسي على هذا التقليد في جعل جلسائهم مراتب، إلاّ أن بعض الخلفاء سوّى بين الطبقة السفلى والطبقة العليا وأفسد أقسام المراتب، مثل يزيد بن عبد الملك (ت١٠٦هـ) الذي غلب عليه اللهو واستخف بآيين المملكة، وأذن للندماء في الكلام والضحك والهزل في مجلسه[١] ومن الخلفاء الذين قسّموا جلساءهم إلى مراتب: الهادي(ت١٧٠هـ) [٢]، والمعتصم [٣] والواثق(ت٢٣٢هـ) [٤] والمتوكل [٥] والمعتز (ت٢٥٥هـ) [٦]، واهتم الرّاضي (ت٣٢٩هـ) بترتيب جلسائه بنفسه، فكان يجعل أربعة عن يمينه وخمسة عن يساره[٧].

ثمّ تطوّر أمر ترتيب الجلساء إلى وجود نقيب للمجلس، ومرتّب للقوم في مجلس معز الدولة، فقد كان أبو الوفاء المهندس نقيب المجلس ومرتّب القوم في مجلسه.[٨]

أمّا العدد الذي يصلح به المجلس، فأقلّه اثنان، "قال الفزاريّ: دخلتُ على الرّشيد بالرّقة في قصر الخشب ولم يكن معنا ثالث، فتحاورنا مليّاً.[٩]

أمّا عدد الندماء في مجالس الشّراب "فهم يسمّون الاثنين منشاراً ويكرهونها، وكان

---

(١) الجاحظ: التاج ، ص ٣٠

(٢) البيهقي: المحاسن والمساوئ ، ص ٢٢٣

(٣) الصابئ: الهفوات النّادرة ، ص ٤٦

(٤) المسعودي: المروج ٤/٧٦

(٥) الشابشتي: الديارات ، ص ١٥٠

(٦) ابن المعتز: طبقات الشعراء ، ص٢٠٩

(٧) الصولي, أبو بكر محمد بن يحيى(ت٣٣٥هـ). **أخبار الراضي بالله والمتقي لله**، عني بنشره: ج .هيورث، د. ن، ط٢(بيروت: دار المسيرة،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م). ص ٨

(٨) التوحيدي, أبو حيّان علي بن محمد بن العباس(ت٤٠٠هـ تقريبا). **مثالب الوزيرين** ، تحقيق: ابراهيم الكيلاني، ط٢(دمشق: دار الفكر،١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ص١٥١

(٩) كشاجم, أبو الفتح محمود بن الحسين(ت٣٦٠هـ). **أدب النديم**، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، ط١(القاهرة: مكتبة الخانجي،١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ص١٢٠

الثلاثة أتمّ مجلساً.. والأربعة أحسن، فهم أركان المجلس[1]. وسُئل اسحاق بن إبراهيم الموصلي عن الندماء، فقال: واحدٌ غمّ، واثنان هم، وثلاثة قوام، وأربعة تمام، وخمسة مجلس، وستة زحام، وسبعة جيش، وثمانية عسكر، وتسعة اضرب طبلك[2]، ومنهم من وصف النّدامى من واحد إلى سبعة[3]. وهناك من اتّخذ عدداً معيّناً من الندماء مثل أحمد بن المدّبر، فقد كان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم ولا ينبسط إلى سواهم، قد اصطفاهم لعشرته، وأخذهم لمنادمته كل رجل منهم قد انفرد بنوع من العلم لا يساويه فيه غيره[4]

ومعاوية يطلب جليساً ثالثاً[5]، والأمير محمد بن عبد الله بن طاهر يطلب من ابن طالوت جليساً ثالثاً يؤانسهم[6]. فالعدد الذي يتم به المجلس اثنان وأكثر، وأكثرهم فضّل السبعة.

أمّا هيئة الجليس فينبغي أن يتّسم بحسن السّمت والهيئة سواء كان في مجلس خليفه، أو في مجلس علم، وقد أورد الخطيب البغداي (ت ٤٦٣هـ) باباً في كتابه "الجامع" في لباس المحدّث والسّامع، وبذاذتهما في الهيئة وحسن السمت[7] وكان الشيخ والاستاذ يتهيّئان للمجلس أيضاً، فقد كان الفرّاء يتهيأ لمجلسه ويضع على رأسه قلنسوة كبيرة.[8]

ودخل رجل على الاسكندر فحدثّه وكان رثّ الهيئة، فقال له الاسكندر: لو أعطيت جسمك حقه من الزينة كما أعطيت نفسك حقها من العلم والمعرفة لأشبه بعضك

---

(١) نفسه، ص ٨٧

(٢) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت٧٣٣هـ). **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: محمد قميحة وآخرون، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) ١٢٧/٤.(واضرب طبلك كناية عن الرقص والطرب)

(٣) كشاجم: أدب النديم ، ص ٨٨

(٤) المسعودي: المروج ٤ /١٨٧

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين ٨٩/٢

(٦) المسعودي: المروج ١٧٢/٤

(٧) الخطيب البغدادي: الجامع ١٥٣/١-٣٧٢

(٨) التنوخي: النشوار ١٩٩/٦

بعضاً"[1] واعتبروا جمال الجليس في نظافة ثوبه وطيب رائحته.[2]

ومن آداب لباس الجليس وحسن هيئته، وضع العمامة على الرأس بين يدي الخليفة، فقد كان اليزيدي يكشف رأسه في مجلس الرّشيد فنهاه يحيى بن خالد عن ذلك.[3] وكره الرّشيد أن يرتدي جلساؤه لباس العجم، فقد دخل عليه العُماني الراجز يوماً وعليه قلنسوة طويلة، وخفّ ساذج، فقال له: إيّاك أن تنشدني إلاّ وعليك عمامة عظيمة الكور وخُفّان دُمالقان.[4]

وفيما بعد قلّد الخلفاء العجم، الذين رسموا لكل طبقة من طبقات أهل ممالكهم برسم من الزيّ، واشترطوا أن يحضر المجالس بالزي المرسوم لهم[5] . كما ينبغي للجليس أن يكون مستوي الذيول وأطراف الأكمام، نظيف المخفي من الملبس كالقلنسوة والسراويل والتكة والجورب ومنديل الكم.[6]

وقد اهتم المأمون بهيئة جلسائه، واعترض على النَضر بن شميل لدخوله عليه بخلقان ثيابه.[7] كما نبذ ابن العميد التوحيدي بسبب هيئته الرثّة.

---

(١) ابن هذيل, أبو الحسن علي بن عبدالرحمن الأندلسي(ت بعد٧٦٣هـ). **عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة**(بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص ١٢٧

(٢) أردشير، **عهد أردشير**. تحقيق: احسان عباس(بيروت: دار صادر،١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ص ٩٤

(٣) الحموي: معجم الأدباء ١٧٤٢/٤

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ٩٥/١(دُمالقان: أي المستدير الأملس..)

(٥) كشاجم: أدب النديم ، ص ١١٤

(٦) الغزولي، علاء الدين علي بن عبدالله البهائي(ت٨١٥هـ). **مطالع البدور في منازل السرور**(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية،١٤١٩هـ/٢٠٠٠م) ٢٠١/١

(٧) البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص ٤٥٣ ــ ٤٥٥

خامسا:" من آداب المجالس"

للمجالس آداب وأشراط محددة فمنها ما كان معنوياً ومنها ما كان جسدياً، ومنها العام، ومنها الخاص، وهناك أشراط وآداب خاصة بمجالسة الخلفاء[1]، وأشراط وآداب عامّة، ومن هذه الآداب:

أ- علامة انتهاء المجلس. يجب أن يضع الخليفة أو المحدّث علامة لإنهاء المجلس، فإنّ القلوب تمل وتنصرف، " وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: حدِّث القوم ما أقبلت عليك قلوبهم، فإذا انصرفت قلوبهم فلا تحدّثهم قيل له: وما علامة ذلك؟ قال: إذا حدّقوك بأبصارهم، فإذا تثاءبوا واتّكأ بعضهم على بعض، فقد انصرفت قلوبهم فلا تحدّثهم"[2] وقد كانت هذه من العلامات العامّة في مجالس العلماء، ولكن قد يختلف الوضع بين يدي الخليفة، ويقتضي المقام إنهاء الحديث بأمر منه، وقد تنبّه أصحاب معاوية إلى هذا الأمر، فقالوا له: إنّا ربّما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك، فأنت تكره أن تستخفّنا فتأمرنا بالقيام، ونحن نكره أن نثقل عليك في الجلوس، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها ذلك، فقال: علامة ذلك أن أقول إذا شئتم. وقيل ليزيد بن معاوية مثل ذلك، فقال: إذا قلت على بركة الله. وقيل مثل ذلك لعبد الملك ابن مروان، فقال: إذا وضعت الخيزرانة[3]. ومن حق الملك أو الخليفة إذا تثاءب أو ألقى المروحة من يده، أو مد رجليه، أو تمطى، أو اتكأ، أو فعل ما يدل على كسله، أن يقوم من بحضرته[4] وقد تكون العلامة كلمة أو حركة أو فعلاً تدل عليها.

ووجود علامة للقيام من مجلس الملك، دليل على أدب الأمة ورقيها الفكري، سواء من

---

(١) وضع ابن المقفع رسالة الصحابة وفيها شروط مجالسة الخلفاء، انظر: رسالة الصحابة، محمد كرد علي. **رسائل البلغاء**، ط٣(القاهرة: لجنة التأليف، ١٩٤٦م) ص١٢٠ــ ١٣١.

(٢) الخطيب البغدادي: الجامع ٣٣٠/١

(٣) ابن عبد ربّه: العقد ٤٦١/٢

(٤) الأبشيهي: المستطرف ١٨٦/١

الجلساء أو الخلفاء. وكانت هذه العادة متبعة عند العجم وملوكهم. "فكان أردشير بن بابك إذا تمطّى قام سمّاره، وإذا قال يزدجرد: شب شدّ (أي صار الليل)، قام سمّاره، وكان سابور، إذا قال حسبك يا انسان قام سمّارة"[١] واتّبع بعض الأمراء والوزراء هذا الأدب[٢].

ب- شروط خاصة يضعها الخليفة لجليسه. إنّ اشتراط الخليفة شروطاً خاصة بجليس معيّن، دليل على مدى الصلة القوية التي بين الخليفة وجليسه، و على أهمية الجليس عند الخليفة. فعبد الملك بن مروان يشترط على الشّعبي في مجالسته شروطاً، فقد قال له: "جنّبني خصالاً أربعاً: لا تطرني في وجهي، ولا تجرينّ عليّ كذبة، ولا تغتابن عندي أحداً، ولا تفشين لي سراً"[٣] ووضع الوزير ابن العارض شروطاً لمجالسة التوحيدي[٤]. كما حدّد المأمون آداب المجالسة، وقال: الشّتم غيٌّ والبذاء لؤم، وقد أبحنا الكلام، وأظهرنا المقالات، فمن قال بالحق حمدناه، ومن جهل وقفناه"[٥] والواثق يحدّد شروط الانفتاحية بينه وبين جلسائه فيأمرهم أن لا ينقبضوا في مجلسه وأن يجروا النادرة على ما انقضت عليه غير محتشمين[٦].

بينما يغضب المعتضد لقيام وزيره عبيد الله بن سليمان في مجلسه لتاجر، واعتبر قيامه هذا ابتذالاً للمجلس.[٧]

ومن آداب مجالسة السلطان اختيار الموضوع المناسب لمقام الخليفة، دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان، فقال له: ما بقي من شِعرك يا ابن سهية؟ فقال: والله ما

---

(١) الجاحظ: التاج ، ص١١٨-١١٩

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين ٤٢/٣

(٣) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت٢٥٥هـ). المحاسن والأضداد، تحقيق: علي بو ملحم(بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٩١م) ص ١٩ ــ المسعودي: مروج الذهب ١٠٠/٣ (والنص فيه اختلاف).

(٤) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ، ص ٢٧ــ ٢٨

(٥) الحموي: معجم الأدباء ٢٠٠٦/٥

(٦) نفسه ١٦٨/١

(٧) التنوخي: النشوار ١٩/١

أطرب ولا أشرب ولا أغضب، ولا يجيء الشرّ إلا على هذا، ولكني أقول:

رأيتُ المرْءَ تأكله الليالي ... كأكل الأرضِ ساقطة الحديدِ

وما تُبقي المنيّة حين تأتي ... على نفسِ ابن آدم من مزيدِ

وأعلم أنّها ستكرّ حتّى ... توفي نذرها بأبي الوليدِ

فارتاع عبد الملك وظنّ أنّه عناه، فقال: لم أعنك يا أمير المؤمنين، إنّما عنيت نفسي. فقال: وأنا والله ستمرّ بي[1]. فلم يراعِ ابن سهية مقام الخليفة وأنّه أبو الوليد، مما سبّب الأذى للخليفة.

ج- ومن شروط مجالسة الخلفاء، أن يكون الجليس لا عيب فيه، وموسوعي المعرفة، فحينما دعا المتوكل نجاحاً[2] لمجالسته. قال له: معي خصال لا تصلح معها منادمة الملوك، قال له: ما هي؟ قال: سلس في البول، وتنحنح إذا حدّثت، فقال له المتوكل: من حق صدقك عنها أن تسامح فيها[3]. كما طلب عبد العزيز بن مروان من نُصيب ما يثمر المحادثة، فقال له: أصلح الله الأمير! الشّعر مُفلفل، واللون مرمد، ولم أقعد إليك بكرم عنصر، ولا بحسن منظر، وإنّما هو عقلي ولساني. فإن رأيت ألاّ تفرق بينهما فافعل[4]. وكذلك الحال حينما طلب المتوكّل مجالسة أبي العيناء، فرفض وقال: لا أُطيق ذاك ولا أقوى عليه، وما أقول هذا جهلاً بما لي في هذا المجلس من الشرف، ولكني رجل محجوب(أعمى) والمحجوب تختلف إشارته، ويخفى عليه إيماؤك، ويجوز علي أن أتكلم بكلام غضبان ووجهك راضٍ، وبكلام راضٍ ووجهك غضبان، ومتى لم أُميّز بين هذين هلكت، فأختار العافية على التعرّض للبلاء.

---

(١) ابن أبي عون: الأجوبة المسكتة، ص٦٠

(٢) هو نجاح بن سلمة، كان على ديوان التوقيع، وقد كان حظياً عند المتوكل، ثم جرت له حكاية أفضت به إلى أن أخذ المتوكل أمواله وأملاكه وحواصله(ابن كثير: البداية والنهاية ٣٦٢/٧)

(٣) التوحيدي: البصائر والذخائر ١٤١/٢

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد ١٣١/٢، النويري: نهاية الأرب ٨٢/٤

فقال له المتوكل: صدقت، ولكن تلزمنا[١]. كما اشترط المعتصم على الجنيد شروطاً لمجالسته إلاّ أنّه رفض الالتزام بها لأنه لا يطيقها[٢].

وموسوعية ثقافة الجليس من الشروط الهامّة في مجالسة الخلفاء، فقال كشاجم إنّه يجب أن يكون في الجليس أشياء متضادة، فيكون فيه مع سرور الملوك، تواضع العبيد، ومع عفاف النسّاك مجون الفتّاك، ومع وقار الشيوخ، مزاح الأحداث [٣]، ويجب على جليس الخليفة أن يكون عالماً بأيّام النّاس، ومكارم الأخلاق، عالماً بالنّادر من الشّعر والسّائر من المَثل، متطرّفاً من كل فن، آخذاً من الخير والشر بنصيب[٤]. وينبغي للجليس أن يكون كالطّبّاخ الحاذق يعمل لكل قوم ما يشتهون من الطعام، وهو عليه أن يحدث كل قوم بما تحتمله قلوبهم وعقولهم من العلم[٥].

*ومن آداب مجالسة السلطان **المحادثة والانبساط عند الطعام**، "فالعرب تجعل الحديث والبسط، والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القرى ومن تمام الإكرام به"[٦] وكان يحلو للوزير المهلبي المحادثة ومذاكرة الأدب عند الطعام[٧] وكان المأمون يتحدث بعلم الكلام مع جلسائه على مائدة طعامه[٨].

*ومن آداب المجالسة أن يبدأ الخليفة بالسؤال وتحديد موضوع المجلس، وكذا في

---

(١) الشابشتي: الديارات ، ص ٨٨-٨٩

(٢) المسعودي: المروج ٤/٤٨-٥٠

(٣) كشاجم: أدب النديم ، ص٧٠

(٤) الجاحظ: التاج ، ص٧١

(٥) الخطيب البغدادي: الجامع ٢/١١٠

(٦) الجاحظ: البيان والتبيين ١/١٠

(٧) التنوخي: النشوار ٣/٢٠٨

(٨) التوحيدي: البصائر والذخائر ٢/٨٩

مجالس الوزراء[1]. وفي بعض مجالس العلم؛ لا يتحدث العالم حتى يُسأل، فعن أمية بن شبل، قال: قدم علينا ابن طاوس فجلس، فقال له انسان: ألا تحدثنا، فقال: إن سألتموني عن شيء ذكرته وإلاّ فأهدر عليكم [2]. وكانت بعض مجالس العلم يجريها الشيخ أو تدور على شكل حوار لا فرق فيمن يبدؤه.

*ومن آداب المجالسة وتقاليدها، **الدّعوة إلى المجلس**". فكثيراً ما كان يدعو الخليفة أحد الأدباء أو العلماء أو الشعراء لمجالسته، حتى في مجالس العلم العامة كانت هذه العادة معروفة، فقد دُعي رقبة بن مصقلة[3] إلى مجلس الكلام[4] ودعا الوزير ابن سعدان التوحيدي لمجالسته[5] .

والمعتمد دعا جماعة من الأدباء إلى مجلسه، بأبيات شعرية[6]:

حَسَدَ القصر فيكم الزَّهــراء ولَعَمْري وَعَمْرِكم ما أساء

قَدْ طَلَعْتُم بِها شُموساً صَباحاً فاطلعوا عِنْدَنا بُدوراً مساء

ومن طريف ما قيل في شعر الدعوات، دعوة وجهها جحْظة البرمكي لأحد أصدقائه[7]:

لنا يا أخي زَلَّة* وافرة وقِدْرٌ مُعَجَّلَةٌ حاضِرة

ورَاحٌ تُزيلُ إذا صُفِّقَتْ سَنا البرقِ في الليلةِ الماطرة

وَمُسْمِعَةٌ لَمْ يَخُنْها الصوا بُ وزامِرة أيُّما زامرة

---

(١) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ٤٦،١٤٩ – الحموي: معجم الأدباء ١٥٧/٦

(٢) الخطيب البغدادي: الجامع ٢٠٤/١

(٣) هو: رقبة بن مصقلة، العالم أبو عبدالله العبدي الكوفي، حدّث عن أنس بن مالك وعن عطاء بن أبي رباح وغيرهم (الزيلعي: نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية).

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ١٧٤/١

(٥) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ، ص٢٧

(٦) ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الإشبيلي(ت٥٢٩هـ). قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق: حسين خريوش، ط١(الأردن: مكتبة المنار،١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ٦٦/١

(٧) الحموي: معجم الأدباء ٢١٢/١، *الزلة: الوليمة.

وما شئتَ من خبرٍ نادر ونادرةٍ بعدها نادرة

فَأتِ ولو كُنتَ يا ابن الكرا م وحاشاكَ من ذاك في الآخرة

وفي هذه الدعوة دلالة على التنوع المعرفي في المجالس، التي يشملها الطعام، والشراب، والغناء، والأخبار والنوادر.

* ومن آداب مجالسة السلطان العامّة، ما ذكره الأحنف بن قيس لمعاوية حين نقل إليه وصية قيس بن عاصم لولده، وهي: لا تَغْشَ السلطان حتى يملّك، ولا تقطعه حتى ينساك، ولا تجلس على فراش ولا وساد، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين، فإنّه عسى أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له فيكون قيامك زيادة له ونقصاناً عليك[1].

ومن الآداب أن لا يُدار حديث إلاّ بإذنه،" قال محمد بن يزيد: مجلس الأمير لا يمكن أن يجري فيه شيء بغير إذنه[2].

* اتّخاذ الستارة بين الخليفة وجلسائه- وقد عرفت هذه العادة عند خلفاء المسلمين، كما كانت معروفة عند ملوك الأعاجم كلهم من لدن أردشير إلى يزدجرد "فقد كانت تحتجب عن الندماء بستارة، فكان يكون بينه وبين أول الطبقات عشرون ذراعاً، لأن الستارة من الملك على عشرة أذرع" والستارة من الطبقة الأولى على عشرة أذرع"[3] وكان الخلفاء يحتجبون عن ندمائهم، وأحياناً لا يحتجبون عن بعضهم، فقد كان الرّشيد لا يحتجب عن الأصمعي[4]، أمّا المهدي (ت١٦٩هـ) فكان أول أمره يحتجب عن الندماء إلاّ عن أبي العوراء[5] وبقي على ذلك نحواً من سنة ثمّ ظهر لهم، فأشار عليه أبو عون بأن يحتجب عنهم، فقال: إليك عنّي يا

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ١/٥٣-٥٤- ابن عبد ربّه: العقد ٢/٤٢٩

(٢) الزجاجي: مجالس العلماء ، ص ١١٥

(٣) الجاحظ: التاج ، ص ٢٨

(٤) البيهقي: المحاسن والمساوىء، ص ٤٦٧

(٥) الأصفهاني: الأغاني ٤/٣٦٢

جاهل، إنّما اللّذة في مشاهدة السّرور وفي الدنوّ ممّن سرّني، فأمّا من وراء وراء فما خيرها ولذّتها [١]، وكان معاوية، ومروان بن عبد الملك، والوليد، وسليمان، وهشام، ومروان، بينهم وبين الندماء ستارة، وكان لا يظهر أحدٌ من الندماء على ما يفعله الخليفة، فأمّا الباقون من خلفاء بني أمية فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا ويتجرّدوا بحضرة الندماء[٢].

*وكثيراً ما كانت المجالس الأدبية وغيرها، تُفتتح بتلاوة القرآن الكريم.[٣]

*ومن الصور العامّة لسير المجالس العلمية، ما جرى في دار بعض الرؤساء. وقد حضر المجلس المعافى بن زكريا[٤] وجماعة من أهل العلم، فقالوا أي نوع من العلم نتذاكر؟ فقال المعافى للرئيس: إنّ خزانتك جمعت أنواع العلم وأصناف الأدب، فإن رأيت أن تبعث الغلام إليها يضرب بيده إلى أي كتاب منها فيحمله إليك ثمّ تفتحه، فننظر في أي علم هو فنتذاكر ونتجارى فيه[٥]. وهذا يدل على مدى التنوع المعرفي لهؤلاء العلماء.

*ومن الصور العامة لسير المجالس. خروج المادة العلمية من المجلس واتّساع نطاقه واستمراره إلى علماء خارج المجلس، ففي مجلس الوزير عضد الدولة دار الحديث في العلم أهو واحد أم أكثر؟ فطلب إليهم الوزير أن يكتب كل واحد منهم رأيه في رقعة، وسمع عن رجل يعرف بصدقة الناسخ، فأنفذ إليه رقعة فيها آراء الفقهاء، وطلب إليه أن ينظر فيها، ويدلي برأيه، فعجب "صدقة" من اتفاقهم على ما لا أصل له، وكتب رأيه وأنفذه إلى الوزير

---

(١) الجاحظ: التاج ، ص ٣٤

(٢) نفسه ، ص ٣١

(٣) التنوخي: النشوار ١٩٩/٦، الحموي: معجم الأدباء ١١٥/١، متز: الحضارة الإسلامية ٣٣٨/١

(٤) هو أبو الفرج معافى بن زكريا النهرواني الجريري(ت٣٩٠هـ) قاض، من الأدباء الفقهاء، له شعر حسن، وله تصانيف ممتعة في الأدب(ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٠٠/٢) وله كتاب" **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**"وهو عبارة عن مجالس متنوعة(تفسير آيات وأحاديث وما جاء فيها من اللغة والنحو، ...) طبع الكتاب بتحقيق: محمد مرسي الخولي(بيروت: عالم الكتب،١٩٨١م) انظر مثالاً على التنوع المعرفي: ٢٥/١

(٥) الحموي: معجم الأدباء ٢٧٣/٦

فأعجب به واستدعاه إلى مجلسه.[1]

هذه بعض الآداب العامّة والخاصة للمجالس، وهي علامة واضحة على رقـــي الفكــر العربي، وتنظيم العلم، واهتمام الخلفاء والعلماء على حد سواء بهذه المجالس.

(١) الحموي: معجم الأدباء ١٤٤٧/٤

الفصل الثالث

في التأصيل الأدبي

كانت المجالس الأدبية حافزاً قوياً لتوليد أنماطٍ معرفية متعددة، كما شكّل التفاعل النّصي في المجالس الأدبية انفتاحاً على أجناس أدبية مختلفة(١).

"وفي سياق تطوّر المجلس أنتج المقامة، والأدب العجائبي ، وفنون السرّد القصصي التي جسّدت المتخيل الشعبي ، كما جسّدت الواقع التاريخي، وكان لها دورها في تكوين الثقافة العربية والإسلامية"(٢) كما أنتج الإملاء، والمذاكرة، والوعظ، والحكمة والنقائض، وغيرها من الأنماط المعرفية، التي كان المجلس الفضاء الأساسي لها، ففي العصر الأموي كانت الأشكال المعرفية في المجالس تتمثل في الوفادة والخطابة، اضافة إلى المذاكرة والنقائض، و كانت الوفود تأتي لمبايعة الخليفة، أو للتهنئة بالخلافة، أو للتعزية بموت الخليفة، وازدهرت الخطابة كفرع من فروع المجالس؛ إذ كان الخطباء يخطبون جلوساً ومن حولهم تلاميذهم ومستمعوهم في حلقات، وهيّأ لهم هذا شيئاً من التروّي والتّمهل كان له أثره في روعة الأداء(٣). كما كانت الخطابة الجبهة الأقوى التي يحارب فيها أصحاب الفرق والمذاهب السياسية بعضهم بعضاً، وخيرهم من كان أفصح وأشعر. وكان الخطباء يتبارون ويتفاخرون بالخطابة" فقد تبارى واصل بن عطاء، وخالد بن صفوان، وشبيب بن شيبة، والفضل بن عيسى الرقاشي، بين يدي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في إمارته على العراق (١٢٦-١٢٩هـ) ففضّل واصلاً

---

(١) يتولّد عن التفاعل بين المتكلمين في المجلس أنواع متعددة من الكلام، وهي في جملتها ترمي إلى تحصيل المعرفة، يقطين: المجلس، الكلام، ص١٩٦

(٢) أبو ديب: المجلسيات ، ص ٢١٥

(٣) ضيف، شوقي. **العصر الإسلامي**، ط٧(مصر: دار المعارف، د. ت) ص٤٤٣

بخطبته المشهورة التي جَانَب فيها الراء.[1] وكانت مجالس الخلفاء الأدبية، أشبه بندوات علمية كبيرة، يجتمع فيها الشعراء والخطباء والرواة والنقّاد والإخباريُّون والنسّابون، وتُنشد فيها القصائد، وتُلقى الخطب، وتروى الأخبار، وتحكى الأحاديث، ويذكر فيها فحول الشعراء من أهل الجاهلية والاسلام، وتستعرض أحسن معانيهم وأجود أبياتهم في فنون الشعر المتنوعة[2]. ومجالس الخلفاء الأدبية تستحق إفراد دراسة خاصة بها، فقد كان للخلفاء نشاطٌ واضحٌ في الدراسات الأدبية والنقدية منها خاصة، وقد شغلت قضية السرقات الأدبية حيّزاً في مجالسهم.

وأنشد اسحاق بن ابراهيم الموصلي للرّشيد قصيدة قال فيها:

سوامي سوام المكثرين تجمّلاً	ومالي كما قد تعلمين قليلُ
وآمرةٍ بالبخلِ قلتُ لها اقصري	فذلك شيءٌ ما إليه سبيلُ
وكيف أخافُ الفقر أو أُحرم الغنى	ورأي أمير المؤمنين جميلُ

فقال الرشيد: هذا والله الشعر الذي **صحّت معانيه، وقويت أركانه ومبانيه، ولذّ على أفواه القائلين واسماع السامعين**[3]. فالخليفة كان ناقداً لهذه الأبيات، من حيث المعنى والمبنى.

كما كان الخليفة ناقدا باختياره للأشعار، ففي مجلس المتوكل وعنده المازني، قال له: أنشدني أحسن مرثية للعرب،

فأنشده قول أبي ذؤيب: أمن المنون وريبها تتوجعُ.

وقصيدة متمم بن نويرة: لعمري وما دهري بتأبين هالكِ.

وقول كعب الغنوي: تقول سليمى ما بجسمك شاحباً.

---

(1) **نوادر المخطوطات**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط2(مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي،1392هـ/1972م) المجموعة الثانية ص134

(2) عطوان، حسين. **الرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي**، ط1(بيروت: دار الجيل، 1408هـ/1988م) ص42

(3) الجاحظ: المحاسن والأضداد ، ص9

فكان كلما أنشده قصيدة قال: ليست بشيء، ثم قال: من شاعركم اليوم بالبصرة؟ قلت: عبد الصمد بن المعذل، قال: فأنشدني له، فأنشدته أبياتاً قالها في ابن رباح:

أيا قاضية البصرة قومي فارقصي قطرة

فاستحسنها[1].

أولاً ــ الأنماط المعرفية التعليمية

احتضنت المجالس المراحل التعليمية المختلفة، منذ بدء التعليم، حتّى استوائه في كتاتيب ومدارس وجامعات، ومن أشهر مراكز التعليم التي تولّدت في المجالس:"مجالس الإملاء"، و"مجالس المذاكرة". واتّخذت هذه المراكز التعليمية أشكالاً تعليمية مختلفة, منها:العرض، والسماع، والقراءة، والإنشاد، والإجازة، والألغاز والأحاجي.

أــ مجالس الإملاء.

يُمثل الإملاء نمطاً معرفياً مهماً، ومركزاً من مراكز التعليم المنبثقة عن المجالس، وعلى الرغم من أنّها لا تعد فنّاً أدبياً قائماً بذاته، إلاّ أنها كانت ملتقى الأدباء والشعراء والعلماء الذين دوّنت أقوالهم وتحقيقاتهم للشعر بدقة، وتحددت كثير من الأجناس الأدبية والقواعد اللغوية والنّحوية في مجالسهم وإملاءاتهم. وكانت تتباحث الكثير من المسائل في اثناء الإملاء، ففي مجلس أبي جعفر النحاس في املاء " أخبار الشعراء"، أملى شعراً لقيس مجنون بني عامر، وهو قوله:

خليليَّ هل بالشامِ عينٌ حزينة تُبَكّى على نجدٍ لعلّي أعينها
قد أسلمها الباكون إلا حمامةً مطوّقةً باتت وبات قرينها

---

(١) الحموي: معجم الأدباء ٧٦٢/٢

تجاوبها أخرى على خيزرانةٍ يكادُ يدنّيها من الأرضِ لينها

فقال له منذر بن سعيد، يا أبا جعفر: ماذا باتا يصنعان؟ فقال له: وكيف تقول أنت يا أندلسي؟ فقلت له: بانت وبان قرينها[1].

وتعتبر مجالس الإملاء صورة من صور التأليف المنقّح المنظم. أما عن كيفية نشوء الكتاب في مجالس الإملاء، فيروي صاحب الفهرست نموذجا قوياً لذلك،"وعندنا من خبر كتاب الياقوت في اللّغة لأبي عمرو المطرز(ت٣٤٥هـ) ما يرينا كيف كان ينشأ الكتاب من الإملاء: إبتدأ المؤلف بإملاء هذا الكتاب يوم الخميس لليلة بقيت من المحرم(سنة٣٢٦هـ) في جامع المنصور ببغداد ارتجالا من غير كتاب ولا دستور، ومضى في الإملاء مجلساً مجلساً إلى أن انتهى إلى آخره، ثم رأى الزيادة فيه فزاد في أضعاف ما أملى وكتب هذه الزيادة أحد تلاميذه؛ ثم قرأه عليه أبو إسحاق الطبري وسمعه الناس ثم زاد فيه بعد ذلك، وقرئ عليه بالزيادة يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي القعدة(سنة٣٢٩هـ)، وفرغ منه في ربيع الثاني(سنة٣٣١هـ)، وأحضرت نسخ جميع من كتب فقورنت؛ ثم زاد المؤلف بعد ذلك أشياء أخرى كتبها محمد بن وهب، ثم جمع الناس ووعدهم بعرض أبي إسحاق عليه هذا الكتاب، وتكون أخر عرضة يتقرر عليها الكتاب ولا يكون بعدها زيادة." [2]

وفي استعراض كتب الأمالي دليلٌ على هذا التأليف، وفي كشف الظنون عرضٌ للكثير من كتب الأمالي، منها المطبوع ومنها المخطوط[3]. وكان جلوس العالم للإملاء يعني الإقرار بمكانته العلمية.

وكُتب الأمالي تقدّم صورة لمجالس الأمالي من حيث القضايا المطروحة فيها والأسئلة

---

(١) الحموي: معجم الأدباء ٦/ ٢٧٢١

(٢) ابن النديم: الفهرست ، ص٧٠

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون ١/١٦١ـ١٦٦

الموجهة للأستاذ، والأفكار السائدة التي تشغل الرأي العام وقتها، ومجالات الثقافة، ومحـــاور الاهتمام فيها (١)، كما تعد كتب الإملاء موسوعة شاملة في التفسير والإعـــراب والتـــصريف واللغة والأمثال والشعر. وقد حفظت بعض كتب الأمالي أشعاراً لم تحوها الدواوين والكتب ، وهي من باب النّادر والنفيس (٢).

كان من حصيلة مجالس الإملاء أن مهّدت لظهور المدارس ووجود طلبة منتظمين في حلقات درسهم، شغوفين لنيل العلم حراصاً عليه، وكان من حصيلة هذه المجالس ظهــور مدونات ، حرص أصحابها على إخراجها في أحسن هيئة.

وخصّص الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـــ) باباً في كتابه "الجامع لأخلاق الرّاوي وآداب السّامع" في مجالس الإملاء وفي آداب المستملي (٣).

ب: المذاكرة

بقيت المذاكرة الوسيلة الأهم في المحافظة على العلم كافة، قبل مرحلة التـــدوين، فقــد تذاكر العرب أشعارهم وآدابهم ومآثرهم وأخبارهم في مجالس سمرهم، بل كان وجهاء القـــوم يتوجهون إلى المجالس الأدبية في المحافل والأسواق لتذاكر العلم والشعر (٤).

قال أبو عبد الله جعفر بن محمد: " إنّ القلوب تُرْبٌ، والعلم غَرْسُها، والمذاكرة ماؤهـــا، فإذا انقطع عن التُرْب ماؤها جفَّ غَرسُها"(٥). وقيل في فضل المذاكرة: (٦)

ما لذّتي إلاّ رواية مسندٍ   قد قيدت بفصاحة الألفاظ

---

(١) الشيخ: كتب الأمالي والمجالس ، ص ٢٦ـــ٢٩

(٢) المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن(ت٤٢١هـــ). أمالي المرزوقي، تحقيق: يحيى الجبوري، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي،١٩٩٥م)، المقدمة ص٢٠، انظر بعض الأشعار النادرة ص٢١٣، ٢١٨، ٣٦٥

(٣) ٢/٢٥ـــ ٣٥

(٤) الأصفهاني: الأغاني ١٢/٥٨ ـــ زيدان: تاريخ آداب العربية ١/٢١١

(٥) الخطيب البغدادي: الجامع ٢/٢٧٨

(٦) نفسه ٢/٢٧٨

ومجالس فيها تحلّ سكينة　　　ومذاكرات معاشر الحفاظ

فالمذاكرة تذكّر بما عند الآخرين، وتحملهم على الإفادة، وتجدّد ما قد اندثر، وتبعثه من جديد، التقى عالمان فتذاكرا فقال أحدهما للآخر: يرحمك الله فرب حديث أحييته في صدري كان قد مات[١]. ولذلك كان العلماء كافة يكرهون الاجتماع دون مذاكرة[٢]. كما كان الخلفاء يهتمون بالمذاكرة في مجالسهم؛ فقد سأل الرّشيد الأصمعي عن قصة مثل، وأردف قائلاً: والله إنّي لا أسألك سؤال امتحان، ولكني أجعله سبباً للمذاكرة"[٣].

وقد حُفظ الحديث بمذاكرة الصحابة له[٤]، ومما أُثر عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– قوله: تزاوروا وتدارسوا الحديث ولا تتركوه يدرس. وعن أبي سعيد الخدري قال: تحدّثوا وتذاكروا فإن الحديث يذكر بعضه بعضاً.[٥] وكانت المذاكرة شأن الشعراء والأدباء في الملتقيات الأدبية[٦].

ووجود المذاكرة من أهم الأسباب التي حافظت على الشعر العربي من الضياع، وهي دليل على وجود الشعر الجاهلي، ووجودها يعدّ ردّاً قوياً على كل من أنكر الشعر الجاهلي ووصوله إلينا أمثال مرجليوث (Margolioath) [٧]. عن الصولي قال: حدثني يحيى بن البحتري، قال: رأيت أبي يُذاكر جماعة من شعراء الشام بمعانٍ من الشعر، فمرّ فيها قلة نوم العاشق وما قيل في ذلك، فأنشدوا إنشادات فيها، فقال لهم أبي: فرَغ من هذا كاتب العراق

---

(١)الخطيب البغدادي: الجامع ٢/٢٧٣

(٢) الحموي : معجم الأدباء ٦/٢٤٥٠

(٣) ابن عبد ربّه: العقد ٥/٣١٠ـ٣١٧

(٤) الخطيب البغدادي: الجامع ١/٢٣٦

(٥) نفسه

(٦) الحموي: معجم الأدباء ٤/١٥١١

(٧) ضيف، شوقي. **العصر الجاهلي**، ط٨(مصر: دار المعارف، د.ت) ص١٦٦ (في كتاب مرجليوث"أصول الشّعر العربي" ينفي أن تكون الرّواية الشفوية هي التي حفظته).

ابراهيم بن العباس، فقال:

أحسبُ النومَ حكـــاكـــاً إذ رأى منكَ جفاكــــا

منّي الصبر ومنك الهجــــــــــــــــــرُ فابلغ بي مداكـــــا

كذّبت همّــةُ عيْــنٍ طَمعت في أن تراكـــــا

ثمّ قال البحتري: تصرّفت هذه الأبيات في معانٍ من الشعر أحسن في جميعها(١).

ج ـ وقد أفرزت هذه المراكز التعليمية أشكالاً تعليمية مختلفة ، أهمها:

١ ـ **السّماع**: وهو أن يقرأ الشيخ كتاباً، وحوله طلبة يستمعون إليه . وتختلف مجالس السّماع عن مجالس الإملاء في أنّ المستمعين لا يدوّنون ما يقرؤه الشيخ (٢).

٢ ـ **القراءة** : أي أن يقرأ عالم على جماعة من العلماء كتاباً ألّفه . في مجلس حضره جماعة من أهل العلم، وفيهم الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبو عبيد القاسم بن سلام، فقال يحيى: إقرأ علينا كتابك في غريب الحديث، فقرأه عليهم(٣).

وقد يقرأ الكتاب لغاية أخرى، كقراءة الطالب على شيخه، فقد قرأ أبو القاسم النحوي العروضي كتاب "الوقف والابتداء" على شيخه أبي سعيد (٤). وقد يُقرأ الكتاب لتباحث مسألة ما(٥)، أو للتعريف بكتاب جديد (٦).

٣- **العرض**: كان الشعراء المبتدئون يعرضون أشعارهم على فحول الشعراء، ليشهدوا لهم بجودتها ويأذنوا لهم بنشرها. فقد عرض مروان بن أبي حفصة شعره على يونس ، وقال

---

(١) الحموي: معجم الأدباء ١/ ٨٣

(٢) الخطيب البغدادي: الجامع ١/١٤٥، الحموي: معجم الأدباء ٦/٢٤٧٢

(٣) التنوخي: النشوار ٧/ ٦٣ـ٦٤

(٤) الحموي: معجم الأدباء ٤/١٥٧٧ـ١٥٧٨

(٥) الحموي: معجم الأدباء ٤/١٨٣٠

(٦) نفسه ٦/٢٤٧٢

له: أصلحك الله، إنّي أرى قوماً يقولون الشعر، لأن يكشف أحدهم سوءته ثم يمشي كذلك في الطريق أحسن له من أن يُظهر مثل ذلك الشعر، وقد قلت شعراً فإن كان خيراً أظهرته، وإن كان رديئاً سترته. فأذن له يونس بنشره [1]. وعرض الشّاعر الكميّت بن زيد الأسدي قصيدته" طَرِبْتُ وَمَا شَوْقاً إلى البِيضِ أَطْرَبُ"، على الفرزدق قبل أن ينشرها، فقال له الفرزدق: أظهر ثم أظهر وكِدِ الأعداء، والله أنت أشعر من مضى وأشعر من بقي [2]. كما كان أبو تمام يجلس للشعراء فيعرضون عليه أشعارهم [3].

٤ــ **الإجازة**: هي أن ينظم الشّاعر على شعر غيره في معناه، ما يكون به تمامه وكماله، وقد يكون بين متعاصرين أو غير متعاصرين، وهي مشتقة من الإجازة في السقي، يقال:أجاز فلان فلاناً إذا سقاه أو سقى له، فكأنهم شبّهوا عمل الشّاعر المجيز لعمل الشّاعر المجاز شعره، بسقي الشخص للشخص [4].

قال سيف الدولة يوماً لجلسائه، أيّكم يُجيز قولي [5]:

لَكَ جِسمي تعلّه　　　فَدَمي لِمَ تُحلّه

لَكَ مِنْ قَلْبي المكان قُلِمَ لاتحلّه

فارتجل أبو فراس قائلاً:

أنا إن كنتُ مالكاً　　　فَلِيَ الأمر كلّه

وفي مجلس المعتمد بن عباد، قال: سَعْدُ السُّعود يتيهُ فوق الزّاهي، ثم استجاز الحاضرين

---

(١) نفسه ٦/ ٢٨٥١ــ٢٨٥٢

(٢) المسعودي: المروج ٣/ ٢٤٢ــ٢٤٣

(٣) الحموي: معجم الأدباء ٦/٢٦٠١(للمزيد انظر: ١/٢٥٧ــ ٦/٢٦٠٢)

(٤) ابن ظافر: البدائع ص٦٢(وفي الكتاب باب كامل في الإجازة ص٦١ــ١٦٣) ومن فروع الإجازة "التمليط" وهو أن يجتمع شاعران فصاعداً على تجريد أفكارهم في العمل على معنى واحد، انظر: المصدر نفسه ص١٦٧ــ٢٥٠

(٥) الثعالبي: يتيمة الدّهر ١/٢١

فعجزوا، فصنع ولده عبدالله الرشيد أبياتاً:

ومن اغتدى سكناً لمثل محمدٍ   قد جل في العليا عن الأشباهِ

لا زال يخلد فيهما ما شاءهُ   ودهت عِداه من الخطوب دواهِ(١)

ومن الإجازة **قول الشعر بديهة**، ففي أحد مجالس سيف الدولة ، أخرج خازنه يوماً قدحاً من ياقوت أزرق فملأه ماء وتركه يتشعشع، فطلب من جلسائه أن يقولوا فيه شعراً، فقال أبو الفرج الببغا في الحال:

كم منّة للظلام في عنقي   بجمع شملٍ وضم معتنق

وكم صباح للراح أسلمني   من فلقٍ ساطعٍ إلى فلقِ

فعاطنيها بكراً مشعشعة   كأنّها في صفائها خلقي(٢)

وكان صاعدٌ بمجلس المنصور، فأحضرت إليه وردة في غير أوانها لم يكمل فتح ورقها، فقال فيها صاعد مرتجلاً:

أتَتْك أبا عامرٍ وردةٌ   يُذَكّركَ المسكُ أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصرٌ   فغطّت بأكمامها راسها(٣)

٥ـ الإنشاد: وهي مجالس تُتناشد فيها الأشعار. وهذه المجالس مبثوثة في كتب الأدب، وتأتي على صيغة أنشدنا. وقد كرهوا الاجتماع دون الانشاد. اجتمع دعبل الشاعر ومسلم وأبو الشيص وأبو نواس في مجلس، فقال لهم أبو نواس: إنّ مجلسنا هذا قد شهر باجتماعنا فيه، فليأت كل واحد منكم بأحسن ما قال، فلينشده، فتناشدوا جميعاً(٤). وللإنشاد دور مهم في

---

(١) ابن ظافر: البدائع ، ص٨٦

(٢) التنوخي: النشوار ٧/ ١٠٩ـ١١٠، ١١٢

(٣) الحموي: معجم الأدباء ٣/ ١١٦٥

(٤) ابن عبد ربه: العقد ٥/ ٣٧٤ـ ٣٧٥

تقريب الشعر للمستمع، وقد شكّل الإنشاد عـــاملاً أساســـياً مـــن عوامـــل نجـــاح المجـــالس وازدهارها[1].

٦ـ **الأحاجي والألغاز:** أفرزت مجالس المذاكرة" فن الأحاجي والألغاز" أو المعمّيـــات، وكانت الألغاز تطرح شعراً أو نثراً، وقد أورد صاحب البدائع طرفاً من ألغاز العصر الجاهلي، وسمّاها " الأوابد"[2] ، مثل اجتماع امرئ القيس وعبيد بن الأبرص، قال عبيد:

ما حبّـــةٌ مَيْتـــةٌ أحْيَت بِمَيْتِها دَرْدَاءَ ما أنبتتْ سِناً وأضرَاساً

فأجاب امرؤ القيس:

تِلْكَ الشَّعيرَةُ تُسْقَى في سَنَابِلِها فأخْرَجَتْ بَعْدَ طُول المُكثِ أكْداساً

واهتم الخلفاء بهذا الفن وتذاكروه في مجالسهم، ولهارون الرشيد(ت١٩٣هـ) مجلس مع المفضل الضبي، يسأله عن بيت شعري أوله أعرابي في شملته هب من نومته، وآخره مـــدني رقيق غذّي بماء العقيق[3] ، فقال:

ألا أيّها النوّام ويحكم هبّوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحبّ؟

ومن الألغاز النثرية لغزٌ في المرآة، في مجلس الموفق أبي الحجاج وقد نظم معمّى في المرآة، فقال: شيء شديد الباس ، يغيّره الضعيف الأنفاس... [4]

وتبيّن الألغاز مقدار المخزون اللغوي، ومدى انفتاح العقلية العربية على فنون عقلية ـ أدبية[5].

---

(١) هاشم: الأندية الأدبية، ص٩١

(٢) ابن ظافر: البدائع ، ص١٣ـ ١٥، انظر مجلس ألغاز لإمرئ القيس في النويري: نهاية الأرب ١٤٧/٣ـ١٤٩

(٣) ابن عبد ربه: العقد ٣٨٢/٥ ـ الحموي: معجم الأدباء ١٤٤٥/٤ وعند الحموي كانت الملاغزة بين الهيـثم بـن عدي وصالح بن حسان.

(٤) الحموي: معجم الأدباء ٥١٦/٢

(٥) للمزيد انظر: الحموي: معجم الأدباء ١٨٤،٢٢٥/١ ، ١١٣٢/٣ ، ١٦٧٨/٤ ـ ابن عبد ربه: العقد ٤٧١/٦

ثانياً ـ الأنماط السردية القصصية

اهتم العرب منذ الجاهلية بمجالس القصّاص، في سمرهم وفي حروبهم في الصحراء الشاسعة، وتداخلت مجالس القصّاص بالوعظ والحكمة، فقد يعظ الواعظ ذاكراً قصة أو حكمة، وكذلك القاصّ قد يورد قصصه للعبرة والعظة إلا أنّ هناك فرقاً جلياً بينهما، في مدى تحرّيّ الحقائق؛ فالواعظ قد يكون أكثر مصداقية من القاصّ، الذي يكون هدفه في الغالب تسلية الناس وجذبهم لحديثه.

أ ـ "القصّ"

تكمن أهمية مجالس القصّاص في أنّها البذرة الأولى للمرويات التاريخية ـ كما سنذكره لاحقاً ـ كما أنّها تمثّل ثقافة الشعب وطموحه وآماله؛ لذلك فمجالس القصّ تجسّد الواقع الشعبي والتاريخي في آن واحد. وتعدّ القصص النّواة الأولى التي نبتت منها عناصر القصة العربية، التي انصهرت فيها ثقافات الأمم الأخرى[1].

وعلى الرغم من الفرق بين القاصّ والواعظ؛ إلاّ أن هناك من اعتبر القصّاص وعّاظاً في الوقت نفسه، بل هم لا يقصون إلاّ من أجل الوعظ[2]. ومن خلال البحث نجد أنّ القاصّ ليس بالضرورة أن يكون واعظاً؛ بل يقص لأجل التسلية والسّمر.

وقد فرّق التوحيدي بين المجالسة والقصص، إذ قال له الوزير: "هذا فنّ حسن وأظنّك لو تصديت للقصص والكلام على الجميع، لكان لك حظٌ وافرٌ من السّامعين والعاملين والخاضعين والمحافظين". فيردّ عليه التوحيدي رافضاً فكرة القصّ" ان التصدّي للعامّة خلوقة، وطلب الرفعة بينهم ضعة، والتشبّه بهم نقيصة، وما تعرض لهم أحد إلاّ أعطاهم من نفسه

---

(١) بلبع، محمد توفيق، "**المسجد والقصاص والمذكّرون**" (مجلة عالم الفكر، مج١٢،ع٤، ١٩٨٢م). ص٤٠١

(٢) ضيف: العصر الاسلامي ، ص ٤٣٦

وعلمه وعمله ولوثته ونفاقه وريائه أكثر مما يأخذ منهم مـن إجلالهـم وقبـولهم وعطـائهم وبذلهم."[1] والتوحيدي بهذا يُشعر بجلاء تام، أنّ المجالسة تختص بسياق معين مـن التكـوين الفكري والنفسي؛ فالتوحيدي يرى أنّ القاصّ يخرج أشياء من أمّ دماغه" أمّا المجلـسي فإنّـه "يقتبس ويقبس" فالأول مبتكر مختلق والثاني ناقل محاور، آخذ معط.[2]

وقد ذكر بعضهم الفرق بين مجالس القصّاص ومجالس الخواص، وأنّ أحاديث القـاصّ طويلة ذات معانٍ مغلغلة، وألفاظ حشوية ينقضي باقتصاصها زمان المجلـس، وتتعلّـق بهـا النفوس، وليس هذا في مجالس الخواص [3]. كما أنّ الفرق واضح بين مجـالس الأدب عامّـة ومجالس القصّاص في انقطاع الحوار والتفاعل بين السارد والمسرود له، فيصبح المسرود له مستمعاً غير فاعل وغير محاور كما في مجالس المثاقفة والمحاورة.

وقد ازداد الاهتمام بأمر القصاص بعد أن ارتبط عملهم بسياسة الدولـة منـذ العـصر الأموي، وأصبح من حق أولي الأمر تعيين القصاص والإشراف عليهم[4].

ب ـ"الوعظ والحكمة"

تعد مجالس الوعظ والحكمة من الأنماط المعرفية القصصية، ومع أنّها تتفق معها فـي أمور، إلا أنها تختلف في أمور أخرى. فالوعّاظ قد يقـصّون القـصص المليئـة بالموعظـة والحكمة، فقد عرف عند العرب اهتمامهم بتداول أخبار الحكمة والحكمـاء فـي مجالـسهم[5] واستمروا على ذلك، واهتم الخلفاء بطلب الحكمة، كما أنّ العجم تذاكروها في مجالسهم،" ذُكر أن أربعة من الملوك اجتمعوا فقال كلهم كلمة واحدة كأنّها رمية بسهم، قال أحدهم: إذا تكلمت

(١) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ، ص ١٩٦

(٢) أبو ديب: المجلسيات ، ص ٢١٥

(٣) المسعودي: المروج ٢٨٤/٣

(٤) بلبع: المسجد والقصاص والمذكرون، ص ٣٩٩

(٥) ابن عبد ربّه: العقد ٢٥٤/٢-٢٥٥

بكلمة تملكني ولا أملكها، وقال الآخر: قد ندمت على ما قلت ولم أندم على ما لم أقل. وقال الآخر: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت، وقال الأخير: ما حاجتي أن أتكلم بكلمة إن وقعت عليّ ضرّتني وإن لم تقع عليّ لم تنفعني"(١). كما أُثر عن ملوك الهند اهتمامهم بمجالسة الحكماء(٢). ومن مظاهر اهتمام الخلفاء بمجالس الحكمة، ما ذكر عن مجالس معاوية في الحكمة وطلبها من جلسائه(٣) وكان اهتمام الخلفاء بالحكمة أمراً فاصلاً حاسماً لبعض قرارات الدولة، فقبل أن يقرّر المنصور(ت ١٥٨هـ) قتل أبي مسلم الخراساني، استدعى جليسه العقيلي ليحدّثه بقصة سابور الأكبر، وسماع الحكمة من هذه القصة التي قُتِل على أثرها أبو مسلم(٤). وكان من اهتمام ذي الرئاستين بالحكمة أنه كان يبعث ببعض أهله إلى شيخ بخراسان لتعلّم الحكمة(٥).

كما اهتم الواثق بمجالسة الحكماء وطلب الحكمة(٦). وكان العلماء يتذاكرون أقوال الحكماء في مجالسهم ، فحين وفاة عضد الدولة (ت٣٧٢هـ) وصل خبره إلى مجلس بعض العلماء، فتذاكروا الكلمات التي قالها الحكماء عند موت الإسكندر فذكروها وكانت عشراً، ثم قالوا كلمات في موت المعتضد لتُؤثر عنهم(٧).

وكانت مجالس الوعاظ تفيض بالحكمة، واشتهرت مقامات العبّاد بين يدي الخلفاء ومنها

---

(١) الدينوري، أبو بكر(ت٣٣٣هـ). **المجالسة وجواهر العلم**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، ط١(بيروت: دار ابن حزم،١٩٩٨م) ١١٤/٦

(٢) التنوخي: النشوار ٩٦/١

(٣) الحموي: معجم الأدباء ١٢٧٨/١، ١٥٨١/٤، المسعودي: المروج ١٩٧/٣

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ٣٦٧/٣-٣٦٩

(٥) البيهقي: المحاسن والمساوئ ، ص٢٠١

(٦) المسعودي: المروج ٨٣/٤-٨٤

(٧) التنوخي: النشوار ٢٥٧/٧

مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي(١)، ومقام الأوزاعي عند المنصور(٢) ومقام ابن السمّاك(٣) وعبد الملك بن صالح عند الرشيد(٤)، وخالد بن صفوان بين يدي هشام بن عبد الملك(٥). وقد ذكر ابن قتيبة طائفة من مقامات العباد بين يدي الخلفاء(٦) وذكر طائفة منها الوشّاء(٧)، كما اشتهر ابن الجوزي بمجالس وعظه في مدينة السلام ببغداد.(٨)

ومن مواعظ ابن السماك للرّشيد: يا أمير المؤمنين، إنك تموت وحدك، وتغسل وحدك، وتكفن وحدك، وتقبر وحدك. يا أمير المؤمنين، إنما هو دبيب من سقم، فيؤخذ بالكظم، وتزل به القدم، ويقع الفوت والندم، فلا توبة تنال، ولا عثرة تقال، ولا يقبل فداء بمال(٩). ونلاحظ الصيغة الأدبية لهذه الموعظة.

ثالثاً– "المناظرات والنقائض"

تعدّ المناظرات والنقائض فنوناً أدبية قائمة بذاتها، أسهمت المجالس في تطوّرها ونضجها.

أ– "المناظرات"

ارتبط مفهوم "المناظرة" بوجود الصّراع الفكري، كونها تخدم الفرق والشيع الدينية

---

(١) ابن عبد ربّه: العقد ١٥٨/٣

(٢) نفسه ١٦٢/٣

(٣) نفسه ١٦٤/٣

(٤) نفسه ١٥٢/٢

(٥) الحموي: معجم الأدباء ١٢٣٣/٣

(٦) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ). **عيون الأخبار**(بيروت: دار الكتاب،١٣٤٣هـ/١٩٢٥م) ص١٦–٣٣

(٧) الوشاء، أبو الطيب محمد بن أحمد(ت٣٢٥هـ). **الفاضل في صفة الأدب الكامل**، تحقيق: يحيى الجبوري، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي،١٤١١هـ/١٩٩١م) ص ١٤٧–١٥٣

(٨) ابن جبير: رحلة ابن جبير ، ص١٧١–١٧٥

(٩) التنوخي: النشوار ٧/ ٥٨

والسياسية التي كانت تتنازع فيما بينها في الدفاع عن معتقداتها، فكانت نوعاً من أنواع الخطاب الاحتجاجي[1]. وقد ازدهرت المناظرة في مجالس المأمون والمعتصم والواثق، وهي الفترة التي شهدت تعاظم نفوذ المعتزلة وفتنة خلق القرآن. كما عرفت الكثير من المناظرات الأدبية، أشهرها مناظرات بديع الزمان الهمذاني مع أبي بكر الخوارزمي، ومنها مناظرتهما في مجلس نقيب السادة بنيسابور، فقال بديع الزمان للخوارزمي: إنّما دعوناك لتملأ المجلس فوائد، وتذكر الأبيات الشوارد، والأمثال الفوارد، ونباحثك فنسعد بما عندك، وتسألنا فتسرُ بما عندنا.. فقال له الخوارزمي: أقول لك ما قال موسى للسحرة(قال بل ألقوا). فقال البديع:

الشعرُ أصعبُ مذهباً ومصاعداً ... من أن يكون مطيعة في فكّهِ

والنَّظمُ بحرٌ والخواطر معْبَرٌ ... فانظر لإلى بحر القريضِ وفلكهِ

فمتى توانى في القريض مُقصّرٌ ... عرَضَتْ أذن الامتحان لعركهِ

فاستمرا في تناشد الشعر ونقده، فلما قام أبو بكر أشار إلى البديع، وقال: لأتركنك بين الميمات، فقال: ما معنى الميمات؟ فقال: بين مهدوم، مهزوم، مغموم، محموم، مرجوم، محروم، فقال البديع: لأتركنك بين الهيام، والسقام، والسام، والبرسام، والجذام، وبين السينات بين منحوس، ومنخوس، ومنكوس، ومعكوس. وبين الخاءات من مطبوخ، ومسلوخ، ومفسوخ، وممسوخ. وبين الباءات بين مغلوب، ومسلوب، ومصلوب، ومنكوب.[2] ولا يخفى لما هذه المناظرة من اظهار البراعة الأدبية.

وللمناظرة طرق مختلفة: منها المحاجة والإلزام وطريقة التحسين والتقبيح.[3] والمناظرة

---

(١) الصديق، حسن. **المناظرة في الأدب العربي الإسلامي**. ط١(بيروت: مكتبة لبنان،٢٠٠٠م) ص٣

(٢) الحموي: معجم الأدباء ٢٣٩/١ــ٢٤٤

(٣) صالح، محمود عبد الرحمن. **فنون النثر في الأدب العباسي**(عمان: منشورات وزارة الثقافة،١٩٩٤م). ص ٤١-٤٥

تكثر مجالسها مع ازدهار النشاط العقلي وكثرة المباحث الكلامية، وتشعب مفردات علم الكلام واتضاح اتجاهاته ومدارسه بالإضافة إلى اتضاح المذاهب الفقهية والمذاهب النحوية واللغوية [١] واهتم العلماء بالمناظرات، وأصبحت وسيلة للمحاجة العلمية والعقلية في فـروع العلـم. واشتهرت مناظرات القاضي الباقلاني(ت٤٠٣هـ) مع النصارى وغيرهم، ومن مناظراته مع البطريك، سلَّم القاضي عليه أحفل سلام وسأله أخص سؤال، وقال له: كيف الأهـل والولـد؟ فعظم قوله هذا عليه وعلى جميعهم وتغيّروا له، وصلّبوا وجوههم، وأنكروا قول أبـي بكـر عليه، فقال: يا هؤلاء، تستعظمون لهذا الانسان اتخاذ الصاحبة والولد، وتربئون به عن ذلك، ولا تستعظمونه لربّكم عزَّ وجهه، فتضيفون ذلك إليه، سوءة لهذا الرأي ما أبين غلَطه. فسقط في أيديهم ولم يردّوا جواباً.[٢] وهذه المناظرات من المنـاظرات اللاهوتيـة فـي الحـضارة الاسلامية.[٣].

وتعد مناظرة أبو سعيد السيرافي(ت٣٦٨هـ) وأبو بشر متى بن يونس القنّـائي، فـي مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات(ت٣٢٦هـ)، قال فيـه الـوزير ابـن الفرات: ألا ينتدب منكم إنسان لمناظرة متّى في حديث المنطق، فإنّه لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل، والصدق من الكذب، والخير من الشر، والحجة من الشبهة، والشك من اليقين، إلا بما حويناه من المنطق، وملكناه من القيام به، واستفدناه من واضعه على مراتبـه وحـدوده، فاطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه. فاحجم القوم وأطرقوا، قال ابن الفرات: والله إن فيكم لَمَن يفي بكلامه ومناظرته وكسر ما يذهب إليه، وإني لأعدكم في العلم بحاراً، وللدين وأهلـه

(١) الحسناوي: المناظرات اللغوية والأدبية، ص ٥٩

(٢) السكوني، أبو علي عمر السكوني(ت٧١٧هـ). **عيون المناظرات**، تحقيق: سعد غراب(تونس: منشورات الجامعة التونسية،١٩٧٦م) ص٢٤٩

(٣) صديق: المناظرة ، ص١٧٦

أنصاراً...، فتصدى السيرافي لمناظرته[1].

والمناظرة فن قائم بذاته، أُلف فيه جماعة من العلماء، القدامى والمحدثين، ووضعوا لــه أشراطا وأصولا. وقد كتب السكوني(ت٧١٧هـ) " عيـون المنـاظرات"، وأشـار إلـى أن المناظرات تشتمل على العلوم، لذلك جمعها، وقد جمع في كتابه، المناظرات من أول الخليقـة إلى الخلفاء الرّاشدين[2].

ب ـ" النقائض" [3]

هيَّأ استعار العصبيات في البصرة وخراسان لاشتعال الهجاء طوال العـصر الأمـوي، ونمو فن النقائض نمواً واسعاً. لذلك تعدّ النقائض أو المناقضة المرحلة الأخيرة مـن مراحـل تطور الهجاء القبلي، وفي العصر الأموي جرى الهجاء القبلي على طريقة النقائض، لذلك تعد النقائض هجاءاً مقروناً بفخر[4]. كما ساعد اجتماع شعراء الهجاء والفخر بنظم قـصائد فـي الفخر في القبيلة وأمجادها والتعرض للخصوم، الذين يردّون بقصائد لاذعة اللهجـة والنـاس مجتمعون يصفقون ويهتفون[5] .

وعملت مجالس المفاخرة هذه على قيام الشعراء بالدفاع عن قبائلهم، "وتحت تأثير هـذه المناظرات ألّف جرير والفرزدق والأخطل نقائضهم، في الدفاع عن قبـائلهم أو عـن قبائـل

---

(١) التوحيدي: الامتاع والمؤانسة ، ص٩٩ــ١١٥

(٢) السكوني: عيون المناظرات ، ص١٤

(٣) فن النقائض كان لوناً من المباراة الأدبية يظهر فيها كل من الشاعرين المتناقضين مهارته في التغلب على خصمه، ضمن قيود فنية مرسومة، وهذه القيود من شأنها أن تسهل على المحكّمين أمر المفاضلة بين النقيـضتين والموازنـة بينهما. واشتهرت في الأدب نقائض جرير والفرزدق والأخطل.(انظر: الشايب، أحمد. **تاريخ النقائض فـي الـشعر العربي**، ط٣(مصر: مكتبة النهضة المصرية،١٩٩٨م) ص ٣

(٤) النص، احسان. **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي**، ط٢(بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣م) ص ٤٢٣

(٥) ضيف: العصر الإسلامي ، ص٢٤١ــ٢٤٣

أخرى، ومهاجمة الخصوم ودفع حججهم"[١]. وعرفت مجالس النقائض بينهم، وإن كان لا يجمعهم مجلس واحد، إلا أن الناس يجتمعون لسماع هذه النقائض، قال أبو عبيدة: وقف جرير بالمربد وقد لبس درعاً وسلاحاً تاماً، وركب فرساً أعاره إياه أبو جهضم عباد بن حُصين الحَبطيّ، فبلغ ذلك الفرزدق فلبس ثيابَ وشيٍ وسواراً، وقام في مقبرة بني حصين ينشد بجرير، والناس يسعون فيما بينهما بأشعارهما، فلما بلغ الفرزدق لباسُ جريرٍ السلاح والدرع، قال:

عجبتُ لراعي الضأنِ في حُطَمِيَّة وفي الدرعِ عَبدٌ قد أُصيبت مقاتِلهْ

وهل تَلبَس الحُبلى السلاح وبطنها إذا انتطقت عِبء عليها تُعادلهْ

ولما بلغ جريراً أن الفرزدق في ثياب وشي، قال:

لبستُ أداتي والفرزدق لُعبة عليه وِشاحاً كُرَّجٍ و جلاجلهْ

أعِدُّوا مع الحَلي الملابَ فإنما جرير لكم بَعل وأنتم حلائلهْ[٢]

وكان الخلفاء والولاة يستقدمون شاعريها المبرزين ليتناشدوا أمامهم[٣]. وكان الحجّاج (ت ٩٥هـ) من الولاة الذين شجعوا مثل هذه العصبيات بين القبائل والبلاد، وجرت مفاخرة في مجلسه بين مصر واليمن، فاستأذنه خالد بن صفوان بالحديث، فقال له: تكلم ولا تهب أحداً[٤]. وكان السفّاح تعجبه المفاخرات، وكان يشجعها ويذكيها[٥]. ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة استلام الدولة العبّاسية الحكم؛ فكان لا بدّ للدولة الجديدة أن تفخر بنفسها وبقبائلها على الدولة

---

(١) ضيف ، شوقي. **التطوروالتجديد في الشعر الأموي**، ط٣(مصر: دار المعارف،١٩٦٥م) ص٨١ للمزيد انظر أمثلة على النقائض: أبو عبيدة المعمر بن المثنى(ت٢٠٩هـ). **نقائض جرير والفرزدق**، تحقيق: خليل المنصور(بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٩٨م) ١/٧٦، ٨٩

(٢) نقائض جرير والفرزدق: ص٦٢٣ و٦٥٠

(٣) الأصفهاني: الأغاني ٨/ ٣٧، ٧٦

(٤) المسعودي: المروج ٣/٢١٥ــ البيهقي:المحاسن والمساوئ ، ص١١٩ــ١٢٢

(٥) الأبشيهي: المستطرف ١/٢٠٢

المنصرمة، حتى تكسب أكبر تأييد من الشعب؛ فاذكاء روح العصبيات سلاح حاد في يد الدولة.

رابعاً- "المجالس المتخيلة"

وردت مجموعة من المجالس المتخيلة في التراث العربي، فقد أورد ابن شهيد في "التوابع والزوابع" طائفة من المجالس بينه وبين الشعراء، وفي "رسالة الغفران" و "المقامات" و "المنامات"، وفي قصص "ألف ليلة وليلة" و "كليلة ودمنة" ومحاكمة الحيوان للإنسان في إخوان الصفا وغيرها. وهذه المجالس المتخيلة تؤكد أهمية المجالس الأدبية عند الأدباء في إيصال الأفكار والمعتقدات، كما أن هذه المجالس المتخيلة تؤكد الدور السياسي والاجتماعي الذي تؤديه. والمجلس خير وسيلة لنشر فكرة ما، وقد كانت المجالس المراكز الهامة في عصور العرب؛ فالمجلس في أصله تجمّع وحضور جماعة من الناس وهذا يعطي الكلام الشهرة بين جمع الناس والأدباء؛ وإذا أردنا تأويل البنية التخييلية في رسالة ابن شهيد قلنا إنها صورة واضحة لنقد المجتمع والواقع،"وليس من شك، في أن النزعة الذاتية تبدو واضحة تمام الوضوح في تضاعيف الرسالة"(١)، وابن شهيد والمعري في نقدهما للشعراء والأدباء، أرادا تأسيس فضاء يقوم عن مثيله الوضعي والاجتماعي الذي يعيشان فيه، وهما بذلك يقدمان صورة رافضة للمجتمع، فهذه المجالس المتخيّلة تعكس صورة الأدب المفترض والمتخيل وتجسد صور الرفض والفرض في المجتمع الأدبي، "رفض" اقصاء الأديب وانتباذه في مجتمعه، و"فرض" واقع جديد متخيل يفترض الأديب وجوده." فهذه النصوص تنطوي على ما يعلل نشوء النص الأدبي ذاته، فالنّص بما هو بنية منغلقة على نفسها لم يستو بنية إلاّ بعد مروره بعملية انبناء وبهذا الانبناء تنطبع في النص شتى المؤثرات الحافّة بالمنشئ وتفعل فعلها

---

(١) خريوش، حسين. رسالة التوابع والزوابع" دراسة في الرؤية الأدبية وفلسفة الإبداع"، (د.م: د.ن، د.ن) ص٢٥

في جمالية النص وتبقى العلامات النصية دالّة على وجود هذه المؤثرات؛ لذلك فالمنشئ مرتد إلى ذاته، وهواجسه الباطنية، فتغدو هذه الذات بما تحمله من هموم ومشاغل وتجارب متحكّمة في صياغة القول الأدبي"[1].

ولم يجد هؤلاء الأدباء فضاءً أرحب من المجالس ليعبّروا عن ذواتهم وهواجسهم وهمومهم، وكان المجلس خير وسيلة لإبراز تفوقهم الأدبي. وفي مجلس أدبي من مجالس ابن شهيد، يقول[2]"وحضرت أنا أيضاً وزهير مجلساً من مجالس الجنّ، فتذاكرنا ما تعاوَرَتْه الشعراء من المعاني، ومن زاد فأحسن الأخذ، ومن قصّر، فأنشد قول الأفْوه[3] بعض من حضر:

وترى الطَّيرَ على آثارنا رَأيَ عَينٍ ثِقَةٍ أنْ ستُمارْ

وأنشد آخر قول النابغة[4]:

إذا ما غَزَوْا بالجيش حلَّقَ فوقَهُم عصائبُ طَيْرٍ تهتدي بعصائبِ

تَراهُنَّ خَلْفَ القومِ خُزْراً عُيُونُها جلوس الشيوخ في ثياب المرانبِ

جَوانحَ قَدْ أيقنَّ أنَّ قَبيلَهُ إذا ما التقى الجيشانِ أوّلُ غالبِ

وأنشد آخر قول أبي نواس[5]:

تَتَأيّى الطَّيرُ غَدْوَتَهُ ثِقَةً بالشِّبْعِ من جَزَرِه

وأنشد آخر قول صريع الغواني[6]:

---

(١) عيّاد، محمد. **مضارب التأويل**، تقديم: محمد الخبو(صفاقس: التسفير الفني،٢٠٠٣م) ص ١١٠

(٢) ابن شهيد: رسالة التوابع والزوابع ، ص٧٠ــ٧١

(٣) هو الأفوه الأودي الشاعر الجاهلي

(٤) **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق: شكري فيصل، ط١(بيروت: دار الفكر، ١٩٦٨م) ص٥٧

(٥) **ديوان أبي نواس**، تحقيق: أحمد الغزالي(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٥٣م) ص٤٣١

(٦) **ديوان صريع الغواني، مسلم بن الوليد** . تحقيق: سامي الدّهان، ط٢(مصر: دار المعارف، ١٩٧٠م) ص١٢

قدْ عوَّدَ الطَّيرَ عاداتٍ وثقنَ بها   فَهُنَّ يَتْبَعْنَه في كلِّ مُرْتَحلِ

وأنشد آخر قول أبي تمام(١):

وقد ظُلِّلتْ عِقْبانُ أعلامِهِ ضُحىً   بِعِقْبانِ طَيرٍ في الدِّماءِ نواهلِ

أقامت مع الرَّاياتِ حتَّى كأنَّها   منَ الجيشِ إلا أنها لم تُقاتلِ

فقال شَمَرْدَلُ السّحابي: كلُّهم قصَّر عن النَّابغة، لأنه زاد في المعنى، ودلَّ على أنَّ الطير إنّما أكلت أعداء الممدوح، وكلامهم كلهم مشترك يحتمل أن يكون ضِدَّ ما نواه الشَّاعر، وإن كان أبو تمام قد زاد في المعنى، وإنَّما المحسن المتخلّص المتنبي حيث يقول(٢):

له عَسْكرا خيلٍ وطَيرٍ إذا رمى   بها عَسْكَراً لم تَبْقَ إلا جَماجِمُهْ

وهذا المجلس الأدبي يحمل أبعاداً أدبية ونقدية مختلفة، يصور مدى الإبداع الفني عند ابن شهيد، ويظهر فيه مدى براعته الأدبية، وكأنه يستعيض بخياله عن واقع مرفوض عنده.

والمعرّي في رسالته يعرض لمجالس كثير من الشعراء في الجنة، ويحدد مصيرهم، وهو بهذا ينقد هؤلاء الشعراء والأدباء وفي الرحلة النهائية، أي أنَّ كلامه ورأيه هو الكلام النهائي والحد الفاصل. وفي مجلس له مع امرئ القيس، "يقول: يا أبا هند، إنّ رواة البغداديين يُنشدون في(قفا نبك) هذه الأبيات بزيادة الواو في أوّلها، أعني قولك:

وكأنّ ذُرى رأسِ المجيمرِ غُدوةً. وكذلك: وكأنّ سَكاكيَّ الجواءِ، وكأنَّ السباعَ فيه غرقى. فيقول: أبعد الله أولئك! لقد أساءُوا الرواية، وإذا فعلوا فأيّ فرقٍ يقع بين النّظم والنّثر؟ وإنّما ذلك شيء فَعله من لا غريزة له في معرفة وزن القريض، فظنّه المتأخرون أصلاً في

---

(١) ديوان أبي تمّام، بشرح الخطيب التبريزي. تحقيق: محمد عزام، ط٤(مصر: دار المعارف، ١٩٧٦م) ٨٢/٣
(٢) ديوان المتنبي ٣٣٦/٣

المنظوم، وهيهات هيهات". [1] فالمعري في مجلسه المتخيل مع امرئ القيس، يقدّم نقداً أدبياً لرواية الأبيات، وهو بذلك يستعيض عن واقعه المرفوض لديه، بواقع أدبي مثاليّ، كما فعل ابن شهيد.

كما صورت كليلة ودمنة صورة الوضع الاجتماعي والسياسي، فقد ترجمت في وقت ساءت فيه أوضاع الدّولة العباسية، فجاء الكتاب ليؤدي دوراً سياسياً اصطلاحياً اجتماعياً محاولاً إصلاح سياسة الملك بطريقة غير مباشرة، فالملك دبشليم يجتمع مع الحكيم والفيلسوف بيدبا[2] الذي يعظه بطريقة غير مباشرة عن طريق القصّ على ألسنة الحيوان، وكان الملك هو الذي يقترح موضوع المجلس فيجيب الفيلسوف جواباً مسهباً.

ومما ذكر عن المجالس المتخيلة "اجتمع السّرو(الشرف والرفعة) والنّوك (الحمق) والخصب، والوباء، والمال، والسلطان، والصحة، والفاقة بالبادية، فقالوا: إنّ البادية لا تسعنا، فقالوا: نتفرق في الآفاق. فقال السّرو: أنا منطلق إلى اليمن، فقال النّوك: وأنا معك. وقال الخصب : أنا إلى الشام، فقال الوباء: أنا معك. وقال المال: أنا إلى العراق، فقال السلطان: أنا معك. وقالت الفاقة: مالي حراك. فقالت الصحة: أنا معك[3] .

ومنه اجتماع الكاتب والنديم[4] والسيف والقلم، والورود، وغيرها من المجالس التي تخيّلها أصحابها، ليؤكّدوا على أفكارهم وأدبهم، ويبثوا الحكمة والموعظة.

والهمذاني في مقاماته تناول موضوعات متعددة تتآلف جميعها لتخدم الغاية التي رمى

---

(١) المعري، أحمد بن عبدالله(ت٤٤٩هـ). **رسالة الغفران**، تحقيق: عائشة عبد الرحمن(القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م) ١٠١-١٠٥.

(٢) بيدبا، **كليلة ودمنة** ، ترجمة: عبدالله بن المقفع، تحقيق: عبد الرحمن الصفتي(القاهرة: مطبعة بولاق، ١٨٣٥م) ص ١٤

(٣) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن محمد(ت٥٣٨هـ). **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط١(بيروت: مؤسسة الأعلمي،١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ١ /١٧٦-١٧٧.

(٤) المسعودي: المروج ٤/١٦

إليها بديع الزمان، وهي تقديم صورة شاملة لواقع بيئته التي يصب من خلالها ثورته على ذلك النظام[١] كما حاول الهمذاني إظهار براعته الشعرية في مجالس عقدها في مقاماته[٢].

وهناك من صنّف هذه المؤلفات في جنس أدبي وهو "الأدب العجائبي" واعتبر المجلسية والمقامة والنص الأدبي العجائبي ثلاثة أنواع أدبية متواشجة من جهة ومتعارضة من جهة أخرى[٣]. وفي ألف ليلة وليلة تروي شهرزاد لشهريار في مجالس سمرها الخوارقي والعجائبي[٤] والوهراني في مناماته[٥] يلجأ إلى الحلم ليسرد قصصه الخوارقية والعجائبية عما يحدث في يوم الحشر، وهو بذلك يبني عالماً في منامه، بديلاً عن عالمه الحقيقي.

وتتجلّى أهمية هذا الباب في بيان الموقع الخاص الذي تحتلّه المجالس في الثقافة العربية، باعتباره موئلاً لانتاج الكلام، وقد يتداخل ما هو واقعي مع ما هو تخييلي، وقد تكون بعض المجالس واقعية من حيث أطرافها ـ مثل شخصيات ابن شهيد والمعري ـ والمصنّف يوحي لنا بواقعيتها، رغم كونها تخييلية بالأساس، وبذلك تغدو المجالس إطاراً عاماً وذريعة مركزية لتوليد الكلام وإبداعه[٦] وذريعة لاختراق الواقع وتجاوز المحسوسات، ببناء عوالم داخلية خاصة تعوّض الكاتب عن واقعه الثقافي والاجتماعي والسياسي.

---

(١) عوض: فن المقامات ٩٧

(٢) بديع الزمان الهمذاني، أحمد بن الحسين(ت٣٩٨هـ). **مقامات بديع الزمان الهمذاني**، شرح: محمود الرافعي (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٢١م) انظر مثلاً: ص٥٢، ٧٦

(٣) أبو ديب: المجلسيات ، ص٢١٣

(٤) ألف ليلة وليلة(عمان: دار أسامة،٢٠٠٣م).

(٥) الوهراني، محمد بن محمد(ت٥٧٥هـ). **منامات الوهراني**، تحقيق: ابراهيم شعلان ومحمد نغش(ألمانيا: منشورات الجمل، ١٩٩٨م) ٥، ٥١

(٦) يقطين: المجلس، ص١٩٦

خامساً: مجالس النِّساء

شاركت النساء في المجالس الأدبية[1]، وكان لهنّ نصيب لا يستهان به فيها، واستطاعت المرأة أن تفرض وجودها المتميز في الحركة الأدبية، وعبّرت بالشعر عن نزعاتها وأهوائها، فكتبته على الخواتم وذيول الأقمصة وأطراف الأكمام، وعلى المناديل والستور والذوائب والقلانس[2]. كما كانت لها مشاركة في المجالس الأدبية من خلال المكاتبات والرسائل الخفيفة[3]، وكانت مشاركة النّساء في المجالس متنوعة؛ فقد تكون بالسماع، أو الإنشاد، أو النقد وتذوق الشعر، اضافة إلى الغناء ومجالس الطرب، أو حتى المشاركة في مجالس الشعراء والخلفاء، أو الخوض في المطارحات الشعرية والارتجال، والحديث في الأنساب وفي الأحداث العامة. فكانت المرأة مستمعة للشعر ومنشدة له في المجالس الأدبية، ثمّ هي ناقدة، تُصدر أحكاماً موزّعة بين الانطباع والموضوعية، ثم كان لها دور في الإبداع والنظم[4]، شعراً ونثراً. وأحياناً كانت المرأة مشاركة مستمعة في مجالس الشعراء، ففي مجلس بشاربن برد" البردان" كانت النسوة يحضرنه[5]. ولعل خير من يمثّل هذه المجالس سكينة بنت الحسين(ت١١٧هـ)، والتي كانت تجالس الأجلّة من قريش، وتجمع إليها الشعراء فيجلسون بحيث تراهم ولا يرونها، وتسمع كلامهم فتفاضل بينهم وتناقشهم وتجيزهم[6]. وكان لها مكانة

---

(١) جاءت المجالس الأدبية في المصادر متوزعة، إما عن طريق تراجم مستقلة للنساء، أو في سياق مجموعة من الأخبار، أو ورود سير بعض النساء في زحام أخبار الشعراء كما في الأغاني. وكانت المشاركة الأدبية في المجالس من الحرائر والجواري والقيان، وكانت شعراً ونثراً. وقد يكون المجلس الأدبي خاصاً كمجلس العشاق، أو الأزواج، أو الشعراء، وقد يكون في حضرة الخلفاء والوزراء.

(٢) الوشاء: الموشّى ٢١٢_٢١٣

(٣) الأصفهاني: الأغاني١٨/ ١٠١

(٤) خلف، مي يوسف. **الشعر النسائي في أدبنا القديم** (القاهرة: مكتبة غريب، د.ت). ص ٩

(٥) الأصفهاني: الأغاني ١٦٩/٣ ، ٢٤٢/٦

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٢١١

كبيرة في مجال النقد الأدبي، والحكم بين أمراء الفن في الشعر والغناء[١]، جلس إليها الفرزدق يوماً فسألته، من أشعر الناس؟ فقال لها أنا، قالت: كذبت، أشعر منك الذي يقول:

بنفسي من تَجَنُّبُهُ عزيزُ علىَّ ومَن زيارتهُ لِمامُ

ومن أُمسي وأُصبحُ لا أراهُ ويطرقني إذا هجع النيامُ [٢]

ودخل عليها كثيّر عزّة فسألته عن قوله:

وما روضة بالحزن طيّبة الثرى يمج النّدى جَثْجاثُها وعَرارُها

فنقدت قوله، وقالت له: ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس:

ألم ترياني كلّما جئت طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيّب[٣]

كما كان يجتمع عندها جرير والفرزدق وجميل وكثيّر ونصيب، واجتمعوا عندها يوماً فأنشدت جارية لها أشعارهم، وسكينة تنقد هذه الأشعار[٤]. كانت سكينة تسمع الشعر، وتنشده، وتجاوزت هذا المستوى بحيث عمّقت نظرتها الأدبية، فاقتحمت عالم النقد، لتنافس فحول الشعراء.

كما اشتهرت عليّة بنت المهدي(ت٢١٠هـ) بمجالسها الأدبية وأشعارها. وفي مجلس لها مع الرّشيد، قال لها: بالله يا أختي غنّيني، فقالت: وحياتك، لأعملنّ فيك شعراً، ولأعملنّ فيك لحناً[٥]، فقالت من وقتها[٦]:

تفديكَ أُختُكَ قد حييتَ بنعمةٍ لسنا نعُدُّ لها الزّمانَ عَديلا

---

(١) عبد الرحمن، عائشة" بنت الشاطئ". **السيدة سكينة بنت الحسين**(لبنان: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م). ص٢١٨

(٢) الأصفهاني: الأغاني ٤٤٨/٤ ، البيهقي: المحاسن والمساوئ ، ص٢٤٥ــ٢٤٦

(٣) ابن عبد ربه: العقد"الفريد" ٣٧٣/٥ ، أخبار سكينة ومجالسها في الأغاني ١٦/ ٨٩ــ١١٧

(٤) البيهقي: المحاسن والمساوئ ، ص٢٤٦ــ٢٤٧ ، المرزباني: الموشح ص٢٦٤

(٥) الأصفهاني: الأغاني ٢٢٠/١٠ ، الصولي: أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ص ٥٨

(٦) **ديوان عليّة بنت المهدي**، تحقيق: سعدي ضنّاوي، ط١(بيروت: دار صادر،١٩٩٧م). ص٤٧

إلا الخلودَ وذاكَ قُربكَ سيّدي — لا زال قُربُكَ والبقاءُ طويلا

وحمدتُ ربّي في إجابة دَعْوَتي — ورَأيتُ حَمْدي عند ذاكَ قليلا

وكانت عليّة تقول الشعر وتلحّنه وتغنّيه. وكانت أختها عائشة بنت المهدي شاعرة، وكانت تُرسل رسولها إلى الشعراء وفيهم صريع الغواني، فيطلب منهم أن يجيزوا بيتاً من الشعر(1).

وروى التنوخي: أن عابدة الجهنية(ت بعد ٣٦٧هـ) (وهي امرأة فاضلة كاتبة) كانت تناشدنا الأشعار، وتنشد لنفسها كل شيء جيّد. (2)

وكانت حفصة بنت الحاج الركوني(3) من أهل غرناطة، سألها المنصور يوماً أن تنشده، فقالت ارتجالاً:

يا سيّد النّاس يا من — يؤمّلُ النّاس رِفْدَه

امنن عليّ بطرسٍ — يكونُ للدهرِ عده

تخطُ يُمناكَ فيه — الحمدُ لله وحده(4)

قال لها أبو جعفر عبد الملك بن سعيد:

رَعى اللهُ ليلاً لَمْ يرح بمذمّم — عشيةَ وارانا بجودِ مؤمّل

وقد خَفَقَت من نحو نجدٍ روائح — إذا نفحت هبَّت بريّا القُرنفُل

وغرَّد قُمري على الرّوح وانثنى — قضيبٌ من الرَّيحانِ من فوق جدول

فقالت حفصة:

---

(1) ابن عبد ربه: العقد ٣٨٣/٥

(2) التنوخي: النشوار ٢٢٢/٢ـ٢٢٤

(3) المقري: نفح الطيب ٣٠٩/٥ـ٣١٧

(4) الحموي: معجم الأدباء ١١٨٢/٣ـ١١٨٣

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا	ولكنّه أبدى لنا الغلّ والحسد
ولا صفّقَ ما سرَّ الرياض بوصلنا	ولا صدح القمريّ إلا بمن وجد
فلا تُحسن الظنّ الذي أنتَ أهله	فما هو في كل المواطن بالرّشد
فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه	لأمر سوى كيما يكون لنا رصد[1]

ففي هذا المجلس نرى المرأة الشاعرة تتحاور مع الشاعر بلغة مشتركة، تنم عن مدى تذوقها للشعر، فهي مستمعة للشعر منشدة له، ومتذوقة لمعانيه، مبدعة على شاكلته. وهذا يكشف عن مقدار الصّدق الوجداني عند المرأة، والتلقائية في تصوير الموقف والتعبير عنه، وهذا دليل على الإبداع الشعري لديها. وفي " مصارع العشّاق " نرى نماذج مختلفة لمجالس العشّاق، وما كان يدور بينهم من حوار شعري[2].

كما اشتهرت مجالس ولادة بنت المستكفي(ت٤٨٤هـ) في الأندلس، وهي شاعرة أندلسية، من بيت الخلافة، كانت" تناضل الشعراء، وتساجل الأدباء، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المِصر، وفناؤها ملعباً لجياد النَّظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرّتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتّاب على حلاوة عِشرتها"[3].

ويطلعنا أبو الفرج الأصفهاني عن نماذج مختلفة لمدى مشاركة المرأة في المجالس الأدبية، ومنها أخبار "عمرة" و"كانت امرأة جَزلة، يجتمع إليها الرجال للمحادثة وإنشاد الشعر والأخبار، وكان أبو دهبل لا يُفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها "[4]، وفي هذا الكلام دلالة واضحة على مدى إسهام المرأة في المجالس الأدبية، وعلى وجود مجالس خاصة لها يحضرها

---

(١) السيوطي: نزهة الجلساء في أشعار النساء ص٤٠

(٢) السراج، القارئ. **مصارع العشاق** (بيروت،: دار صادر، ١٩٨٥م). انظر مثلاً: ٢٨٦/١، ٢٩٠، ٣١٥

(٣) المقري: نفح الطيب ٣٤٣/٥، وانظر: ابن بشكوال: الصلة ، ص٦٣٢ ، ابن بسام: الذخيرة ٣٧٦/١

(٤) الأصفهاني: الأغاني ١١٦/٧

الرجال. كما تكثر أخبار ليلى الأخيلية، واحتكام الشعراء إليها، لتكون بينهم حكماً، ولـشعرهم ناقدة، على نحو ما كان من احتكام حميد بن ثور الهلالي، والعجير السّلولي، و مزاحم العقيلي، وأوس بن غلفاء الهجيمي، في وصفهم للقطاة، فحكمت للعجير السّلولي، وقالت:

ألا كلّ ما قالَ الرّواة وأنشدوا بها غير ما قال السّلولي بهرج[1]

وكانت الجواري تشارك في المجالس أيضاً، ومن هؤلاء الجواري تُحفة القوّالة، جاريـة أبي عبدالله بن عمر البازيار[2]. ومن أشهر الجواري عَريب(ت٢٧٧هـ) ، وهي شاعرة مغنية أديبة من أعلام العارفات بصنعة الغناء والضرب على العود[3]، وبدعة جارية عَريب، وكانت ذات ليلة في مجلس الوزير القاسم بن عبيد الله، فغنّت:

أدلَّ فأكرِم به من مدلّ ومن ظالم لدمي مستحلّ

إذا ما تعزّز قابلته بذلٍ وذلك ُجهد المُقلّ

فأدّت فيه صنعة حسنة، فطرب القاسم عليه طرباً شديداً، واستحسن الصنعة والشعر، وأفـرط في وصف الشعر، فقالت بدعة: يا مولاي إنّ لهذا الشعر خبراً أحسن منه، قال: ماهو؟ قالت: هو لأبي خازم القاضي. قال فعجبنا من ذلك مع شدّة تقشّف أبي خازم[4]. وفي هذا الخبر دلالة واضحة على مدى مشاركة الجواري في المجالس، وإضافة إلى تغنّيهن بالأشعار فإنّهن علـى درجة رفيعة من المعرفة الأدبية، ومعرفة قائل الشعر، أي أنّهن كنّ يتذوقن هذه الأشعار. حتى أنّ الخلفاء أصبحوا يهتمون بشراء الجارية التي تُجيد الشعر وتبرع به. يروى أنّ رجلاً مـن أهل اليمامة، قدم بجاريتين شاعرتين من مولّدات اليمامة على المتوكل، فعرضهما عليه، مـن

---

(١) الأصفهاني: الأغاني ١٠/ ٢٣١

(٢) التنوخي: النشوار ٣٠/٧

(٣) الأصفهاني: الأغاني ١٧٥/١٨، ابن الساعي، علي بن أنجب(ت٦٧٤هـ). **نساء الخلفاء**، تحقيق: مصطفى جـواد(القاهرة: دار المعارف، د.ت). ص٥٥ـ٥٧

(٤) التنوخي: النشوار ٨٩/١ـ٩٠

جهة الفتح، فنظر إلى أجملهما، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: سعاد، قال: أنت شاعرة؟ قالت: كذلك يزعم مالكي، قال: فقولي في مجلسنا هذا شعراً ترتجيلينه وتذكريني فيه، وتذكرين الفتح. ثمّ أنشدت:

أقول وقد أبصرت صورة جعفر إمام الهدى والفتح ذي الغرّ والفخر

أشمسُ الضحى أم شبهها وجه جعفر وبدرُ السماء الفتح أم مشبه البدر

فقال للأخرى، أنشدي أنت:

أقول وقد أبصرتُ صورة جعفر تَعَالى الَّذي أعلاك يا سيّد البشر

وأكملَ نعماهُ بفتحٍ ونصحه فأنتَ لنا شمسٌ وفتحٌ لنا قمر

فأمر بشراء الأولى ورد الأخرى، فقالت الأخرى: لم رددتني؟ قال: لأن في وجهك نمشاً، فقالت:

لم يسلم الظبي على حسنه يوماً ولا البدر الذي يُوصف

الظبيُ فيهِ خنسٌ بيّنٌ والبدرُ فيه كَلَفٌ يُعرفُ

فأمر بشراء الثانية[(١)]. وكان للجواري مجالس خاصة تُغنّى فيها الأشعار[(٢)]. وسألت "فنن" مسلماً المعروف بالمتيّم، في مذاكرة جرت بينهما طويلة، فقالت: أي الأمور عندك ألذّ وأشهى، محادثة الرجال، أم استماع الغناء، أم الخلوة بالنساء؟ فقال: لا تحسن محادثة الرجال إلا بحسن التفهّم، ولا يصلح الغناء إلا بشرب النبيذ، ولا الخلوة مع النساء إلا بالموافقة وسعة القدرة، قالت: فأي الثلاثة تختار، قال: محادثة الرجال[(٣)]. وكان "لعزة الميلاء" مجالس يحضرها

---

(١) التنوخي: نشوار المحاضرة ١٩٣/٦

(٢) الأصفهاني: أدب الغرباء ، ص٧٩ـ ٨٠ ، وللمزيد في أخبار الجواري والقيان، انظر: رسائل الجاحظ، **رسالة القيان**، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م). ١٤٣/٢ـ١٨١

(٣) كشاجم: أدب النديم ، ص٥

الشعراء، وكان عبد الله بن جعفر وابن أبي عتيق وعمر بن أبي ربيعة يزورونها في منزلهـا فتغنيهم[1].

وقيل أنّه لمّا دخلت "فضل" الشاعرة على المتوكل يوم أهدُيت إليه، قال لها: أشاعرة أنت؟ قالت: كذا يزعم من باعني واشتراني، فضحك، وقال: أنشدينا شيئاً من شعرك، فأنشدته قولها:

استقبل الملك امام الهدى	عام ثلاث وثلاثينـــــــا
خلافة افضت إلى جعفرٍ	وهو ابن سبع بعد عشرينـــا
إنّا لنرجو يا امام الهدى	أن تملك الدنيا ثمانينـــــا
لا قدّسَ الله امرأ لم يقل	عند دعاء لك آمينــــــا [2]

وكانت فضل تجلس في مجلس المتوكل على كرسي تعارض الشعراء بحضرته[3]، وطلب منها المتوكل يوماً أن تُجيز بيتاً لعلي بن الجهم، وهو قوله:

لاَذَ بِها يَشْتكي إليها	فلم يجد عندها ملاذا

فاطرقت "فضل"، ثم قالت:

ولم يزل ضارعاً إليها	تهطلُ أجفانه رذاذا
فعاتبوه فزادَ عِشْقاً	فماتَ وجداً فكانَ ماذا [4]

واتّكأ المتوكل على يدي "بنان" و"فضل" الشاعرتين، وجعل يمشي بينهما ثم قال: أجيزا لي قول الشاعر:

تعلّمتُ أسباب الرِّضا خوف عتبها	وعلَّمَها حُبّي كيف تغضبُ

---

(١) الأصفهاني: الأغاني ٣٧٨/١، ١٣/٣، ٢٠٢/٦، ١٧/١١

(٢) ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص ٨٦

(٣) نفسه ص ٨٥

(٤) الأصفهاني: الأغاني١٩/ ٢٧١ ، ابن ظافر: البدائه ، ص١١ ، ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص٨٧

فقالت فضل:

تَصُدُّ وأدنوا بالمحبةِ جاهداً وتبعدُ عنّي بالوصالِ واقربُ

وقالت بنان:

وعندي لها العُتْبى على كل حالةٍ فما منهُ لي بُدٌّ ولا عنه مذهبُ[1]

ومن الجواري اللواتي سجّل لهنّ الأدب الأشعار في المجالس الأدبية، "عنان" جارية الناطفي، فكثيراً ما كان يدعو بعض الشعراء لمطارحتها في مجلسها في بيته. دخل أبو نواس على الناطفي فأومأ إليه أن يحرّكها بشيء فقال:

عنانُ لوجدت لي فإنّي من عُمري في آمن الرّسول بما[2]

فردّت عليه وقالت:

فإن تمادى ولا تماديتُ في قَطعكَ حَبلي اكن كمن ختما

فردّ عليها فقال:

علقتُ من لو أتى على أنفس الماضين والغابرين ما ندما

فردّت عليه:

لو نظرتْ عينها إلى حجر ولد فيه فتورها سقما [3]

وأخبار عنان منثورة في كتب الأدب، وأشعارها أغنت الأدب بالكثير من الصور العابثة المستهترة التي صوّرت لنا جانباً من جوانب المجتمع العباسي، باسلوب فني جميل.[4] ومن الجواري " الذلفاء" جارية ابن طرخان، دخل عليها مروان بن أبي حفصة وعندها أبو نواس،

(١) الأصفهاني: الأغاني ٢٦١/١٩ ، ابن الساعي: نساء الخلفاء ، ص٩١

(٢) يعني أنّه في آخر عمره.

(٣) الأصفهاني: الأغاني ٥٢٥/٢٢

(٤) الأطرقجي، واجدة. **المرأة في أدب العصر العباسي**(بغداد: المكتبة الوطنية، ١٩٨١م). ص ٢٨٥

فأعظمه مولاها وأجلّه، وقرّب مجلسه، فَوَجَدَ أبو نواس من ذلك في نفسه، فقال له: قل لها فلتجز بيت الحبيب جرير:

غَيَّضْنَ من عَبَرَاتِهِنّ وَقُلْنَ لي ماذا لَقِيتَ منَ الهوى ولقينا

فقالت(وكانت تشبّب بالرشيد):

قد هِجْتَ بالبيتِ الذي أَنْشَدْتَني حُبّاً بقلبي للإمامِ دَفينا[١]

ومن شاعرات المجالس والمناظرات الشعرية، محبوبة جارية المتوكل[٢]. ومنهنّ "نبت" جارية المعتمد على الله، فقد طلب من ابن حمدون أن يقارضها،

فقال: وهبتُ نفسي للهوى

فقالت: فجار لمّا أن ملك

فقال: فصرتُ عبداً خاضعاً

فقالت: يسلكُ بي حيثُ سلك [٣]

ومن الجواري "دنانير" جارية يحيى بن خالد البرمكي[٤]، و"دنانير" مولاة محمد بن كناسه[٥]، وهي أديبة شاعرة، كان أهل الأدب يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر. وكثيراً ما كانت الجواري تُختبر عن طريق الإجازة الشعرية، قدمت جارية إلى المعتصم بن صُمادح، فأراد اختباره، فقال لها: ما اسمك؟ فقالت: غاية المُنى، فقال لها: أجيزي: اسألوا غايةَ المُنى.

---

(١) ابن منظور، **نوادر أخبار أبي نواس**، تحقيق: يوسف البقاعي (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٣م). ص١٢٨

(٢) الأصفهاني: الأغاني ٢٢/٢٠٣

(٣) ابن الساعي: نساء الخلفاء ، ص١٠١، وانظر مجلس آخر لها في: النشوار ٧/١٢٨

(٤) الأصفهاني: الأغاني ١٨/ ١٣

(٥) نفسه ١٣/ ٣٤١

فقالت: مَنْ كسا جِسْمي الضنا وأراني مُولهاً سيقول الهوى أنا. (١)

ولم تقتصر مشاركة المرأة في المجالس الأدبية على الشعر فحسب؛ إنّما كانت تفحم الشعراء بأقوالها" النثر"، وفي أخبار الوافدات على معاوية بن أبي سفيان أمثلة على هذه المشاركة، فلفيف من النسوة كانت لهن معه لقاءات مختلفة؛ فقد استدعى بعضهن في مجلس سمر، أو ليلة أرق، وجاءت إليه أُخريات لرفع مظلمة، أو تقديم شكوى، أو لحضور مجلس الخليفة(٢). وقد كان من هؤلاء النسوة من هي على درجة عالية من المعرفة بالأنساب، فقد أرق معاوية ليلة فأرسل إلى جُرْوَة بنت مُرّة بن غالب التميمية، وكانت مجاورة بمكة، فقال لها: احتجمتُ، فأعقبني ذلك أرقاً شديداً، فأرسلتُ إليك لتخبريني عن قومك، قالت: عن أي قوم تسألني؟ قال: عن بني تميم. قالت: يا أمير المؤمنين، هم أكثر الناس عدداً، وأوسعهم بلداً، وأبعدهم أمداً؛ هم الذهب الأحمر، والحسب الأفخر، والعدد الأكثر....، ثم سألها عن قيس، ثم عن قريش، ثم عن علي بن أبي طالب، فقالت: حاز والله الشرف الذي لا يُوصف، وبالله أسألك يا أمير المؤمنين اعفائي مما أتخوف. قال: قد فعلت. وأمر لها بضيعة فاخرة.(٣) فالمرأة هنا عارفة بلأنساب، وقد وصلت شهرتها إلى معاوية؛ لذلك استقدمها، وقد يكون السبب الرئيس في استقدامها، هو معرفة مدى حبها لعلي بن أبي طالب. وقد تأتي المرأة إلى الخليفة في مظلمة لها فتعرضها شعراً، كما في حديث امرأة أبي الأسود الدّيْلي، التي شكت لمعاوية زوجها الذي كان يُدنيه ويقرّبه في مجلسه، واجتمعت وزوجها بين يدي معاوية، فقال زوجها وقد جذب صغيرها منها:

---

(١) المقري: نفح الطيب ٦/ ٦١

(٢) ابن بكّار، العباس الضبي(ت٢٢٢هـ). أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، تحقيق: سكينة الشهابي، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م). مقدمة المحققة ص ٥

(٣) نفسه ، ص٣٣ـ٣٦ (وأكثر هذه اللقاءات النسوية مع معاوية، كان يسأل فيها عن مدى حبهن لعلي بن أبي طالب، وتصوير مدى حب جميع النساء لعلي وايثاره على معاوية).

مَرْحَباً بالتي تجورُ عَلينا ثمّ سهلاً بحاملٍ محْمولِ

أغلَقتْ بابها عَلَيّ وقالتْ إنّ شرَّ النّساء ذاتُ البُعولِ

شَغَلَتْ قلبَها عليّ فراغاً هَلْ سَمعتُم بفارغٍ مشغولِ

فردت عليه قائلة:

ليسَ من قال بالصوابِ وبالحـــــــــــــقِّ كمن حادَ عن سواء السبيل

كان حِجري حواءه حين يضحي ثمّ ثَدْيي سقاءه للأصيل

لستُ أبغي بواحدي يا ابن حَرْبٍ بَدَلاً ما رأيتهُ والجليل[1]

وفي هذه الأخبار اثبات لدور المرأة وحضورها القوي في مجالس الخليفة. ويروي الأصفهاني عن انتصار المرأة على الشاعر، موقف بشّار بن برد، حين قالت له امرأة: أي رجل أنت لــو كنت أسود اللحية والرأس! فقال بشّار: أما علمتِ أنّ بيض البزاة أثمن من سود الغربان، قالت له:أما قولك فحسن في السمع، ومن لك بأن يحسن شيبك في العين كما حسن قولك في السمع. فكان بشّار يقول: ما أفحمني قط غير هذه المرأة[2].

ومن النماذج النثرية في المجالس النسوية، وفود ليلى الأخيلية على الحجاج بن يوسف، قــال لها: ما أتى بك يا ليلى؟ قالت: إخلافُ النُّجوم، وقِلّةُ الغيوم، وكَلَبُ البرد، وشدّةُ الجهْد، وكنــتَ لنا بَعْدَ الله الرِّدّ. قال: فأخبريني عن الأرض، قالت: الأرضُ مقشَعِرّة، والفِجاجُ مُغْبَــرَّة، وذو الغنى مُختلّ، وذو الحدّ مُنْفَلّ، قال: وما سببُ ذلك؟ قالت: أصابتنا سنون مُجْحِفةٌ مُظلمــةٌ، لــمْ تدع لنا فصيلاً ولا رُبَعاً، ولم تُبْقِ عاطِفةً ولا ناطِفةً، فقد هلكت الرّجــال، ومزّقــت العيــال، وأفسدت الأموال. وأنشدته شعراً. ثم قال لها الحجاج: يا ليلى أنشدينا بعض شعرك في توبــة،

---

(١) ابن بكّار: أخبار الوافدات على معاوية ، ص٧٣ــ٧٧

(٢) الأصفهاني: الأغاني ١٩٧/٣

فأنشدته قولها:

لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا لم تُصِبْهُ في الحياةِ المَعايرُ(١)

وهذه المجالس الأدبية تسجّل دور المرأة العربية، سواء أكانت مستمعة للشعر، أو تستنشد الشاعر، وأحياناً إجازتها لما استحسنته منه، و مشاركتها في النقد والإبداع الشعري، وكذلك مشاركتها القوية والفاعلة في مجالس الخلفاء. وقد استطاعت المرأة ــ من خلال المجالس الأدبيةــ أن تعرض صورة من ذوقها الحضاري، وبلاغتها، وفصاحتها، فكان لها مكانها من أسواق الأدب، ونصيبها من التباري في فن القول.(٢)

(١) الأصفهاني: الأغاني ٢٤٠/١٠ (اخلاف النجوم: امتناع المطر، كَلَب البرد: شدّته ، الرد: الكهف والمعقل، الأرض المقشعرة: تقبضها من المحل، الفجاج: كل سعة بين نشازين، مختل: محتاج، منفل: متثلّم).

(٢) خليف: الشعر النسائي ، ص٢١٠ ، ويعرض ابن طيفور في " **بلاغات النساء**" صوراً راقية لبلاغة النساء. انظر مثلاً: ص١٠٠ ، ١١٨ ، ٢٧٧

الباب الثاني

الأبعاد التأويلية للمجالس الأدبية

لمّا كانت المجالس الأدبية نصوصاً تقوم على أساس معرفي، وتنتج معرفة وعلماً وأدباً في آن واحد ، فإنّ هذه الدراسة تهدف إلى أن يرقى نصّ المجالس من مجرد تصريح بـالخبر في أسلوب تقريري، إلى نص يحمل أهدافاً أخرى (سياسية أو فكريـة أو تاريخيـة)، وبـذلك يخرج النص من جمالية شكلية – كما في الفصل الأول من البحث – " إلى ضرب من الجمالية الوظيفية النافذة والفاعلة في الكون ، أي المنصهرة في صميم الفعل التاريخي والمنخرطة في الدور البنائي"[1] ، والتأويل يؤسّس ثـقافة حوارية، ويُحرّر الفكر مـن الـسكون والنمذجـة ويكسر الموروثات الثـقافية المتداولة"[2] ودراسة المجالس دراسة تأويلية يعمّق فهمنا لحقـب التاريخ المختلفة ، ويفتح آفاقاً جديدة لدراسات متنوعة وغير تقليدية، ذلك أنّ التأويل لا ينطوي على النصوص الغامضة فحسب، فحتّى الكتابة التاريخية مرشّحة للتأويل[3] لأن التأويل يوضّح مرامي العمل الفني باستخدام وسيلة اللغة[4] في فهم النصوص بشكل عام، وذلك بإثارة أسـئلة معقدة ومتشابكة حولَ طبيعة النصّ وعلاقته بمحيطه من جهة، وعلاقته بمنشئه وبقارئه مـن جهة أخرى[5] وبذلك فإنّ التأويل ضربٌ من القراءة في مرحلتها الأخيرة، والذي به يتم نجاح

---

(١) عيّاد : مضارب التأويل، ص ٣٨

(٢) تضغوت، محمد ، " **النصوص والتأويل التاريخي**" ، (مجلة العصور الجديدة ، ع١١، ٢٠٠م) ص١٧٣

(٣) عيّاد : مضارب التأويل ، ص ٦٦

(٤) الرويلي، ميجان، والبازغي، سعد. **دليل الناقد الأدبي** ، ط٢ (بيروت ، الدار البيضاء : المركز الثـقافي العربـي، د.ت) ص ٤٧

(٥) الربّاعي، عبد القادر. "**التأويل: دراسة في آفاق المصطلح**" (مجلة عالم الفكر ، ع٢، مج ٣١ ، ٢٠٠٢م) ص ١٥١- ١٧٦

النص الأدبي واستخلاص المعاني المختلفة فيه(1).

وفي ظل السُلطة السياسية التي سادت الثقافة بشكل عام، ظهرت فئات ثقافية جديدة، مثل: أدباء السلاطين، ومؤرخي السلاطين، وفقهاء السلاطين وغيرهم، في عملية استهدفت الثقافة لخدمة السياسة، وهذا ما أردنا أن نشير إليه في هذه الدراسة.

الفصل الأول

تأويل الأبعاد السياسية

خدمت المجالس الأدبية المصالح السياسية للسلطة الحاكمة، ولم يكن الأثر فقط في مجالس الخلفاء، بل كانت مجالس العامة صورة لما كان يحدث في مجالس الخلفاء. وتجاوز القراءة التقليدية لهذه المجالس، يقودنا إلى أبعاد سياسية خطيرة انعكست على الأدب في ضوء السلطة السياسية.

أولاً : صور من اهتمام الخلفاء بالجلساء.

اهتم الخلفاء بالمجالس الأدبية وبالجلساء ونهضوا بالحياة الفكرية، وكان لهذا الاهتمام أن تباهوا في استقدام الشعراء والعلماء. وليس منهم إلاّ من بذل وسعه في إكرامهم(2)

ومن صور هذا الاهتمام:

أ-"الجليس ركن من أركان الدولة"

يعدّ الجليس من الأمور السلطانية، والسياسات الملكيّة، واهتم ملوك المناذرة بالبحث عن الجلساء والمحدّثين، فالمنذر كان يستدعي رواة من فارس يسردون عليه سير الملوك

---

(1) عيّاد : مضارب التأويل ، ص ٧٥

(2) المقري: نفح الطيب ١٦٦/٤

وتواريخهم[1].

وقد قال معاوية بن أبي سفيان: ما أقبح بالملك أن يبالغ في تحصيل علم من العلـــوم ! وإنّما المراد من العلوم في الملك، هو ألا يكون له أُنس بها إلا بحيث يُمكنه أن يفاوض أربابها فيها، مفاوضة يندفع بها الحال الحاضر ولا ضرورة في ذلك إلى التدقيق[2]. ولذلك عمد كثير من الخلفاء إلى طلب الجلساء من أول استلامهم الحكم، فيذكر نصر بن مزاحم (ت٢١٢ هـ)، أنَّ معاوية لمّا استقام أمره لم يكن شيء أحب إليه من لقاء عامر بن واثلة (ت ١٠٠هـــ) [3] فلم يزل يكاتبه ويلاطفه حتى أتاه[4] كما استقدم الجلساء من اليمن، أمثال عبيد بن شـــرية (ت ٦١هـ)[5] واستقدم دغفل بن حنظلة (ت ٦٥هـ)[6] وجالس صعـــصعة بـــن صـــوحان (ت ٥٦هـ)[7].

ويروى أنّ عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج: " أنه ليس شيء من لذّة الـــدنيا إلاّ

---

(١) سرحان: المنادمة والمسامرة ، ص ٢٩

(٢) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا(ت٧٠٩هـ). **الفخري في الآداب السلطانية**، تحقيق: عبد القـــادر محمـــد مايو، ط١(دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ص٢٣ـ ٢٤ .

(٣) عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو. الليثي الكناني القرشي: شاعر كنانة، وأحد فرسانها ولد يوم وقعة أُحد، وحمل راية علي بن أبي طالب في بعض مواقعه، وعاش إلى أيّام معاوية، وخرج على بني أمية مع المختـــار الثـــقفي (الأصفهاني: الأغاني،١٣/١٥٩. الأعلام ٣/٢٥٥) .

(٤) المنقري،نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ). **وقعة صفين** ، تحقيق: عبـد الـسلام هـــارون، ط١ (القـــاهرة : د. ن، ١٣٦٥هـ/١٩٤٥) ص ٦٣٨.

(٥) عبيد بن شرية الجرهمي (ت ٦٧ هـ)، راوية من المعمرين، وهو أوّل من صنّف الكتب من العرب، وهـــو مـــن الخطباء الحكماء في الجاهلية، أدرك النبي عليه السلام، واستقدمه معاوية من صنعاء إلى دمشق، فسأله عن أخبار العرب وملوكهم، فأمر معاوية بتدوين أخباره وعاش إلى أيّام عبد الملك بن مروان (الفهرست: ص٨٩).

(٦) دغفل بن حنظلة السّدوسي النسابة (ت ٦٥ هـ) يضرب به المثل في معرفة الأنساب، وفد على معاوية أيّام خلافته، فسأله عن العربية وعن أنساب النّاس وعن النجوم فأمره أن يتولى تعليم ابنه يزيد ، ففعل – (الأعلام ٢/٥٦)

(٧) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي (ت ٥٦ هـ) كان خطيباً بليغاً عاقلاً، شهد صفّين مع علي وله مع معاوية مواقف، ونفي من الكوفة بأمر من معاويـــة إلـــى البحـــرين، وكـــان الـــشعبي يـــتعلم منـــه الخطـــب قال له ابن عباس : أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب(المسعودي: مروج الذهب ٣/٥٣)

وقد أصبت منه ، ولم يكن عندي شيء ألذّه إلاّ مناقلة الإخوان للحديث وقبلك عامر الشعبي[١]، فابعث إليه يحدثني"[٢]، وشهر الشاعر الحكم بن العبدل في بلاطه [٣]. وقد جرت عادة الخلفاء أن يطلبوا الجلساء والمحدثين ممّن جالسوا الخلفاء قبلهم، في أوّل استقامة الأمر لهم، ويروي ابن طيفور(ت ٢٨٠هـ) عن الخليفة المأمون أنّه لما دخل بغداد وقرّ بها قراره أمر أن يُسمّى له قوم من أهل الأدب يجالسونه"[٤] فاختار المأمون جلساءه الذين هم عينه على شَعْبه، وبطانته التي ترافقه في كل أمور الدولة .

واهتمّ الراضي بالله بالجلساء، فعندما استتبّ الأمر له قال: من ها هنا ممن جالس الخلفاء وممن يصلح أن يجالسني؟ فاختار جماعة من العلماء والأدباء ليجالسوه[٥]. ولم يختلف الأمر عند الدويلات الإسلامية الأخرى، باختيار جلساء لهم[٦] وكان ملوك الدهر الأول، وكذلك الخلفاء، يراجعون الحديث، وينازعون الكلام، ويسألون عن علل الرأي المقول به، والحكم المصيَّر إليه، فكانت الحِكَمُ تنثر عنهم، والفوائد تنشر منهم"[٧] هذا وقد كان الخلفاء يهتمون بطلب الشعراء، ومجالستهم، فقد عرف المتنبي في بلاط سيف الدولة. وقد اهتم سيف الدولة بالشعراء، حضر عبد الله الصفري مجلس سيف الدولة، وعنده القاضي أبو حفص قاضي حلب، وجرى ذكر هذين البيتين المشهورين:

---

(١) عامر بن شراحبيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي الحميري (ت ١٠٣هـ) ، أبو عمرو ، رواية من التابعين ، يضرب المثل بحفظه، اتصل بعبد الملك بن مروان فكان سميره ونديمه، ورسوله إلى ملك الروم، وكان فقيهاً شاعرا (البغدادي: تاريخ بغداد ٢٢٧/١٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٥١/١).

(٢) الأصفهاني: الأغاني ١٢/١١

(٣) الحموي: معجم الأدباء ١١٨/٣

(٤) ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الخراساني(ت٢٨٠هـ) **تاريخ بغداد**، تحقيق: محمد بن حسن الكوثري (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٤٩م) ص ٣٧

(٥) الصولي: أخبار الراضي بالله والمتقي لله ، ص ٨

(٦) التيفاشي، شرف الدين أحمد بن يوسف (ت ٦٥١ هـ). **سرور النَّفس بمدارك الحواس الخمس**، تحقيق: إحسان عبّاس، ط١ (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنَّشر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠) ص٨

(٧) التوحيدي: البصائر والذخائر ١٣٩/١

وليسَ صريرُ النّعشِ ما تسمعانه ولكنّه أصلابُ قومٍ تَقَصّفُ

وليسَ نسيمُ المسكِ ريّا حنوطهِ ولكنّه ذاكَ الثناءُ المُخَلّفُ

فاستحسنها الجماعة، وقال سيف الدولة: هما لبعض المحدثين قد ذهب عني اسمه، فقال أبو حفص: هما للخنساء، فقال سيف الدولة للصفري: أتعرف لمن هما؟ قال: نعم، هما لأبي عبد الرحمن العطوي، قال: صدقت، وأمر له بإجازتهما، فقال ارتجالاً:

لقد ضمَّ منه قبرُهُ كلَّ سُؤْدَدٍ وكلّ علاء حدُّهُ ليسَ يُوصفُ

وأضحى النّدى مُذْ غابَ عنّا خياله وأركانه من شدة الجد تضعفُ[1]

وقد أسهم الخلفاء في نهضة الحركة الأدبية باهتمامهم هذا، إذ كانوا متذوقين للشعر، ناقدين له. واشتهر عبد الملك بن مروان بالشعر والشعراء، ومجالستهم ونقد أشعارهم، ومن ذلك مجلس سمر له مع كثيّر عزة ينشده شعراً، فنقده عبد الملك لأنه أشرك عزة معه في الهيبة، واستأثر بالحياء دونها، وأعجبه بيتاً آخراً له[2]. وعرف الوليد بن عبد الملك أيضاً بمجالسة الشعراء[3]. وكان الرشيد يدعو الشعراء لينشدوا في مجلسه[4]. كما عرفت أسر معينة في منادمة الخلفاء، وهم : آل الموصلي، وآل منجم، وآل حمدون، وأخبارهم منثورة في كتب التراجم وكتب التاريخ والأدب.

ومن مظاهر اهتمام الخلفاء بالجلساء تخصيص دورٍ وحُجرٍ خاصة في قصورهم للندماء[5] وهكذا أصبح الجليس والشاعر جزءاً لا يتجزأ من الهيكل العام للدولة.

---

(١) الحموي: معجم الأدباء ١٥٣٣/٤

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣٧٣/٥

(٣) نفسه ٣٦٩/٥

(٤) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى(ت٣٣٥هـ). **أخبار الشعراء المحدثين**، ط٢(بيروت: دار المسيرة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م). ص٧٥

(٥) الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٢٥٠ ، التنوخي : النشوار ١٧٢/٤- ١٧٣

ب ـ سياسة تقريب الخصوم والأعداء

هذه السياسة من الأمور التي يلجأ إليها المحنّكون من السياسيين في كل زمان، ولهذه السياسة أبعادٌ هامّة في الدولة، وإن كان كثير من الخلفاء يسعى إلى القضاء على خصمه في حال الظفر به، كما هو وارد في كتب التاريخ.

وممّن قرّب خصومه من الخلفاء معاوية، فقد كان يحبّ أن يلقى عامر بن واثلة– كما ذكرنا– وعامر كان ممّن حمل راية علي، وممّن ثار على الأمويّين مع المختار الثقفي وحينما دخل على معاوية، ساءله عن عرب الجاهلية، ودخل عمرو بن العاص ونفر معه، فقال لهم معاوية، تعرفون هذا؟ هذا فارس صفّين وشاعرها، هذا خليل أبي الحسن. قال: ثمّ قال : يا أبا طفيل، ما بلغ حبّك علياً؟ قال : حبّ أم موسى لموسى[1]، كما قرّب صعصعة بن صوحان، وله معه مجالس كثيرة، وكان مع علي يوم صفّين، ونفاه معاوية إلى البحرين[2]. كما كان يقرّب في مجالسه الحسين بن علي ويعتبره أكرم الناس[3]، ويروى أنه اجتمع في هذا المجلس جماعة فيهم الحسين بن علي وعمرو بن العاص. فحين سأل معاوية عن أكرم الناس، أجاب مالك بن عجلان بأنه الحسين، فغضب عمرو وقال: أحبّ بني هاشم حملك أن تكلمت بالباطل[4].

ولقد انتهج خلفاء بني العبّاس هذه السيّاسة في التّقريب والمؤالفة ، فقد قرّب المنصور (ت ١٥٨هـ) الشاعر المستهل بن الكميّت ! بعد أن غضب عليه لقول أبيه : "الآن صرت إلى

(١) المنقري: وقعة صفين ، ص٦٣٨-٦٤٠

(٢) الزركلي: الأعلام ٢٠٥/٣

(٣) التنوخي، أبو علي المحسّن بن علي (ت ٣٨٤هـ). **المستجاد من فعلات الأجواد** ، تحقيق محمد كرد علي (بيروت: دار صادر ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ص ٩٢

(٤) الجاحظ، عمرو بن محبوب أبو عثمان (ت ٢٥٥ هـ). **المحاسن والأضداد** ، تحقيق : فوزي عطوي، بيروت : الشركة اللبنانية للكتاب ١٩٦٩م) ص ٨٢ .

أميّة والأمور لها مصاير" وعفا عنه وقرّبه"[1] والمنصور من الحنكة السياسية بحيث يدرك موقع هذا الشّاعر من قبيلته، وتقريبه والعفو عنه يعني مؤالفته لقبيلة بأكملها.

وعُرف المأمون بهذه السياسة حتى "رَسَم في منتداه الشّعري السياسي خطة العفو"[2] وتقريب الخصوم، ليأمن مكر خصومه ، وليكسب ثقة رعيته وحبّها، فضلاً عمّا يحمله هؤلاء الخصوم من جليل العلم والأدب، فقد قرّب إبراهيم بن المهدي[3] . وقرّب الشاعر أبا دلف[4]، وعفا عن الشاعر دعبل بعد أن هجاه بأشعار كثيرة[5]، منها قوله:

إنّي مِنَ القَومِ الذينَ سُيوفُهُمْ   قَتَلَتْ أُخَاكَ وَشرّفَتكَ بِمَقْعَدِ

شَادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طولِ خُمُولِهِ   واسْتَنْقَذُوكَ مِنَ الحَضِيضِ الأَوْهَدِ

بينما أقصى آخرين عن مجلسه[6].

جـ الجليس ووظائف الدّولة

ارتبط الأدب والأدباء بالاتجاهات السياسية في قصور الخلفاء ، فلم يكن تقريب الأدباء والشعراء عفوياً، بل كان من مستلزمات الخلفاء – على ما تقدم- فعندما استدعى معاوية عبيد ابن شرية إلى مجالسه، قال له : "إنّي أردت اتّخاذك مؤدباً لي وسميراً ومقوّماً... فكن لي

---

(١) العبدري، أبو الحسن محمد بن عمران. **كتاب العفو والاعتذار** ، تحقيق : عبد القدوس صالح، ط٢ (عمان: دار البشير، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ٢/٢٠٥-٢٠٦

(٢) عابدين: قصر المأمون ص ٩١

(٣) ابراهيم بن المهدي (ت ٢٢٤هـ) المعروف بابن شكله، عم المأمون، كان فصيحاً، فاضلاً، غزير الأدب، معروفاً بصناعة الغناء، وكانت أشعاره بليغة جيّدة، نصّب نفسه للخلافة بعد خلع الأمين، وقال في رثائه أشعاراً أغضبت المأمون، اختفى ببغداد حين قدمها المأمون، ثمّ ظفر به وعفا عنه.(ابن كثير: البداية والنهاية ٢٩٨/٧) انظر في مجالس المأمون مع إبراهيم المسعودي: المروج (٣١/٤) وقد اشترى المأمون بتقريبه لابن المهدي ولاء بني العباس.

(٤) هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل(ت ٢٢٦ هـ) أمير الكرخ، وسيّد قومه، وهو ممّن يقول الشعر ويلحنّه ، له كتاب "سياسة الملوك" وكان من قادة جيش المأمون (الأعلام ٦٤/٥) وانظر مجالسه مع المأمون : المسعودي : المروج (٤/٥-٧).

(٥) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ، ص٢٦

(٦) مثلاً: لم يقرّب المأمون الحسين بن الضحّاك، الذي رثى الأمين (انظر: ابن طيفور: بغداد ص٣٧).

سميراً في ليلي، ووزيراً في أمري"[١].

ومن هنا كان على من يتقلّد زمام الحكم أو الولاية أو أي وظيفة في الدولة، أن يكون أديباً وعالماً بأخبار العرب. وقد جعل عبد الملك بن مروان من جليسه الشعبي رسوله إلى ملك الروم[٢]. والمأمون يسأل محمد بن الجهم عن أحسن المديح وأحسن المراثي وأحسن الغزل وأخبث الهجاء، فأجابه إجابة تدل على مدى مستوى تفكيره واتساع علمه، فيكافئه بتقليده ولاية الصّميرة والسيّروان، ومهرجان قذق والدينور ونهاوند[٣] وهو يُوطّدُ علاقة الشعر بالاتجاهات السياسية، فعندما يكون الوالي أديباً عالماً ذوّاقة، يكون حكم الناس عليه من خلال خليفة العرب والمسلمين، ويكون موافقاً لرأي المأمون في الناس[٤].

وإذا نظرنا إلى دولة بني بويه نجد القائمين بالأمر فيها من عمد الأدب وأساطينه الذين يشار إليهم بالبنان، فكان منهم ابن العميد والصاحب بن عباد، والوزير المهلبي، وسابور بن أردشير.[٥]

كما كان يحيى البرمكي على درجة عالية من العلم والتفكير الموسوعي[٦]. وكان المعتمد بن عباد لا يستوزر وزيراً إلا أن يكون أديباً شاعراً[٧]. وقد شهرت مجالسهم الأدبية.

والأمثلة كثيرة وليس الهدف الاستقصاء، وإنما بيان الأبعاد السياسية من تقريب الخلفاء

---

(١) ابن منّبه، وهب(ت ١١٤هـ) . **كتاب التيجان في ملوك حمير – ويليه كتاب أخبار عبيد بن شسريّة وأنسابها** ، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، ط٢ (صنعاء : مركز الدراسات والأبحاث ، ١٩٧٩) ص ٣٢٦

(٢) الزركلي: الأعلام ٢٥١/٣

(٣) البيهقي: المحاسن والمساوئ ، ص ٢٧٩-٢٨٠

(٤) عابدين: قصر المأمون ، ص٨٣

(٥) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ). **من غاب عنه المطرب** ، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، ط١ (مصر: مطبعة المدني ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) المقدمة ص ٢٥ .

(٦) المسعودي : المروج ٣٧٩/٣

(٧) المراكشي، محيى الدين عبد الواحد بن علي التميمي(ت٦٤٧هـ). **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العلمي(القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٨٩م) ص ٦٥

لهؤلاء الأدباء وتقليدهم مناصب في الدولة ومكافأة أحدهم بتقليده ولاية ما، فإذا كان الوالي أو الوزير فصيحاً أديباً فإنّه يكون صورة للخليفة أمام رعيته، كما أنه يكون عوناً له في سياسة الدولة بحسن أدبه وعمق تفكيره.

د: الجذب المادي للأدباء والجلساء

من صور اهتمام الخلفاء بالأدباء والشعراء، ومن وسائل تقريبهم وجذبهم، إغداق الأموال الطائلة عليهم، " وقد كان للأعطيات في مجالس الخلفاء هدف سياسي"[(١)]، يسعى الخليفة من ورائه إلى تثبيت دعائم ملكه على لسان الشعراء، مما يدعوه إلى اغداق الأموال عليهم[(٢)]، وقد اتخذوا المال وإغداقه على الأنصار والخصوم وسيلة لتثبيت عرشهم، لا يتقيدون في ذلك بقوانين الشريعة ونظام الصدقات، فأغدقوا على خصومهم تخفيفاً لنقمتهم، وعلى أنصارهم استبقاءً لمعونتهم، ووجدوا طائفة من الشعراء تؤيّدهم وتشيد بذكرهم، رغبة في العطاء، أو رهبة من العقاب[(٣)]. وقد يكون لهذا الاغداق المادي غايات سياسية، "فالخليفة يدرك أهمية الشعر والحاجة إليه، لذلك عمل الخلفاء على استمالة الشعراء وزيادة الأعطيات لهم كي يؤيدوهم في دعوتهم، وكان الشعر بوقاً للخلفاء، ومزيّناً لسياستهم وأفكارهم؛ لذلك اهتم خلفاء بني أمية بتقريب الشعراء لأسباب سياسية[(٤)] فالشاعر كان رسول قومه، وقد تكون سلطته على قومه أشدّ من سلطة الخليفة نفسه، فإذا جذبه الخليفة إليه وكسب تأييده، سارت قصائده في البلاد وأخمدت بعض غضب الرعية على سياسة الحكم، لأهمية هذا الأمر، ولضمان التأييد المستمر من قبل الشعراء للدولة، خصصت الدولة في حقبها المختلفة وارداً مالياً مستمراً

---

(١) عابدين : قصر المأمون ، ص ٢٢٤

(٢) الصفار، ابتسام مرهون. **آفاق الأدب في العصر الأموي**، ط١(عمان: دار حنين،الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م) ، ص١٩

(٣) الشايب: تاريخ الشعر السياسي، ص٢٠٤.

(٤) زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٢/ ٥٠

للشعراء المجيدين.

وهذا التشجيع المادي، كان من أهم الأسباب في ازدهار الحركة العلمية والفكرية، إذ كان من يبزغ نجمه في الحلقات لا يلبث أن يُستدعى إلى دار الخلافة أو دور الوزارة، وإذا العطايا تنهال عليه، والرواتب تفرض له شهرياً، والمهدي (ت ١٦٩هـ) أوّل من سنّ ذلك، وجعله تقليداً للسلطة، وتبعه في ذلك الرشيد والمأمون. وعرف سيف الدولة الحمداني (ت ٣٥٦هـ) بجوده وعطائه، وكان لهذا العطاء المادي أثرٌ مهم في النهضة الشعرية التي شهدتها حلب، فاجتمع في مجالسه جماعة من الشعراء على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية[١]

ثانياً: البنية المعرفية وفلسفة الحكم

اختلفت البنى المعرفية لمجالس الخلفاء، ذلك أنّ النصوص المجلسيَّة، كانت تتضمَّن محاور مختلفة لأهل العلم والأدب في تحاورهم، وهي ممَّا تفرضها طبائع الأشياء، وتميل إليها الأذواق أنذاك[٢].

أ : الاهتمام بسير الملوك والأمم الماضية.

كانت سير الملوك وأخبار الأمم الماضية، المادة الأساسية لمجالس الخلفاء، فقد كانوا يتذاكرون تلك المادة الإخبارية ويولونها العناية التامّة، وكانت هذه المعرفة، رغبة ملحّة كما يقولُ أبو شامة: "ولا يزال الصحابة والتّابعون من بعدهم، يتفاوضون في حديث من مضى ويتذاكرون ما سبقهم من الأخبار وانقضى، ويتطلّبون الآثار والأخبَار وذلك بيّن لمن اطلع على

(١) عبد الجابر، سعود محمود. **الشعر في رحاب سيف الدولة**، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١م) ص ٣٨

(٢) كانت ثقافة الخلفاء شاملة حتى شملت معرفة طبائع الناس، فقد سأل معاوية صعصعة بن صوحان عن أصناف الناس، وهو يصف له طبقات المجتمع في ذلك العصر، قال صعصعة: خَلَقَ الله الناس أطواراً، فطائفة للعبادة، وطائفة للسياسة، وطائفة للفقه والسنة، وطائفة للبأس والنجدة ، وطائفة للصنائع والحرف، وآخرون بين ذلك يكدّرون الماء ويغلون السعر. التوحيدي: البصائر والذخائر ١/ ٤٥. ويحمل هذا المجلس أبعاد المعرفة الموسوعية للخليفة.

أحوالهم"[١]. ويروي المسعودي أنّ معاوية كان يقسّم وقته ويخصّص وقتاً لمذاكرة أخبار العرب وأيّامها، والعجم وملوكها، وسير ملوك الأمم وحروبها ومكايدها وسياستها لرعيتها.[٢]

وكان عبد الملك بن مروان مهتماً بأخبار العرب وملوكها[٣] وكان أبو العباس السفاح(ت١٣٦هـ) يسائل جلساءه عن الأنساب[٤]، والمأمون منهمكٌ بأحاديث السياسة والملك[٥]. والقاهر بالله (ت٣٢٢هـ) يطلب من العبدي أن يصف له الخلفاء العباسيين قبله، وأن يتحرى الصدق والدقة في وصفه[٦]. وكانت تقرأ كل ليلة عند كافور الإخشيدي السير وأخبار الدولتين الأموية والعباسية[٧]. هذه أمثلة توضّح مدى اهتمام الخلفاء بسير الملوك وأُخبار الأمم الغابرة؛ ليهتدوا بهديه في مسالكهم، ويعرفوا كيفية سياستهم ونظامهم، فقد كثرت المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية[٨] ولم يكن اهتمام الخلفاء بسير الملوك أمراً عابراً في مجالسهم، فقد خصّص بعض الخلفاء مثل معاوية، وهشام، والمنصور، والمأمون، أناساً يتلون عليهم أعمال القوّاد والملوك من الروم والفرس، وأخبار الدول وحوادث الشجعان والرأي. يلتمسون بذلك التوسّع في أسباب الدهاء وأفانين السياسة[٩].

---

(١) أبو شامة ، شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل(ت٦٦٥هـ).**الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: محمد أحمد(القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٦م) ٢/١

(٢) المسعودي: المروج ٣٩/٣ (وللمزيد انظر : الحموي ، معجم الأدباء (١٥٨٣/٤)، ابن بكّار : الأخبار الموفقيّات ، المسعودي: المروج ٥١/٣)

(٣) ابن عبد ربه: العقد ٣٦٥/٣، ٣٣١ – الطبري: تاريخ الطبري ٤٢٠/٦-٤٢١

(٤) الحصري: زهر الآداب ، ١٠٧٩/٤

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين ٣٧٧/٣

(٦) المسعودي: المروج ٢١٣/٤– ٢١٩

(٧) ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي(ت٨٧٤هـ). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية،١٤١٣هـ/١٩٩٢م). ٨/٤

(٨) نصّار، حسين. **نشأة التدوين التاريخي عند العرب**، ط٢(بيروت: منشورات اقرأ،١٤٠٠هـ/١٩٨٠م). ص١٥

(٩) زيدان: تاريخ التمدن ٦٧٥/٣

ولذلك كان البُعد المعرفي، يرتبط بأوثق الأسباب، بسياسة الملك وتنظيم أمــور الدولــة المختلفة[١] حتى لقد عمد بعض الخلفاء إلى تدوين هذه السير والأخبار، وقراءتها في أوقــات مخصّصة، كما فعل معاوية وكافور الإخشيدي. وفي هذه الأخبار دلالة واضحة على استرشاد هؤلاء بسير الغابرين، لاتخاذ قرارات سياسيَّة ناجعة.

ب ــ الفكاهة والنّادرة في مجالس الخلفاء وما ترمي إليه:

يحمل الضحك معاني سياسية واجتماعية، إذ يفلسف الأمر على نحو ساخر من أجــل تقــويم شيء أو إصلاحه، فضلاً عن دلالته النفسية العميقة[٢]. وعرف الضحك في مجــالس العلمــاء العامّة بهدف كسر الجمود وقطع الملل، الناشئين عن درس العلم، والفكاهة والضحك يُجــدّدان النشاط ويُقوّيان الذهن، ويحوّلان المجلس إلى فكاهة وانبساط[٣] فكان العلماء يتنــدّرون فــي مجالسهم ويسلكون بها مسالك مليحة[٤] وكانت الطُرف والفكاهة أموراً فطرية تجــري علــى طبيعتها في المجالس العلمية[٥]. وقد عُرف أناسٌ بــأعينهم، يضاحكون الخلفــاء، وينــالون أعطياتهم، فالشاعر الحكم بن عبدل يروي شعراً ــ يبتكر فيه قصة رؤيا رآهــا ــ فيه طرافــة وفكاهة للخليفة عبد الملك بن مروان[٦] لينال عطاءه. ومن نوادر هشام بن عبــد الملــك مــع جلسائه، أنه قال: من يسبني ولا يفحش، وهذا المطرف له، فقال له أعرابي: ألقه يــا أحــول، فقال هشام: قاتلك الله[٧].

وفي مجالس الخلفاء أيضاً كانت تجري النادرة على طبيعتها، فقد ادّعى رجل النبوة في

---

(١) عطوان، حسين. **الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي**، ط١(بيروت: دار الجيل،١٩٨٦م) ص٤٦

(٢) خريوش، حسين. **أدب الفكاهة** (الأردن: مطبوعات جامعة اليرموك،١٩٨٢م) ص ١٢

(٣) الحموي: معجم الأدباء ٢٨٦/١

(٤) خريوش: أدب الفكاهة ، ص ١٧

(٥) انظر أمثلة على هذه المجالس في معجم البلدان (١٣٤٥/٣-٢٢٥/٦).

(٦) الحموي: معجم الأدباء ١١٨٦/٣ – الأصفهاني: الأغاني ٣٦٣/٢

(٧) ابن أبي عون: الأجوبة المسكتة ، ص١٥٤

أيام الرَّشيد، فلما مثل بين يديه قال له: ما الذي يقال عنك؟ قال: إنّي نبيّ كريم. قال: فأي شيء يدل على صدق دعواك؟ قال: سل عما شئت. قال: أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه، وقال: كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى، وأغير هذه الصورة الحسنة، وإنما أجعل أصحاب هذه اللحى مرداً في لحظة واحدة. فضحك منه الرشيد[١]. وشهدت مجالس الخلفاء نشاطاً في النوادر في المستوى النحوي، فقد دخل على المأمون يوماً متنبياً، فقال له: من أنت؟ قال: أنا أحمدُ النبيُ، فقال: لعلّك مظلوم، فقال: نعم، ضيعة لي ظُلمت فيها. فأنصفه، وقال له المأمون: ما تقول الآن؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا أحمدُ النبيَّ، فهل تذمّه. فضحك المأمون[٢].

أمّا الخليفة المتوكّل فمن أكثر الخلفاء الذين اهتموا بالمضحكين، " ولعلّ ذلك يعود إلى تعقيد الحياة الاجتماعية، وازدياد البذخ والترف"[٣] وهو أول خليفة ظهر في مجلسه اللعب والضحك واللهو[٤]، ويبدو أن المتوكّل أراد الهروب أو الخروج من عصور الفتنة السابقة (فتنة خلق القرآن) أيام المأمون والمعتصم والواثق، والتي أثارت خلافات كثيرة، وقد منع المتوكل عقد مجالس تتعلّق بهذا الكلام وما يتعلق به من نشاطات فكرية[٥]، ولم يقرّب المعتزلة كما فعل سابقوه من الخلفاء، بل فتح باباً جديداً للهو والضحك، وهذا ما أطمع فيه الأعداء حتى كان أوّل خليفة عبّاسي يُقتل.

وممّا يؤثر عن المتوكل، أنّه جلس يوماً ومعه مضحكه أبو العنبس، فسأله المتوكل عن حماره، فدار حديث طويل عن حمار أبي العنبس، وطرب المتوكّل وأمر الملهين والمغنين أن

---

(١) الأبشيهي: المستطرف ٣٢٢/٢

(٢) ابن أبي عون: الأجوبة المسكتة ، ص٥٦

(٣) خريوش: أدب الفكاهة، ص ٢٢

(٤) المسعودي: المروج ٨٦/٤

(٥) نفسه

يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار، وفرح المتوكل في ذلك اليوم فرحاً شديداً، وسرّ سروراً لم يــر مثله[1].

إلاّ أن هؤلاء المضحكين لم تكن أهدافهم مادية دائماً، فقد يكونون جواسيس وأصــحاب أهداف سياسية، فالتهريج وخفة الظل والغباء هي بعض الوسائل للوصول إلى أماكن قريبة من السلطة، وبذلك أصبح الغباء أو القدرة على التغابي بضاعة غير مزجاة[2] ومما يوضح ذلــك دخول أصحاب السماجة[3] على المتوكّل في يوم النوروز، فغضب وزيره اسحاق بن إبــراهيم حينما رأى أصحاب السماجة حول المتوكل وقد جذبوا ذيل ثوبه، وقال له: يا أمير المــؤمنين، عساك تتوهّم أن هذا الملك ليس له من الأعداء مثل ماله من الأولياء، تجلس في مجلس يبتذلك فيه مثل هؤلاء الكلاب تجذَبوا ذيلك، وكل واحد منهم متنكر بصورة منكرة، فما يؤمن أن يكون فيهم عدو قد احتسب نفسه ديانة وله نية فاسدة، وطويّة رديّة، فيثب بك! فبُنِيَ للمتوكل بعد ذلك مجلس مشرف ينظر منه إلى السماجة[4] وقد أوردنا النص كاملاً لأهميتــه فــي الموضــوع، فالوزير يحذّر الخليفة من خطر هؤلاء المضحكين، فلعل عدواً يتنكر في زيّهم ويريد الإطاحة به، وأهل السّماجة لم يظهروا في مجلس خليفة قبل المتوكل، كيف وقد شُغل الخلفاء قبله بأمور السياسة والملك وعلم الكلام.

ولم تكن سياسة الجليس الجاسوس جديدة في مجالس الخلفاء، فقد أرسل ركن الدولة عيناً

---

(١) المسعودي: المروج ٤/٩٢-٩٣

(٢) الشيخ، عبد الرحمن." **كتب الأخبار مرحلة من مراحل الكتابة التاريخيــة**" (مجلــة عــالم الكتــب: مــج٨، ع١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص٢٩

(٣) هم قوم يحاكون حركات بعض الناس ويمثلونهم في أصواتهم في مظاهر مضحكة (كوركيس عواد، فــي تحقيقــه لكتاب الديارات) وهم أشبه بالمهرجين.

(٤) الشابشتي: الديارات، ص٣٩-٤٠

(جاسوساً) على ابن عبّاد من جلسائه[1]. وانتشرت ظاهرة المضحكين في مجالس الخلفاء، فالمعتمد يتخذ مضحكاً في مجالسه[2]، والمعتضد بالله اتخذ ابن المغازلي مضحكاً[3]، كما كان يهتم بالنوادر ويطلبها، فقد سأل أحمد بن الطيب عن أحد مجالسه، فقال له: دخل إلي رجل لا أعرفه، حسن الرواء والهيئة، فتوسمت فيه أنّه من أهل الفضل والمعرفة، فلم ينطق من أول المجلس إلى آخره، فلما انصرف من كان حاضراً، لم ينصرف معهم، فقلت له: ألك حاجة؟ قال: نعم، أنا رجل قد أرسلني الله إلى هذا البشر، وقد بدأت بك لفضلك ــ وقال أن عنده معجزة ــ فقال له: أحضر سطلاً فيه ماء. فأخرج من كمه حجرين أبيضين صلدين كأشد ما يكون من الصخر، فقال خذهما وضعهما في السطل وغطهما بمنديل، فحدّثه ساعة، ثم نظر في السطل فلم يجد الحجرين[4]. وهذه من النوادر التي كان يستمتع بسماعها الخلفاء. وكان ابن المخنّث من الشعراء المضحكين للمتوكل[5] ويعرّض به وينقده نقداً سياسياً من خلال الضحك.

"وتمثل طائفة المضحكة خطاب السلطة الغالبة، فعرّضوا بخصوم العباسيين من العلويين، وكان ابن المخنّث في اتصاله بالمتوكّل ممثّلاً لهذا النوع من التعريض، وربّما اتّخذ المضحك من إضحاكه واسطة للنقد السياسي، عندما يمزج الجد بالهزل، ويعرض بالخليفة في ثنايا الخطاب الساخر، وكان الخليفة يفهم ذلك الخطاب دون أن يعترض عليه[6].

وقد عرّض أبو دلامة بالخليفة المنصور عن طريق الفكاهة، عندما دخل عليه، وعليه قلانس طويلة، وكان أبو جعفر أمر بلبس القلانس والدراريع عليها مكتوب بين كتفي الرجل

---

(١) الحموي: معجم الأدباء ٢٠٩/٦-٢١٣

(٢) المسعودي: المروج ٢٢٩/٤

(٣) نفسه ٢٥٢/٤

(٤) الحموي: معجم الأدباء ٢٨٦/١

(٥) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري(ت٦٣٠هـ). **الكامل في التاريخ** (بيروت: دار صادر، ١٩٦٦م) ٥٥/٧

(٦) الكعبي، ضياء. **السرد العربي القديم**، ط١(بيروت: المؤسسةالعربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م) ص٢٢٣-٢٢٤.

"فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله"[البقرة: ١٣٧] وأمرهم بتعليق السيوف في أوساطهم، فقال له: كيف أصبحت يا أبا دلامة؟ قال: بشرٌ يا أمير المؤمنين. قال: كيف ويلك؟ قال: ما ظنّك برجل وجهه في نصفه، وسيفه في استه، وقد نبذ كتاب الله وراء ظهره! فأمر بتغيير الزي[1]. لقد تمكن أبو دلامة من النقد السياسي للخليفة عن طريق الفكاهة والتندر، وقد التفت الخليفة لهذا النقد لعلمه بالمكانة العلمية لأبي دلامة، فأخذه بعين الاعتبار.

ولم تظهر عادة المضحكين في العصر الأموي لطبيعة الدّولة والخلفاء، وإن ظهر فيهم حب اللهو والطّرب ترويحاً عن النفس. بينما في العصر العباسي وفي وقت ضعف الخلفاء، لجؤوا إلى الطرب واللهو وإدخال المضحكين إلى مجالسهم، في وقت لم يعهده أحد من الخلفاء من قبلهم، مظهرين أوضح صور الانحلال السياسي.

وفي حديث البحتري دليل واضح على هذا الانحلال، قال: "كنا عند المتوكل مع الندماء، فتذاكرنا أمر السيوف، فقال بعض من حضر: يا أمير المؤمنين، وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير. فاشتري بعشرة آلاف درهم. فطلب المتوكل من يقف بالسيف على رأسه كل يوم ما دام جالساً فدفعه إلى باغر التركي. قال البحتري: فوالله ما انتضى ذلك السيف، ولا أخرج من غمده منذ ذلك الوقت الذي دفع إليه، إلا في الليلة التي ضربه فيها باغر بذلك السيف[2]. ولهذا المجلس أبعادٌ سياسية مختلفة فهو يبيّن وجود الأعداء الجلساء في مجالس الخلفاء، التي تتداول فيها الأحاديث ذات البنى المعرفية المختلفة، فحديث السيوف لم يكن عابراً من الجلساء (العيون)، وسيف رجل البصرة، كان مخططاً له لقتل المتوكّل، كما يُبيّن الانحلال السياسي الذي وصلت إليه الخلافة وتقليدها للعجم، في أن يقف

---

(١) ابن أبي عون: الأجوبة المسكتة ، ص١٩٤.

(٢) ابن بسام : الذخيرة ٤٠/١ .

أحد الحرّاس بالسيف على رأس الخليفة، وفي هذه الرواية بيان لأهمية المجالس في تدوين مجريات الأحداث كاملة.

ج ـ : البعد التربوي السياسي (التربية السياسية)

اهتم الخلفاء بالجلساء وأتقنوا اختيارهم، وقرّبوا العلماء والحكماء المجيدين منهم واختلفت أبعاد التقريب لهم، فمن البعد السياسي إلى البعد التربوي الذي يصب أيضاً في منبع السياسة ويخدمها، فحين استقدم معاوية عبيد بن شرية من اليمن، ومثل بين يديه قال له :"إني أردت اتّخاذك مؤدباً لي وسميراً ومقوماً"[1] فمعاوية الخليفة الأموي قرّب عبيد بن شرية ليكون مؤدباً ومقوّماً سالكاً في ذلك مسلكاً تربوياً لنفسه. ولم يتوقف الأمر عند تهذيب الخليفة لنفسه، بل تعدّاه ليشمل ولده أيضاً." وروي أن معاوية أمر الرواة أن ينتخبوا قصائد يرويها ابنه، فاختاروا له اثنتي عشرة قصيدة"[2]، وقد اهتم الخلفاء باختيار مؤدبين لأولادهم، وتحديد البنية المعرفية التربوية لهم، ومن ذلك وصية عبدالملك بن مروان لاسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر مولى بني مخزوم الدمشقي مؤدب ابنائه، وهو يقول فيها:"إنّي اخترتك لتأديب ولدي، وجعلتك عيني عليهم وأميني، فاجتهد في تأديبهم ونصيحتي فيما استنصحتك فيه من أمرهم، علّمهم كتاب الله حتى يحفظوه، وفقههم على ما بيّن الله فيه من حلالٍ وحرام حتى يعقلوه، وخذهم من الأخلاق بأحسنها، ومن الآداب بأجمعها، وروّهم من الشعر أعفّه، ومن الحديث أصدقه، وجنّبهم محادثة النساء، ومجالسة الأطنّاء، ومخالطة السفهاء، وخوّفهم بي، وأدّبهم دوني، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يفهموه، فإنّ ازدحام الكلام في السمع مضيعة للفهم.

---

(١) ابن شرية: التيجان ، ص٣٢٦

(٢) ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طيفور البغدادي(ت٢٨٠هـ). المنثور والمنظوم، تحقيق: محسن غياض(بيروت: دار تراث عويدات، ١٩٧٧م) ص٤٠ـ٤١

وأنا أسأل الله توفيقك وتسديدك"[١]. ولم يتوقف الأمر على تحديد البنيــة المعرفيــة لتربيــة أولادهم، وإنما تجاوزه ليشمل اختبار الخليفة نفسه لعلم أولاده، فقد اجتمع عبد الملك بن مروان مع أولاده الوليد وسليمان ومسلمة، فاستقرأهم فقرءوا واستنشدهم فأنشدوا لكل شــاعر غيــر الأعشى، فعاتبهم على ترك الإنشاد للأعشى وقال لهم عنه: "قد أخذ من كل فن فأحــسن ومــا امتدح رجلاً قط إلاّ جعله مذكوراً، هذا عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة، وهما مــن بيــت واحد، هجا علقمة فأخمله وكان شريفاً مذكوراً، ومدح عامر بــن الطفيــل فرفعــه"[٢] ولهــذا المجلس التربوي بعد سياسي أشرنا له سابقاً. وهو أهمية تقريب الشاعر في مجالس الخلفــاء لكسب تأييد العامّة، ورفع ذكرهم. واهتم عبد الملك بالمجيدين خاصّــة لعلــو شــأنهم وشــدة تأثيرهم، وما يدلنا على الأثر السياسي لهذا المجلس[الأدبي ــ التربوي] سؤال عبد الملك بنيه عن معنى أبيات شعرية ومن عرفها فله حكمه، فأتاه بها سليمان فعهد له بالخلافة[٣]. فكانــت الفصاحة والبلاغة والحسّ النقدي معياراً عند عبد الملك لاختيار الخليفة من بعده، كما أنه علّم أولاده إحدى سياسات الحكم الهامة في تقريب الشعراء .

والمنصور يأمر الشرقي القطامي[٤] بتعليم ولده المهدي، ولكن الأحاديــث التــي أمــر المنصور بتعليمها لولده لم تستهو المهدي، مما جعل القطامي يقص قصص الملوك القــدامى، ويدخل في أحاديثه المسلية هذه الأحاديث التي أمره المنصور بتعليمها المهدي[٥]. وهذا دليــل على مدى اهتمام الخلفاء بتربية أولادهم تربية سياسية وفق ما يرون، وذلك دفعهم لتخصيص

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ١/ ١١٦

(٢) ابن بكّار: الأخبار الموفقيات، ص٤٩

(٣) نفسه ص٥٠

(٤) هو الوليد بن حصين عالم بالأدب والنسب، استقدمه المنصور إلى بغداد ليعلّم ولده المهدي الأدب، وكان صــاحب سمر .(البغدادي: تاريخ بغداد ١٣/ ٤٥٠).

(٥) الحموي: معجم الأدباء ٣/١٤١٧ــ١٤١٩

أحاديث معينة يأمرون بتعليمها أولادهم، كما استقدموا مؤدبين من مدن أخرى.

والرّشيد في أحد مجالسه يستدعي الكسائي (ت ١٨٩هـ)[1] فيتذاكر الشعر معه وبحضرة ولديه الأمين والمأمون [2].

والرّشيد يتّبع طريقة تربوية تعليمية مع ولديه، وكأنه على علم بالطريقة الاستقرائية في نظريات التربية الحديثة ، فقد ضرب أمثالاً من الشعر مدّعياً أنّه لا يعرف شيئاً من معناها ، موجّهاً أسئلته للكسائي كي يُسمع ولديه أجوبة أسئلته[3]. "عن الكسائي قال: دعاني الرّشيد ذات يوم وما عنده إلاّ حاشيته فقال: يا عليّ أتحب أن ترى محمداً وعبد الله؟ قلت : ما أشوقني إليهما يا أمير المؤمنين، وأسرّ إليّ معاينة نعمة الله جلّ وعزّ على أمير المؤمنين فيهما وبهما، فأمر بإحضارهما، فأمرهما بالدنو وصيّر محمداً عن يمينه وعبد الله عن يساره، ثمّ التفت إليّ فقال: يا علي ما زلتُ ساهراً مفكراً في معاني أبياتٍ قد خفيت عليّ قلت: إن رأى أمير المؤمنين أن ينشدنيها؟ فأنشدني :

قَدْ قُلتُ قَولاً للغرابِ إذْ حَجَلْ   عَلَيْكَ بالقُودِ المسانيقِ الأُوَلْ

تَغذَّ ما شِئْتَ على غَيرِ عَجَلْ

فقلت: نعم يا أمير المؤمنين إنَّ العير إذا فصلت من خيبر وعليها التمر يقع الغراب على آخر العير فيطردها السوّاق، يقول هذا: تقدم على أوائل العير فكل على غير عجل، والقود الطوال الأعناق، والمسانيق: المقدمة. ثم أنشدني:

لعمري لأن عشّرت من خشية الردى   نهاق الحمار إنني لجهولُ

---

(١) وقد كان الكسائي مؤدباً للرشيد والأمين، وقد أخرجه الرشيد من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء.

(٢) البيهقي: المحاسن والمساوئ ، ص٤٦٣-٤٦٧

(٣) عابدين: قصر المأمون ، ص٣٦

قلت: نعم يا أمير المؤمنين ، كان الرجل من العرب إذا دخل خيبر أكبَّ علـــى أربـــع وعشّر تعشير حمير خيبر / ثم أنشدني قول الآخر :

أجَاعلٌ أنتَ بيّقوراً مُضرّمةً　　　ذريعةً لكَ بين اللهِ والمَطَــر

قلت نعم، كان العرب إذا أبطأ المطر تشدّ العُشر والسّلع، وهما ضربان من النبت ، في أذناب البقر تفاؤلاً بالبرق والمطر . ثم أنشدني:

لَعمرُكَ ما لامَ الفتى مِثل نَفسهِ　　　إذا كانت الأحياءُ تُعْدى ثِيابُها

وَآذن بالتصفيقِ من ساءَ ظنُّهُ　　　فَلَم يَدْرِ من أيّ اليدينِ جَوَابُها

قلت: نعم يا أمير المؤمنين كان الرجل إذا ضلَّ في المفازة، قلب ثيابه وصاح كأنّه يومئ إلى إنسان ويشتد شدة ويصفق بيديه فيهتدي الطريق. ثمّ أنشدني:

قَـــــوْداءُ تمْلـــــكُ رَحْلَهــــا　　　مِثــلُ اليتـــيم مـــن الأرانـــبِ

قلت: نعم ، يقول: هذه ناقة مثل اليتيم من الأكام ، واليتيم الواحــد مــن كــل شـــيء . والأرانب الأكام. ثم أنشدني لرجل آخر:

وسِربِ ملاحٍ قد رأيتَ وجوهَهُم　　　إناثٌ أدانيـــة ذكـــورٌ أواخـــرهُ

يعني الأضراس .

قال: فوثب الرّشيد فجذبني إلى صدره وقال: لله در أهل الأدب!

ثم قال : استنشدهما ، يعني ابنيه ، فأنشدني محمد الأمين:

وإنّي لعفُّ الفقـر مُـشتركُ الغِنـى وتـارِكُ شَـكلٍ لا يوافقـهُ شَـكلي

وشَـكْلي شَـكلٌ لا يقـومُ بمثلِـهِ من النّاسِ إلاّ كلّ ذي نيقةٍ مِثلـي

وأنشدني المأمون (عبد الله):

بَكَرَتْ تلومك مَطلَـعَ الفجـرِ ولقد تلومُ بغيـرِ مـا تـدري

ما إن ملكت مـصيبة نزلـتْ إذ لا يُحَـمُّ طائعـاً أمـري[1]

والمجلس مليء بالأبعاد التربوية، فيظهر فيه حسن أدب الولـدين، وشـعور الرّشـيد باضطراب ولديه، رافضاً أن يوجّه لهما أسئلة علمية أو أدبية فور وصولهما إلى المجلس، فبعد أن شعر الرشيد باطمئنانهما، وبعد أن أنهى تعليمهما غير المباشر توجّه إليهما بـأن ينـشداه، ويفرّق الرشيد بين محفوظ الأمين من الشعر والذي يوحي بالركاكـة وضـعف النفـسية، و محفوظ المأمون وأبياته الشعرية الفصيحة والرصينة .

وفي قول الرّشيد للكسائي: "لله درُّ الأدب" درسٌ تربويٌّ سياسيٌّ لولديه في أهمية الأدب من جهة، وفي تقريب الأدباء من جهة أخرى. وقد صاغها المأمون فيما بعد، إذ قال للنّـضر ابن شميل : "قبّح الله من لا أدب له"[2] وكأنّه استفاد من الدرس الذي علّمه إيّاه الرّشيد، فاهتم بالأدباء وبالأدب وجعل جلساءه منهم.

د : أثر ميول الخليفة على مجالسه، والصدى العام لهذه الميول.

امتاز كل خليفة بأهواء خاصّة تميّزه عن غيره، وهذه الميول انعكست على مجالـسه،

---

(١) البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص٤٦٣-٤٩٧

(٢) البيهقي: المحاسن والمساوئ ، ص٤٥٣-٤٥٥

ومن ثمّ كان لها صداها على مجالس العامّة من المثـــقفين وغيرهم . ولم يكن كل الخلفاء على درجة واحدة من العلم والثـــقافة، أو الحنكة السياسية، إلاّ أنهم جميعـــاً اســـتقدموا الـــشعراء، وفتحوا لهم أبواب قصورهم ليمدحوهم ويكسبوا بذلك حسن الثـــناء بين العامة[1] وبذلك كانت المجالس الأدبية متناسبة مع الشخصية القائمة على أمر الخلافة. وعملـــت الميـــول العلميـــة للخلفاء، على ازدهار الحركة الأدبية، فقد نشطت الدراسات اللغوية وتأثّرت برغبة خلفاء بني أمية بالأدب، وخاصة معاوية وعبدالملك بن مروان، فقد قرّبا العلماء والأدباء والشعراء، ممـــا انعكس ايجاباً عليهم، فقد تأهّبوا للقاء الخلفاء، وهيّئوا أنفسهم لإرضاء رغباتهم، فجمعوا شـــعر الفحول والقبائل، ودوّنوها، وتفننوا في الإلمام بجميع أنواع المعارف وتدوينها[2].

وكان معاوية محبّاً للأخبار، والقصص والتاريخ والحكمة[3]. وبسبب الخلاف الذي دار بينه وبين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– كثيراً ما كانت تـــدور هـــذه القـــضية فـــي مجالسه[4] وكان أهل العلم يتناظرون في هذه الأمور[5] ومجالسهم هذه صدىً لما كان يدور في مجلس الخليفة.

وكان عبد الملك بن مروان يهتم بهذه الأمور أيضاً، وله اهتمام بالأنـــساب، وببيوتـــات العرب وأفضل العرب[6] "وكان الوليد صاحب بناء واتّخاذ للمصانع والضياع، وكـــان النّـــاس يلتقون في زمانه، فإنّما يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع، فولي سليمان، فكان صاحب نكاح وطعام، فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والجواري . فلمّا ولي عمر بن عبد

---

(١) سار جميع الخلفاء على ذلك، إلاّ الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (ت ١٠٢ هـ) الذي رفض أن يقف الشعراء على بابه مادحين.

(٢) نصّار، حسين. **المعجم العربي نشأته وتطوره**، ط٤(القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ٢٥/١

(٣) ابن عبد ربه: العقد ٤٢٩/٢– ٣٢/٣– ٥٥/٣ ، الحموي: معجم الأدباء ١٢٩٠/٣

(٤) المسعودي : المروج ٢٤٤/٣

(٥) المسعودي: المروج ٢٢٤/٣

(٦) ابن عبد ربه: العقد ٣٣١/٣، ٣٦٥

العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القـرآن؟ ومتـى تختم؟"[1].

والسّفاح كان يعجبه محادثة الرجال ومفاخرات العرب من نزار والـيمن، والمـذاكرة بذلك[2] وهذا الميل للخليفة انعكس على العامة فثارت العصبيات القبلية بينهم. والهـادي كـان يعجبه أحاديث الشراب. ففي مجلس من مجالسه مع نديمه ابن دأب، قال له الهـادي: حـدّثني بحديث من حديث الشراب، فقال له: نعم يا أمير المؤمنين، خرج نفرٌ من كنانـة إلـى الـشام يجلبون الخمر، فمات أحدهم، فجلسوا على قبره يشربون، فقال أحدهم:

لا تُصَرِّدْ هامةً من شربها اسقهِ الخمر وإن مات في قبر

اسقِ أوصالاً وهاماً وصدًى ناشعاً ينشعُ نشع المنهبر

كان حُرّاً فهوى فيمن هوى كُلُّ عودٍ هَنونٍ منكسرْ

قال: فدعا بدواة فكتبها[3].

أما الأمين فكان صاحب لهو وشرب وكان ينفق على مجالسه الأموال الطائلة لآليـات الشراب[4].

أمّا المأمون فقد كان رجل علم وأدب، وكان سيداً لمنتداه، وكان ناقداً فذّاً لا يستهان به، وصاحب رأي، وقد كان يشجع العلماء، ويحث على إحياء التـراث القـديم والحـديث فـي عصره[5] وقد عرف المأمون بحبه لأهل الكلام من المعتزلة وجالسهم لمحبّتـه لمنـاظرتهم[6]

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤٩٧/٦

(٢) المسعودي : المروج ٢٨٥/٣ ، ٢٩٣

(٣) الحموي: معجم الأدباء ٢١٤٧/٥، (والنشع: النجاة من كرب الموت). وانظر مثالا آخر ١٥٧/٦

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ٢٥٠/٧ ، الصابئ: الهفوات النّادرة ، ص٤١

(٥) عابدين: قصر المأمون، ص ٨٨

(٦) ابن الطقطقي: الفخري، ص١٥٩

وكان كبار المعتزلة من جلسائه وأهل سياسته مثل أحمد بن أبي داؤد[١] ولا يخفى انعكاس هذا على مجالسه ومجالس العامة، وحدوث فتنة خلق القرآن.

وتبعه في هذا المعتصم، والواثـق، وكان الواثـق محباً للنظر مكرمـاً لأهلـه وكـان يحضر مجالسه الفلاسفة والمتطبّبون[٢] أما المتوكل فعلى الرغم من وجود مجـالس لـه فـي الأخبار والأنساب[٣] إلا أنَّ مجالسه عرفت باللهو والضحك، ووجود أهل السماجة، وأصبح له مضحكون[٤] وسار الخلفاء على هذه السياسة من بعده، فالمعتمد (ت ٢٧٩هـ) كـان شـغوفاً بالطّرب ومحبة أهل الغناء، واللهو والملاهي، وله مجالس مطوّلة مع جلسائه المتخصـصين بالطرب والغناء، وبنية المجلس في الطرب وأنواعه والمغنّي الحاذق، وفنـون الـنّغم، وفـي الرقص وأنواعه[٥]، وما يتعلق بذلك من فنون. وحبّب إلى المكتفـي (ت ٢٩٥هـ) الطعـام والشراب، فكان يحب حديثهما، ووصف الأطعمة التي بين يديه، وفي وصف الأشربة وما قيل في ذلك من أشعار[٦].

وقد أثّر الخلفاء العباسيون إلى حدٍ بعيد في المجتمع الإسلامي ووجّهوه، و كانوا مثـالاً تحذو حذوهم الطبقات الاجتماعية المختلفة، وتقلّدهم في الكثيـر مـن سـيرتهم ومطـاعمهم ومجونهم ومباذلهم[٧] وفي هذا كلّه تأكيد على أنَّ ثـقافة القصر هي ثـقافة العصر، وأنّ مـا يدور في مجالس الخلفاء من أحاديث، تتذاكره الطبقة المثـقفة والعامّة، وقد كان شعراء القصر

(١) ابن طيفور: تاريخ بغداد ، ص٣٦

(٢) المسعودي: المروج ٤/٧٧-٧٨

(٣) الحموي: معجم الأدباء ٢/٧٦٦

(٤) المسعودي: المروج ٣/٢٩٣ ، ٢٨٥ – الشابشتي : الديارات ، ص٣٩-٤٠

(٥) المسعودي: المروج ٤/٢٢٠-٢٢٦

(٦) نفسه ٤/٢٨٧-٢٩٨

(٧) المنجد، صلاح الدين. **بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي**، ط٢ (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٤م) ص٥

وسيلة لنقل ما يدور في مجالس الخلفاء إلى مجالس العامة[1].

ثالثاً ــ جدلية السُّلطة السياسية والثــقافة

تَمثّل الجدل القائم بين السُّلطة السياسية والثــقافية، بالسيطرة والهيمنة الــسياسية علــى الأدب والثــقافة، ولكن لم تكن السُّلطة السياسية معول هدم دائماً، بل كانت في بعض الأحيان دافعاً ومحفّزاً للعلم والعلماء .

أ : تسييس الأدب.

إن دراسة المجالس الأدبية باعتبارها نصوصاً ثــــقافية، تكــشف عــن أنــساق هــذه النصوص، في علاقتها بالسُّلطة السياسية والثــقافية بشكل عام، وتثير تساؤلاً مهماً عن مــدى أثر هذه العلاقة الجدلية على الأدب؟ . فقد كان خطاب السُّلطة طوال عصور التاريخ، المحرّك الأكبر لتأريخ رسمي يحضر فيه الخليفة وواعظه وخاصّــته من العلماء والأدباء، في حــين تغيب العامّة، ولا تكون إلا في الأنساق التابعة لهذه السُّلطة[2] وهذا ساعد على إيجاد طبقــات متباينة، وهذا الاهتمام السياسي بالثــقافة والأدب لم يكن عفوياً فقد كان الخلفاء "على وعــيّ بأهمية السلطات الفكرية والدينية، وكانوا نتيجة لذلك يحرصون على استقطاب العلماء والأدباء في مجالسهم، وقد كان الأدباء على وعي بحاجة السُّلطة السياسية إلــى خــدماتهم، وبعــضهم استغلّ هذا في خدمة مبادئه ونشرها"[3].

ووجدت في خضم هذا الاهتمام السياسي بالأدباء طائفة "أدباء السلاطين" وهؤلاء أدبــاء

---

(١) الحسين بن الضحّاك – مثلاً– نادم جماعة من خلفاء بني العباس منهم : الأمين والواثـــق والمتوكّــل ، وكانــت أشعاره تصوّر ما كان يدور في قصور الخلفاء، عبد الستار عبد الفرّاج . **نديم الخلفــاء** (مــصر: دار المعــارف ، ١٩٥٢م) ص١٣، ١٦٩

(٢) الكعبي: السَّرد العربي القديم ، ص ٢١٦

(٣) صديق: المناظرات في الأدب العربي ، ص١٢٥

من طراز جديد نشأوا حول الخلفاء في قصورهم"[1] كانوا يؤدّون دوراً أساسياً في توجيه الصّراع والتطور الاجتماعي في الدولة الإسلامية[2] وكان الشعراء خاصةً الحبل الممتد دائماً بين الخليفة والرَّعية، وكان الشاعر المتحدّث الرَّسمي للخليفة أمام الشعب[3] وهذه العلاقة عملت على "تسييس الأدب"[4] فقد كانت الدولة الأموية والعباسية، بأشد الحاجة إلى الأدباء لتبليغ دعوتهم وإقناع الناس بسياستهم "فالأمويون أوجدوا نظام الوراثة في الحكم، وقد وجد العباسيون من مصلحتهم أن يرثوا هذا النظام، ومنذ نشأة هذا النظام، ناضل الأمويون لإعطائه صفة شرعية، وسخّروا لذلك مختلف القوى التي كانت في حوزتهم، ومنها دفاعهم عن الاعتقاد القائل بأن الإنسان مُسيّر وأن الله قدّر مصيره، وهذا الاعتقاد ساعد على إكساب حكم الأمويين صفة الشرعية[5]، وتبنى الشعراء هذا الاعتقاد ونشروه بين الناس .

وعلى الرغم من وجود فئات فكرية أخرى حول الخلفاء إلاّ أنّهم شجّعوا الحركة الأدبية والقصص الرَّسمي، وقرّبوا الشعراء وبذلوا لهم الأموال، كما أنّهم عيّنوا القصّاص في المساجد، كل ذلك لدعم وجودهم واستمرار حكمهم، فوراء الشاعر قبيلة تنشد شعر شاعرها وتفخر به، خاصة وقد حدث "تحوّل كبير في الأنساق الثقافية للشاعر والخطيب بعد أن كانا يكتسبان سلطتهما من القبيلة المتحوّلة إلى سلطة"[6] ومن ثمّ أوجدت الدولة كاتب الديوان، سعياً

---

(١) آدم متز: الحضارة الاسلامية ٣١٩/١

(٢) صديق: المناظرات في الأدب العربي ، ص١٣٠

(٣) انظر: شعر الحكم بن عبدل مع عبد الملك بن مروان ، معجم الأدباء (١١٨٦/٣) وشعر ابن دأب مع عيسى بن موسى معجم الأدباء (٢١٤٧/٥)

(٤) هناك فرق دقيق بين قولنا "تسييس الأدب"، و "الأدب السياسي"، الأول هو فرض السلطة السياسية هيمنتها على الأدب عامة، والأدب السياسي هو الأدب الذي يخدم الأحزاب السياسية وينشأ في أحضانها.

(٥) صديق : المناظرة في الأدب العربي ، ص ١٢٤ .(تبنى الأمويون العقيدة الجبرية لاضفاء الشرعية على حكمهم، انظر: الدوري: نشأة التاريخ، ص٤٨)

(٦) الكعبي : السّرد العربي القديم ، ص ٢١٩

منها لتدوين نصوصها "أي لممارسة سلطتها الثقافية[1] خصوصاً وقد قويت شوكة أصحاب الحديث والفقه، ولم تتمكّن السلطة السياسية من السيطرة عليها في تدوين سلطتها. فالتدوين الانتقائي الذي سعت إليه السلطة الأموية لم يخلق خطاباً سلطوياً موحداً، فقد تشكل إلى جانب هذا التدوين الانتقائي تدوين متسّع لنصوص متعددة كانت السنّة مُشَكّلها الرئيسي، وهذا يعني أن خطاب الفرق الأخرى[2] قد أقصي من هذا التناول، ويعني أيضاً أن خطاب السّلطة كان مهدداً، ومن هنا كان سعيها لخلق بلاغة سلطانية/أدب سلطاني، يقف جنباً إلى جنب الخطاب الديني (السني)"[3]. وكان لاستعانة الخلفاء بالأدباء، آثار انعكست على الأدب، فقد حاول الشعراء والأدباء أن يتقنوا عملهم وينقحوه ليظهر في أبهى حُلّة أمام الخليفة[4] وفي الوقت ذاته دخلت الزيادات والمبالغات التي أثّرت سلباً على الأدب، في اختلاط الروايات الشعرية ونسبتها إلى قائليها. ومن مظاهر التسييس الأدبي تحديد أصول ثقافة النخبة ومرجعيتها، في تحديد شروط لجلساء الخليفة[5] فَوجِد أدب تابع للسُّلطة، وانتشرت مجالس القصاص واهتم الخلفاء بها حتى ارتبط عمل هؤلاء بسياسة الدولة، وأصبح تعيينهم والإشراف عليهم من مهمّات الدولة[6]، حتى إنَّ بعض الخلفاء خصص لجلسائه غرفاً خاصة بهم، واستأثروا بأدباء يرافقونهم في مجالسهم[7].

---

(١) الكعبي: السرد القديم ، ص٢٩٠

(٢) مثل الشيعة والخوارج والقدرية والمرجئة.

(٣) السّيد، رضوان. **الجماعة والمجتمع والسلطة**، ط١(بيروت: دار اقرأ،١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص٧٦

(٤) انظر على سبيل المثال : ابن عبد ربه: العقد ٣٠٦/٥-٢٠٧

(٥) انظر مثلا – شروط النديم في كتاب "التاج" للجاحظ ، ص٦٩-٧٠ – وانظر شروط الكاتب التي وضعها عبد الحميد الكاتب الديوان (الجهشياري : الوزراء والكتاب، ص ٧٢-٧٩)

(٦) بلبع: المسجد والقصص والمذكرون، ص٣٩٩.

(٧) فمثلاً كان الكسائي والأصمعي عند الرشيد يقيمان بقيامه ويظعنان بظعنه(الحموي: معجم الأدباء ١٧٤٤/٤)

ب: النَّزعة الذاتية في ضوء السلطة السياسية

في ضوء الجدل المحتدم بين السياسة والثـقافة، وفي عملية تسييس الأدب استغلّ بعض الأدباء وجودهم في كنف الخلفاء لخدمة مصالحهم الخاصة، وظهرت النّزعة الذاتية واضـحة جليّة بين الأدباء برعاية الخلفاء، وهذه النزعة الذاتية أثّرت على الأدب بقوة، وللأسف تـشير النصوص إلى وجود الأثر السلبي، وهذا ما يوصف بتحجيم الأدباء والأدب في بعض الأحيان، في معركة دارت بين الخصوم في مجالس الخلفاء، والظفر لجليس الخليفة، مهما كان رأيـه. ومن الأمثلة على هذه العلاقة الثلاثية المتـشابكة (الأدبـاء الخـصوم ـ الأدب ـ الـسلطة السياسية)، ما كان من خصومة بين الحاتمي (ت ٣٨٨هـ) والمتنبي (ت ٣٥٤هـ) فقد استغلّ الحاتمي هذه الخصومة ليحط من شأن المتنبي في مجلس الوزير المهلبي (ت ٣٥٢هـ) ويقول الحاتمي في ذلك: "لمّا تثاقل أبو الطيب المتنبي عن خدمة الوزير المهلبي وأساء التوصّل إلـى استنزاله عن عرفه، ولم يوّفق لاستمطار كفّه، وكانت واكفة البنان، منهلّة باللُّجين والعقيـان، سامني هتك حريمه، وتمزيق أديمه، ووكلني بتتبع عُواره، وتصفّح أشعاره، وإحواجـه إلـى مفارقة العراق"[1]، ودارت بينهما منازعات، تتبع من خلالها الحاتمي أشعار المتنبي، وبيـان سرقاته وسقطاته، وقيّد هذه المجالس في رسالته الموسومة بـ "الرسالة الموضِحَة" أو "جبهـة الأدب" أو "الحاتمية"، ولا يخلو هذا الكتاب النقدي من النزعة الذاتية للحاتمي، فهو يُشير إلـى أن الوزير المهلبي هو الذي حرّضه على مهاجمة المتنبي، إضافة إلى غرور الشباب. وجاءت هذه الرسالة في مجموعة مجالس بينهما في مجلس الوزير.[2] وتشير المصادر إلى وجود لقاء

---

(١) الحاتمي : الرسالة الموضِحة ، ص٢-٤

(٢) عباس، إحسان. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط١ (عمّان : دار الشروق ، ٢٠٠١م). ص ٢٥٥-٢٥٦

بين المتنبي والحاتمي، لم يُعِرْ فيه المتنبي الحاتمي أي اهتمام، فنقم عليه جرّاء ذلك[١].

وفي مناظرات الهمذاني(ت ٣٩٨هـ) والخوارزمي(ت ٣٩٣هـ)[٢]، آثار واضحة لتلك النزعات الذاتية ودسائس الرؤساء، وقد حاول الخوارزمي أن يتقرّب من الصاحب بن عباد عن طريق النيل من المتنبي والغض من شعره، ترضية للصاحب الذي كان يحقد على المتنبي لترفّعه عن مدحه وإشادته بابن العميد[٣].

وفي لقاء سيبويه، مع الكسائي في حضرة يحيى البرمكي (ت ١٩٠هـ) في المسألة المعروفة "بالزنبورية" تظهر النزعة الذاتية جلية ، فقد كان الكسائي من جلساء يحيى البرمكي وممن له حظوة عنده، وكان حريصاً على أن لا يتصدّر المجلس أديب غيره، وقد علم بمقدار علم سيبويه، فتعمّد تخطئته، كما هو مشهور.[٤] ولا يخفى لما في هذه النزعة الذاتية من تحجيم للعلم والعلماء[٥] ففي رؤية السلطة السياسية يتجاور المقدّس بالمدنّس، ولكن لا يعني هذا التجاور إذابة الحدود الفاصلة بينهم؛ فالتراتبية الصارمة تقتضي وجود هذه الفوارق التي يحكمها خطاب السُلطة الموحد[٦] فكان لزاماً عدم تجاوز السلطة وإن كانت على غير جادة الصواب. وقد يكون الخليفة أو الوزير صاحب نزعة ذاتية يرفض بسببها أن يتفوّق عليه أديب أو شاعر[٧].

---

(١) الحموي: معجم الأدباء ٦/٢٥١٠-٢٥١٨

(٢) نفسه ١/١٠٤-١٠٦ ، وانظر: الهمذاني، أحمد بن الحسين بديع الزمان(ت٣٩٨هـ). **رسائل بديع الزمان**(ص ٢٨-٨٣).

(٣) مبارك، زكي. **النثر الفني في القرن الرابع** (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت) ٢/٣١٩

(٤) الحموي: معجم الأدباء ٤/١٧

(٥) نفسه (٢/٣٠٢) ومن أمثلة تحجيم العلماء، تحجيم المرتضي (ت ٤٣٦هـ)، للمعرّي (ت ٤٤٩هـ) في مجلسه، فقد كان المرتضي يبغض المتنبي ويتعصّب عليه، فدافع عنه المعري، فغضب المرتضي وأمر فسُحب برجله وأُخرج من مجلسه.

(٦) الكعبي: السُرد العربي القديم ، ص٢٢١

(٧) التوحيدي: مثالب الوزيرين، ص١٦٢(حبس ابن عباد ابن ثابت البغدادي لتفوقه في مسألة علمية واجادته فيها)

وقد تجرّ هذه النزعة الذاتية الأديب إلى الاختلاق والتصنّع لحيازة المكانة والرفعة عند أصحاب الشأن[1].كما وقد تذكي النّزعة الذاتية عند الخلفاء أنفسهم، روح التنافس والتحدي بين الشعراء، ففي مجلس سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق، ونصيباً الشاعر، قال سليمان للفرزدق: أنشدني ــ وإنّما أراد أن ينشده مديحاً فيه ــ فأنشده مفتخراً:

وركبٍ كأنّ الرّيحَ تطلب عندهم لها ترةً من جذبها بالعصائب

سروراً يركبون الرّيح وهي تلفّهُمْ إلى شُعَب الأكوار ذات الحقائب

فتمعّر سليمان واربدّ لما ذكر الفرزدق غالباً، وقال لنصيب: قم وانشد مولاك ويحك، فانشد:

أقولُ لركبٍ صادرينَ لقيتهم قفا ذات أوشالٍ ومولاكَ قاربُ

قفوا خبّروني عن سليمان إنّني لمعروفه من أهل ودّانَ طالبُ

فقال سليمان للفرزدق: كيف ترى شعره؟ قال: هو أشعر أهل خلدته، قال سليمان: وأهل خلدتك[2]. لقد كانت النّزعة الذاتية المصاحبة للخليفة، سبباً في اذكاء روح التنافس بين الشاعرين، وإن كانت تذكي العصبيات القبلية كذلك. وفي مجلس بين يدي المتوكل وفيه البحتري والصيمري، أنشد البحتري:

عن أي ثغرٍ تبتسم وبأي طرفٍ تحتكم

حتى بلغ قوله:

قُلْ للخليفة جعفر المتوكـــــــــــــــــل ابن المعتصم

---

(١) الحموي: معجم الأدباء ١١٦٥/٣ (انظر أمثلة أخرى ٢٦٠/١) وفي مجلس المنصور بن أبي عامر (ت ٣٧٢هـ) ينشده الشاعر صاعد شعرا ارتجالا في وردة كانت في المجلس، فأعجب المنصور بذلك الشعر، فاغتاظ ابن العريف، مما دعاه إلى اتّهام صاعد بسرقة الأبيات، وقال إنه رآها على ظهر كتاب عنده، وقام بتزوير هذا الكتاب وتقديمه إلى المنصور.

(٢) الحموي: معجم الأدباء ٢٧٥٣/٦

والمجتدي ابن المجتدى والمنعم ابن المنتقم

وكان البحتري من أبغض الناس انشاداً، يتشدق ويتزاور في مشيه مرة جائياً ومرة القهرى، ويهز رأسه مرة ومنكبه أخرى، ويشير بكمه، ويقول: أحسنت والله، ثم يُقبل على المستمعين فيقول: ما لكم لا تقولون أحسنت؟ فضجر المتوكل من ذلك وأقبل على الصيرمي، وقال له: اهجه على هذا الروي، فقال:

أدخلت رأسك في الحرم وعلمت أنّك تنهزم

يا بُحتري حَذارِ ويلكَ من قضاقضةٍ ضُغُم

فخرج البحتري مغضباً يعدو، والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عنه[١].

هذه إشارات يسيرة تبيّن صورة الثقافة العربية في بُعدها الذاتي، فالأديب القريب من الخليفة أو الوزير كان مفضلاً على غيره – وعلمه مفضل على علم غيره- وزاد من هذه النزعة اشتعال ثائرة الخلاف بين العلماء، وانقسامهم مدارس متباينة، مثل مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة[٢].

ج: الرِّواية الأدبية في مجالس الخلفاء.

في عملية تسييس الأدب وتوجيه السُّلطة السياسية لرسالة الأدب والأديب، حرص الشعراء والجلساء على رضا الخلفاء، لتكون حظوتهم عندهم أمكن، وجوائزهم أعظم وأكبر، وكان الشّاعر يوجّه شعره وفق محاب الخليفة أو الوزير، ممّا يؤدي في أحيان كثيرة إلى اختلاق أبيات شعرية أو خلط أبيات ببعضها بعضاً، ففي مجلس من مجالس الصاحب بن عبّاد، يُنشده علي بن الحسن الكاتب قصيدة ويُضمّنها أبياتاً للصاحب على الروي نفسه، فيهشّ ابن

---

(١) الحموي: معجم الأدباء ٢٤٢٣/٦

(٢) كانت النزعة الذاتية في أوجها بين العلماء وكانت السلطة السياسية عاملاً مساعداً في إذكائها ، انظر أمثلة على هذه الخلافات (معجم الأدباء ٥٤٠/٢- ٥٤٨/٢).

عبّاد للقصيدة لأن بها أبياتاً له[1] ولهذا يجب التحقق من الأشعار التي تُنشد في مجـالس ذوي السلطان[2] .

ولم يتوقّف الأمر على الشعر وحده ، بل تعدّاه إلى القصص والأخبار، فقد كان للخلفاء ميل شديد إلى سماع الأخبار، فيعقدون المجالس يحضرها الأدباء من أهل الأخبار والنـوادر والأدب والشعر، وقد يستدعي الخليفة الجليس ليحدّثه، فلا يزال الرجل يتنقل بحديثه من خبـر إلى نكتة إلى نادرة على شعر، وقد يضع قصة من عنده، يبنيها على نكتة أو حكمة ممّا يعلـم ارتياح الخليفة له[3]. وقد كان لمجالس الأخبار وظيفة سياسية، وهذا ما دفع الرّاوي في أحيانٍ كثيرة إلى توجيه الأخبار والمبالغة فيها أو حتى اختلاقها اختلاقاً، فالقريبون من السلطان كثيراً ما يتصورون أن في مقدورهم ترقيق قلب الحاكم[4]. ممّا يدفعهم إلى ابتداع قصص وأخبار لا أصل لها ففي مجلس في دار المهدي (ت ١٦٩هـ) اجتمع عدد من الرواة والعلماء، وفـيهم المفضل الضبي(ت ١٧١هـ) وحمّاد الرّاوية (ت ١٥٥هـ)، فسألهم المهدي عن قول زهيـر "دع ذا وعد القول في هرم" فما أمر نفسه بتركه؟ فقال المفضّل: ما سمعت يا أمير المـؤمنين في هذا شيئاً إلاّ أني توهّمته يفكر في قوله، أو يروّي في أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مـدح

---

(١) التوحيدي : مثالب الوزيرين ، ص١٤٠

(٢) ابن سلام : الطبقات ١/٦٠-٦١

ويقول ابن سلام (ت ٢٢٤هـ) في الأشعار التي تروى في مجالس الملوك أنّها لا تستقصي ومنها مصنوع يقول "وروي عن الشّعبي شيء يحمل على لبيد :

باتَـتْ تَـشكّي إلـيَّ الـنّفسُ مُجْهِـشةً	وقَـد حَملتـك سَـبْعاً بَعْـدَ سَـبعينِ
فَـإنْ تعيـشي ثلاثـاً تبلغـي أمـلاً	وفـي الـثلاثِ وفـاءٌ للثمـانينَ

ولا اختلاف في أنّ هذا مصنوع تُكثّر به الأحاديث، ويُستعان به على السَّهر عند الملوك، والملوك لا تستقصي.

(٣) زيدان : تاريخ التمدن ٦٧٥/٣

(٤) الشيخ، عبد الرحمن ." **كتب الأخبار مرحلة من مراحل التدوين**" (مجلة عالم الكتـب، مـج٨، ع١ ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص ٢٦

هرم، وسأل المهدي حماداً عن مثل ما سأل عنه المفضل فقال حمّاد : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين، قال: فكيف قال؟ فأنشد:

لِمَــنِ الــديار بقنــةِ الحَجــرِ　　　أقــوينَ مُــذْ حِجَــجٍ ومُــذْ دَهْــرِ

مفــرٌ بِمُنْــدَفِعِ النّجائِــبِ مِــنْ　　　ضَفْوَى أولاتِ الــضالِ والــسدرِ

دَعْ ذا وعــدِّ القــوم فــي هــرم　　　خيــر البــداة وســيدِ الحَــضَرِ

فاستحلف المهدي حماداً إن كانت الأبيات لزهير، فقال حماد أنّه هو الذي وضعها[١] . وهذه رواية واضحة على صُنْع الشعر في مجالس الخلفاء لنيل المكانة عندهم وقد يُعجب صاحب الشأن السياسي بيت شعري فيطلب من جلسائه بيتاً آخر زيادة في الإمتاع[٢]، ولا يخفى في سلبيات هذا الأمر من اختلاط الأبيات الشعرية ونسبة أبيات إلى غير قائلها، فقد انتشرت السرقات الأدبية بعد أن كثر التلاحي بين الشعراء، وكثرت العصبيات القبلية والانقسامات السياسية[٣].

وأخيراً فلقد كان أمر الحرية الفكرية منوطاً بمشيئة الخلفاء، ومرتهناً بإرادتهم اطلاقاً وانطلاقاً، وحجراً وتقييداً؛ فقد يتسع مجالها لكل شيء من السخافات والأباطيل، وقد يضيق بها الخليفة ذرعاً في بعض المسائل، فتضيق حلقها كأنها لا تسع أي شيء، ولم تكن حرية الرأي نابعة من شرعية عامة، ولكن كان المرجع الأول والأخير إلى هوى الحاكم ونوازعه وعقليته،

---

(١) الحموي: معجم الأدباء ٢٧١١/٦ ، انظر مثالاً آخر (معجم الأدباء ٢٦٠/١).

(٢) نفسه ١٩٧٧/٥

(٣) هدارة، محمد مصطفى . **مشكلة السرقات في النقد العربي** ، ط ٢(بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٩٧٥م) ص٢٦

وما تقتضيه سياسة حكومته[1]. وهذا ما أردنا تحقيقه في هذه الدراسة، من خلال عرض الجانب الأدبي والمعرفي للخلفاء في مجالسهم، وانعكاسه على الثقافة بشكل عام.

(١) الجندي، علي، وآخرون. **أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والاسلام**، ط١(مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٩م) ١/٢٤١، للمزيد انظر:ظاهر، محمد حسن محمد."**اشكالية المعرفة والسلطة – بحث في الفكر السياسي الاسلامي** –(مجلة الاجتهاد، ع٢٣، ١٩٩٤) ص١٠١

الفصل الثاني

الأبعاد الفكرية وتأويلاتها

كان لظهور الفرق الإسلامية اجل الأثر في الحياة الأدبية والفكرية وقد مهدت المجالس لنشوء هذه الفرق وأظهرت المقومات العقلية والوجدانية لكل فرقة، وكان الشعراء والأدباء يصبغون شعرهم وأدبهم بكل ما يدور في هذه البيئات ويشتركون في المناقشات الدائرة فيها[١] وصحب هذا النشاط العقلي، نشاط أدبي واضح، خاصة الخطابة فهي أول ما يصحب مثل هذه الحركات الفكرية، إذ يتوافر لها عنصر الجمهور[٢] ولم يكن لهذه الفرق من وسيلة لنشر مبادئها خير من الأدب.

وقد شجع الخلفاء مثل هذه اللقاءات بين أصحاب العقائد المختلفة، مما رشح لقيام مناظرات جدلية بينها، حشدت لها كل ما يمكن من أدلة نقلية وعقلية، وكان الناس يجتمعون حول هذه الفرق في حلقات، فيقوم المناظر ومعه أصحابه فيعلن رأيه ويدعمه بكل دليل، ويتقدم الخصم بين أنصاره ويثبت رأيه بالأدلة والبراهين[٣].

ونحاول فيما يلي توضيح جوانب الرفض العقدي والأدبي والاجتماعي في المجالس الفكرية، المصبوغ بالثقافة الفكرية[٤].

---

(١) ضيف، شوقي. **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، ط٣ (مصر: دار المعارف ١٩٦٥م) ص٧٩.

(٢) الحاجري، محمد طه. **مرحلة التشيع في المغرب العربي**، ط١ (بيروت: دار النهضة، ١٩٨٣م) ص٤٢.

(٣) ضيف: العصر الإسلامي، ص٤٠٩.

(٤) اجتماع عشرة أدباء وشعراء في البصرة، انظر ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تقديم محمد حسن شمس الدين، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٨٣ هـ/١٩٩٢م، ٢/٢٩، ٣٣٤ وانظر الأصفهاني، الأغاني ٣/١٤٠.

أولاً: الفكر الاعتزالي

كان للمعتزلة* دور ملحوظ في التطور الفكري في المجتمع " فهي فرقة دينية فلسفية ثم سياسية بعد ذلك"[1]. ترتكز على ضخامة أقطابها سواء كانت هذه الضخامة في الشخصية، أم في سمو الفكر والصفات، فلقد اجتمع لها جميعاً صفة التبحر في العلم والشغف بالفلسفة، والكلف بالأدب والجدلية المعجزة للخصوم. وكان لهؤلاء مجالسهم بما تحويه من صخب المجادلات وقوة الردود وجدلية الحلول والأحكام[2] وكانت هذه المجالس هي التنظيم المبكر للتعليم الكلامي في الإسلام[3] ولم تكن هذه المجالس في ظاهرها فكرية بل كانت أدبية، فقد كانت المجالس الأدبية صورة للحوار ومظهرا للاختلاف خاصة عندما تعززت فيما بعد المناظرات، مع اتّساع رقعة المنشغلين بعلم الكلام في العصر العباسي. وعند دراسة المعتزلة وثرائها الفكري والأدبي، تظهر لنا أهمية المجالس في كونها البذرة الأولى للمدارس الكلامية، فما كان لأفكار هذه الطائفة ان تنتشر دون جماعة يتحلقون حول معلم أو شيخ يحدّثهم، وكانت هذه الطائفة تنشر مبادئها في بادئ الأمر عبر المجالس الأدبية، حتى قويت واستظلت بظل السلطة الحاكمة وصار لها مجالسها الخاصة.

---

* تعد المعتزلة إحدى المدارس الفكرية الإسلامية وظهرت في عهد الدولة الأموية، وفي العصر العباسي تكونت للاعتزال مدرستان كبيرتان، هما: مدرسة البصرة، ومدرسة بغداد. من أسمائهم: المعتزلة، وأهل العدل والتوحيد، قيل سبب تسميتهم المعتزلة أن واصل بن عطاء (ت ١٣١ هـ) اختلف مع أستاذه الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) في مجلسه في مرتكب الكبيرة، فقال كلاما يخالف به قول الحسن البصري فاعتزله، فقال الحسن : اعتزلنا واصل، فقيل لهما ولأتباعهما "معتزلة " لاعتزالهم قول الأمة في دعواها أن الفاسق ليس مؤمنا ولا كافرا. وللمعتزلة أصول خمسة هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وافترقت المعتزلة فيما بينها عشرين فرقة (انظر: البغدادي، عبد القادر بن طاهر (ت ٤٢٩ هـ). **الفَرْق بين الفِرَق**، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥/١٩٨٥) ص٧٨ – الخياط، أبو الحسن عبد الرحيم بن محمد (ت ٣٠٠ هـ) **الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد**، تقديم: محمد حجازي (القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، د . ت) ص١٢٦

(١) الريس، محمد ضياء الدين. **النظريات السياسية الإسلامية** ، ط٥ (مصر: دار المعارف: ١٩٦٩م) ص٧١

(٢) مقدمة كتاب الانتصار للخياط ص١٥.

(٣) وات، مونتغمري " **بدايات المدارس الكلامية في الإسلام** " مجلة الاجتهاد، ع١٩، ١٩٩٣م ص١٣-٢١.

أ ـ المرتكزات الأدبية في ضوء المدرسة الكلامية

كان أدب المعتزلة انعكاساً لبيئتهم الفكرية وقضاياهم الخاصة، وبما ان المعتزلة يمثلون ظاهرة فكرية جديدة، فهم يمثلون ظاهرة أدبية جديدة، لأن الفكر الجديد يحمل في ثناياه، معالم تيارات أدبية تمثّل روحه، والتطورات الأدبية مرتبطة بالتطورات الفكرية[1] وقد اهتم المعتزلة باللغة والأدب حتى عرفوا بالفصاحة. وعرف النظام[2] (ت ٢٣١ هـ) وأبو الهذيل العلاف[3] (ت ٢٣٥هـ) بفصاحتهما وكانت اللغة منذ نشأة البحث العلمي فيها، أداة أساسية من أدوات الدرس التي ارتكزت إليها جهود المعتزلة، وكثرت إشاراتهم إلى موضوعاتها المختلفة، وعالجوا بعض قضاياها معالجة تخدم عقائدهم، واتخذوا اللغة في ذاتها أساساً للجدل والاحتجاج[4].

ومن صور اهتمام المعتزلة بالأدب واللغة في سبيل خدمة أفكارها :

١ـ الخطابة :

لم تكن صلة المعتزلة بالخطابة متوقفة على الدعوة العقائدية فقط؛ إنّما تجاوزت صلتهم بها إلى التقنين والتقعيد، فقد ترك بشر بن المعتمر[5] (ت ٢١٠هـ) وثيقة هامة في بيان أسس

---

(١) بلبع، عبد الحكيم. أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ط٣ (القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت) ص ١٦٥-١٧٢.

(٢) النظام، هو إبراهيم بن سيار أبو إسحاق (ت ٢٣١ هـ) وهو ابن أخت أبي الهذيل العلاف شيخ الجاحظ، ويعتبر من أذكياء المعتزلة وكان ينظم الخرز في سوق البصرة لذلك قيل له النظام، اخذ عن الثنوية والسمنية القائلة بتكافؤ الادلة وخالط الفلاسفة والملاحدة له فرقة تعرف باسمه (الفرق بين الفرق، ص ٩٣-١٠٩).

(٣) أبو الهذيل العلاف محمد بن الهذيل بن عبد الله (ت ٢٣٥ هـ) من أئمة المعتزلة، ولد بالبصرة واشتهر بعلم الكلام قال المأمون: اطل أبو الهذيل على الكلام باطلال الغمام على الأنام، له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات، كان حسن الجدل قوي الحجة سريع الخاطر (وفيات الأعيان ١/٤٨٠).

(٤) العشيري، محمد رياض، التصور اللغوي عند الإسماعيلية (الإسكندرية: منشأة المعارف ١٩٨٥م) ص١٢٧.

(٥) بشر بن المعتمر، أبو سهل بن المعتمر الهلالي (ت ٢١٠ هـ) شيخ معتزلة بغداد ومؤسس فرع الاعتزال فيها، وكان حسن الجدال، ويعد في ذروة فصحاء المتكلمين وبلغائهم(البغدادي : الفرق بين الفرق ١١٤-١١٦).

الخطابة فيروى الجاحظ أن بشر بن المعتمر مرّ بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة الخطيب (ت ١٦١ هـ) وهو يعلم فتيانهم الخطابة فوقف بشر فظن إبراهيم انه إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلا من النظارة ، فقال بشر اضربوا عما قال صفحاً، واطووا عنه كشحاً، ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه، وكان أول ذلك الكلام: وخذ من نفسك ساعة نشاطك، وفراغ بالك، وإجابته إياك، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهراً، وأشرف حسباً، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة، والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة، ومهما أخطأك لم يخطئك أن تكون مقبولاً قصداً، وخفيفاً على اللسان سهلاً[١]. وقد كانت الخطابة وسيلة المعتزلة في المناظرة والإقناع وسلاحهم في الجدل والخصومات لذلك أصبحت صناعة تحتاج إلى تعلم ودرس، ولم تعد كلاما يجري به الطبع، وهذه الصناعة تحتاج إلى تعلّم وتلقّ عن أساتذة خبراء، وتحولت مجالس الكوفة والبصرة ومساجدهما إلى مدارس تُعلم فيها هذه الأصول[٢]، وكان في البصرة مجالس تعليم منظّم على يد معلم واحد على الأقل، وفي الكوفة نشأت مدرسة هشام بن الحكم[٣](١٩٠ هـ) [٤].

٢ ـ المواعظ :

معظم الفرق لجأت إلى المواعظ، لتمنح دعوتها السّمة الشرعية، إضافة إلى الرغبة في

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ٢٣١/١

(٢) قصّاب، وليد. **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة** (قطر: دار الثقافة، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م) ص٦٢.

(٣) هشام بن الحكم (ت ١٩٠ هـ) متكلّم مناظر كان شيخ الأمامية في وقته، وانقطع إلى يحيى البرمكي، فكان القيم بمجالس كلامه ونظره وكان حاضر الجواب، وقد زعم هشام ان معبوده جسم ذو حد ونهاية، وانه طويل، عريض، عميق، وأنّه ذو نور ساطع يتلألأ وانه ذو لون وطعم ورائحة ... (البغدادي، الفرق بين الفرق ص٤٤)

(٤) مونتغمري: بدايات المدارس الكلامية، ص ١٣-٢١

التأثير في نفوس الناس[1] وكانت المواعظ إحدى وسائل المعتزلة للدعوة إلى عقيدتهم، وكانت المواعظ أشيع عند الطبقات الأولى من المعتزلة، الذين لم يتح لهم أن يتزودوا تـــزوداً كـــاملاً بالثقافات العقلية اليونانية[2] وأكثر هذه المواعظ لواصل بن عطاء[3] (ت١٣١هـــ) ولعمرو بن عبيد[4] (ت ١٤٤هـــ). ولعمرو بن عبيد مواعظ مختلفة للمنصور (ت ١٥٨ هـــ) قـــال لـــه المنصور يوماً، يا أبا عثمان عظني، فقال : يا أمير المؤمنين، إن الله أعطاك الدنيا بأســـرها، فاشتر نفسك منه ببعضها، واعلم أن الأمر الذي صار إليك، لو بقي لمن قبلك لم يصل إليـــك، واعلم أنك لست أول خليفة تموت، فاحذر يا أمير المؤمنين ليلة صبيحتها القيامة، ليلة تتمخض بيوم الفزع الأكبر، ثم بكى المنصور، وقال:

كلكم طالب صيد وهو ذو مشي رويد

غير عمرو بن عبيد

ثم يقول له: يا أبا عثمان أعنّي بأصحابك استعن بهم، فقال له عمرو: أظهر الحق يتبعك أهله"[5]. وفي كلام عمرو دعوة للمنصور في نشر مبادئ المعتزلة وعقائدهم، ومن خلال هذه الموعظة، استطاع عمرو أن ينتصر لمذهبه، ويعمل على نشره، ويكسب تأييد الخليفة أيـــضاً.

---

(١) الصفّار: آفاق الأدب الأموي، ص٢٦٩

(٢) بلبع: أدب المعتزلة ، ص١٩٦-١٩٧

(٣) واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة (ت ١٣١ هـــ) رأس المعتزلة ومن أئمة المتكلمين ومن المعتزلة طائفة تنسب إليه تسمى"الواصليه " وهو الذي نشر مذهب الاعتزال، ولد بالمدينة ونشأ بالبصرة، وكان يلثغ بالراء فتجنب الراء في خطابه وضرب به المثل في ذلك، لقب بالغزال لأنه كان يتردد على سوق الغزالين(أمالي المرتضى: / ١١٣)

(٤) عمرو بن عبيد بن باب (ت ١٤٤ هـــ) أبو عثمان، سكن البصرة وجالس الحسن البصري، ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة، فقال بالقدر، ودعا إليه، واعتزل أصحاب الحسن(الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي(ت٤٦٣هـــ). **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، تحقيق: مصطفى عبد القادر القط، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـــ/١٩٩٧م) ١٢/١٦٥ــ١٦٦

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٢/١٦٨ ، البلاذري: أنساب الأشراف ٣/٢٣١

وله معه مواعظ أخرى[١] ولابن السماك المعتزلي مواعظ للرشيد [٢].

٣ـ النقد والبلاغة والبيان :

تعد المعتزلة أكثر من اهتم بالنقد، وقد اندفع علماؤها نحو استبانة المقـاييس البلاغيـة والنقدية؛ لأن البلاغة عنصر مهم في الإقناع، والإقناع غاية الجدل الكلامي، ولإيمان المعتزلة أن الشّعر العربي مصدر من مصادر المعرفة الكبرى ووعائها، فهو يتيح لدارسيه مقداراً كبيراً من معارف متنوعة، وقد كانت هذه المجالس الاعتزالية أكبر قوة فاعلة في تطور النقد الأدبي في القرن الثالث، لا بالأشخاص فحسب، وإنما من خلال المتأثرين بها[٣] وكانت بيئة المتكلمين من الأصول الأولى لمبحث الأنواع البلاغية، والصورة الفنية التي قام عليها التراث البلاغـي والنقدي[٤] وقد اهتم رجال المعتزلة بالبلاغة والبيان، فقد قيل لعمرو بن عبيد: مـا البلاغـة ؟ فقال: ما بلغك إلى الجنة، وعدل بك عن النار. قال السائل: ليس هذا أريد، قال: فما بـصرك مواضع رشدك وعواقب غيّك. قال: ليس هذا أريد. قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يسمع، ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن أن يسأل، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول. قال: ليس هذا أريد. قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : إنّا معشر النبيين بكـاء – أي قليلو الكلام – وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله. قال السائل: ليس هذا أريـد. قال: فكأنك تريد تخيّر الألفاظ في حسن إفهام؟ قال: نعم"[٥] وفي هذا النص دليل واضح علـى المقدرة البلاغية لديه، والتي تجعله حاضر الجواب في إعطاء عدة معان للبلاغة.

---

(١) البلخي، أبو القاسم (ت ٣٨٩ هـ). **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**، تحقيق: فؤاد سيد، ط٢ (تونس: الدار التونسية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ص٢٤٩. ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/١٣١.

(٢) ابن عبد ربه: العقد ٣/١٦٤ .

(٣) عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص٥٤-٥٦.

(٤) عصفور، جابر، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط٣ (بيروت: المركز الثقافي العربي ١٩٨٢م) ص٩٩.

(٥) ابن عبد ربه: العقد ٢/٢٦٠

وسئل ثمامة[1]عن البيان فقال: أن يكون الاسم محيطا بمعناك، مخبـراً عـن مغـزاك، مخرجاً من الشركة غير مستعان عليه بالفكرة[2].

ولقد أثارت قضية المعنى في النقد الأدبي أجواء أهل الاعتزال، لما لها من صلة وثيقـة بتوجيه النقاد إلى رصد المعاني المشتركة بين الشعراء، وأخذ اللاحق عن السابق، ممـا أدى إلى ظهور قضية السرقات الأدبية[3] و يعد المعتزلة أول من درس الدراسات البيانية، وصحيفة "بشر بن المعتمر" تشبه أن تكون مقالة في موضوع البيان، فالدراسات البيانية وضع أساسـها وأبان معالمها "المتكلمون" وذلك يرجع إلى حاجتهم إلى الثقافة الواسعة، ودراسة أساليب الأداء وصحة دلالتها على المعنى والأفكار[4] ولرجال المعتزلة جهود واضحة فـي مجـال النقـد والبلاغة والبيان.

منها ما كتبه ابن المنجم[5] (ت ٣٠٠ هـ) في المفاضلة بـين شـاعرين[6]، وكتـاب الرماني (٣٨٤ هـ) في إعجاز القرآن " النكت في إعجاز القرآن ". وقد كان القول بالمجاز هو الأداة الرئيسية للتأويل عند المعتزلة، وحين يعجز التحليل اللغوي عن بيان وجه التجـاوز في العبارة، يعتصم المعتزلة بالقرينة العقلية، التي اعتبروها أشد دلالة من القرينـة اللفظيـة، المتصلة بالكلام[7] لذلك اهتم المعتزلة بالتأويل العقلي وتوظيف اللغة لخدمة هذا التأويل.

---

(١) ثمامة بن الأشرس (ت ٢١٣ هـ) كان مشهورا بالعلم والأدب ومن جملة المتكلمين المعتزلة وكان زعيم المعتزلة، وهو الذي دعا المأمون للاعتزال، وله فرقة تنسب إليه هي الثمامية (البغدادي: الفرق بين الفرق ص١٢٦-١٢٩).

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ١٨٦/٦

(٣) عباس: تاريخ النقد الأدبي ، ص ٨٥ ، هدارة: السرقات الأدبية ، ص٢٢٠

(٤) طبانة، بدوي. **البيان العربي** (بيروت: دار الثقافة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ص٥٩.

(٥) هو يحيى بن علي بن أبي منصور المعروف بابن المنجم (ت ٣٠٠ هـ): نديم، أديب متكلم من فضلاء المعتزلة، نادم جماعة من الخلفاء آخرهم المكتفي (وفيات الأعيان ٢٣٥/٢).

(٦) وهي رسالة فاضل فيها بين العباس بن الأحنف والعتابي مفضلا الأول على الثاني، انظر المرزباني، محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ). **الموشح**، تحقيق: علي البجاوي (مصر: دار النهضة، ١٩٦٥م) ص٤٤٩-٤٥١

(٧) أبو زيد، نصر حامد. **الاتجاه العقلي في التفسير**، ط٥، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣م) ص٢٤٥

ب ـ التأويل العقلي وتوظيف اللغة

اصطبغت المعتزلة بالتأويل العقلي، واهتمت في البحث عن سند شرعي من النصوص الدينية يعضد آراءها ومعتقداتها، فكان الإعلاء من شأن العقل هو وسيلتهم لتحقيق غاياتهم، والعقل عندهم هو مجموعة من العلوم الضرورية التي يخلقها الله تعالى في المكلف، وهي علوم لا ينفك عنها الإنسان ولا يشك في متعلقاتها[١] والتأويل المعتزلي تأويل عقلي لغوي، وقد حظيت اللغة بجانب كبير من اهتماماتهم، وأخضعوها لمنهجهم العقلي، فكانت عندهم ظاهرة اجتماعية قابلة للتطور والتغير[٢] والتأويل العقلي هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر الراجح إلى معنى آخر مرجوح، لقرينة إما لفظية أو معنوية يعضدها فهم بالمسالك اللغوية الدلالية، وأصل التأويل العقلي، تصور عقلي شامل لذات الله تعالى، وصفاته، وخلقه، وعلاقته بعباده، وأفعال العباد، بما فيها اللغة، فقد وجدوا اللغة تحمل مسحة عقلية وهي واسعة الدلالة[٣] وقد اعتمد الشريف المرتضى[٤] (ت ٤٦٣ هـ) في أماليه ومجالسه على هذا النوع من التأويل في تفسيره للآيات القرآنية، وفي هذه المجالس اختار بعض آي القرآن مما يغم تأويله على الخاصة، بل العامة، ويدور حولها السؤال ويثار الاستشكال، وعالج تأويلها على طريقة أصحابه من المعتزلة، وحاول أن يوفق بين تأويل الآيات المتشابهة، وما دار على ألسنة العرب من نصوص الشعر واللغة[٥]

كما استدلوا على عقائد الشعراء عن طريق تأويلهم لأشعارهم وأقوالهم، فقد استدل

---

(١) نفسه ص٢٤١

(٢) العشيري: التصور اللغوي ، ص١٣٠-١٣١

(٣) أبو صالح، أمان، " **الفكر الإسلامي: التوحد في التنزيل والتعديل في التأويل** " الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عمان (الأردن: منشورات جامعة آل البيت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ص٤٢٦-٤٢٨.

(٤) الشريف المرتضى، علي بن الحسين بن موسى (ت ٤٣٦ هـ) من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب نقيب الطالبيين واحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر، يقول بالاعتزال (وفيات الأعيان ٣٣٦/١).

(٥) المرتضى: الأمالي المقدمة ص١٨ ، الشكعة: مناهج التأليف ، ص٣٨٢-٣٨٣

المرتضى على اعتزال ذي الرمة بمجلسه مع رؤبة بن العجاج، فقال رؤبة: والله ما فحص طائرٌ أفحوصاً, ولا تقرمص السبع تقرموصاً إلا بقضاء من الله وقدر, فقال له ذو الرمة: والله ما قدّر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عياييل ضرائك, فقال له رؤبة: أفبقدرته أكلها؟ هذا كذبٌ على الذئب ثانٍ، فقال ذو الرمة: الكذب على الذئب خيرٌ من الكذب على رب الذئب. وهذا الخبر صريح في قوله بالعدل واحتجاجه عليه وبصيرته فيه(١).

وهذا المجلس الذي أفصح عن عقيدة كِلا الشاعرين، يوضح الأبعاد الفكرية المستكنّة وراء هذه الكلمات، وقد يفصح الشاعر عن عقيدته بأبيات شعرية فيبدو المجلس أدبياً وهو يحمل أبعاداً عقائدية مختلفة، ومنها قول ذي الرمة(٢):

وعينان قال اللهُ كونا فكانتا　　　　فعولين بالألباب ما تفعل الخمر

فقال له عمرو بن عبيد: ويحك لقد قلت عظيما فقل " فعولان بالألباب"، فقال ذو الرمة : ما أبالي أقلت هذا أم سبّحت، فلما علم بما ذهب إليه عمرو قال: سبحان الله ! لو عنيتُ ما ظننتَ كنتُ جاهلاً (٣).

ولم يتوقف الأمر على تأويل الكلام تأويلاً عقلياً فحسب؛ وإنما كانت اللغة والنحو سبيلين للخلوص إلى الإقناع بما يرمي إليه المعتزلة من عقائد، ففي أحد المجالس الأدبية اجتمع الأصمعي وأبو عثمان المازني، فسأل الأصمعي المازني: ما تقول في قول الله عز

---

(١) المرتضى: الأمالي ١٦٤/٢ – والمجلس في الزجاجي: مجالس العلماء ، ص١٦١ (والعياييل، جمع عيل وهو ذو العيال، والضرائك : جمع ضريك وهو الفقير)

(٢) وقد سأل الحضرمي الفرزدق عن هذا البيت فأنشده :

وعينان قال الله كونا فكانتا　　　　فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

فقال أبو إسحاق الحضرمي: لو قال فعولين لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما، ولكنه أرادهما يفعلان بالألباب ما تفعل الخمر (الزجاجي: مجالس العلماء، ص٨٥-٨٦) وفي مجالس ثعلب ص٤٠ مجلس يوضّح عقيدة الفرزدق القدرية.

(٣) المرتضى: الأمالي ٢٠/٢

وجل: " إنّا كل شيء خلقناه بقدرٍ "، فقال: سيبويه يذهب إلى أن الرفع فيه أقوى منه من النصب في العربية، لاشتغال الفعل بالمضمر، ولأنه ليس ها هنا شيءٌ هو بالفعل أولا، ولكن أبت عامة القراء إلا النصب، ونحن نقرؤها كذلك اتباعاً، لان القراءة سنّه. فقال له الأصمعي: ما الفرق بين الرفع والنصب في المعنى ؟ (فعلمت مراده وخشيت أن يغري العامة بي – المازني–) فقلت : الرفع بالابتداء والنصب بإضمار فعل (وتعاميت عليه)، فقال: حدثني جماعة من أصحابنا أن الفرزدق قال يوما لأصحابه: قوموا بنا إلى مجلس الحسن البصري فإني أريد أن أطلّق النوّار وأشهده على نفسي، فلما وقف على الحسن قال له: يا أبا سعيد تعلم ان النوار طالقٌ ثلاثاً، قال: قد سمعت، وتتبعتها نفسه بعد ذلك فأنشأ يقول :

ندمتُ ندامة الكُسعيِّ لمَّا	غَدَتْ مِنّي مُطَلّقة نوارُ
وكانَتْ جنّتي فَخَرَجتُ مِنْهَا	كآدم حين أخرَجَهُ الضِّرارُ
ولو أني ملكت يدي ونفسي	لكانَ عليّ للقدرِ الخيارُ

ثم قال: والعرب تقول : لو خيّرت لاخترت، تحيل على القدر، وينشدون:

هي المقادير فلمني أو فذر	إن كنت أخطأت فما اخطأ القدر

ثم أطبق نعليه وقال: نعم القناع للقدري! [١] ويحمل هذا المجلس أبعاداً فكرية مختلفة، منها أن القضايا النحوية بدأت تختلط بالقضايا والمسائل الكلامية، فقد لجأ المازني (المعتزلي) إلى النحو لتسويغ معتقده القدري، وهو يوضح مدى الرفض العقدي الأدبي بقولة (أبت)، فهو يرفض اجتماع عامّة القراء على النصب، ويصر على الرفع موضحاً مدى مطاوعة النحو واللغة للإغناء التأويلي، كما لم يكن لديه كامل الجرأة لتوضيح أفكاره، فقد خاف من العامة،

---

(١) الزجاجي: مجالس العلماء ، ص ٢٩٤-٢٩٥، الحموي: معجم الأدباء أنه سئل المازني عن سبب قلة روايته عن الأصمعي، فقال : رميت عنه بالقدر والميل إلى مذاهب أهل الاعتزال.

فلجأ إلى المراوغة في الإجابة.

ثم يربط الأصمعي بينه وبين الفرزدق ربطاً عقائدياً، وأشركهما في القدرية، وهو يوضح أيضا عقيدة الفرزدق القدرية من قوله" لكان علي للقدر الخيار" وأشار إلى قناع القدرية.

وراح كبار رجال المعتزلة يجتمعون بأهل العربية ويجالسونهم ويجادلونهم في اللغة، لتأييد أفكارهم من كلام العرب وأشعارها، سأل عمرو بن عبيد أبا عمرو ابن العلاء : هل يخلف الله وعده ؟ قال: لا، قال: أفرأيت من أوعده الله عقاباً أيخلف وعده ؟ قال أبو عمرو: من العجمة أتيت يا أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعد عارا ولا خلفاً، والله عز وجل إذا وعد وفى، وإذا أوعد ثم لم يفعل كان ذلك كرماً وتفضيلاً وإنما الخلف أن تعد خيراً ثم لا تفعله. قال: فأوجدني هذا في كلام العرب قال:

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي   ولا يختفي من صولة المتهدد

وإني إن أوعدته أو وعدته   لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وتكلم في هذه الآية: "وَنَادَى أَصْحَاب الجَنَّة أَصْحَاب النَّار أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَم" [الأعراف ٤٤] فقيل: كيف خرج القول من الفريقين بلفظ واحد وهو وعد ووعيد ؟ فقال: لأن العرب تقول وعدته خيراً ووعدته شراً، فإذا اسقطوا الخير والشر قيل في الخير وعدت، وفي الشر أوعدت[1] وفي هذا المجلس دلالتان على درجة من الاهميه (الأولى مدى اهتمام المعتزلة بإثبات عقائدها من خلال اللغة (عقيدة

---

(١) الزجاجي، مجالس العلماء ، ص٧٨-٧٩، الحموي: معجم الأدباء ١٣١٩/١ وفي النصين اختلاف، وفي المعجم يقول عمرو لأبي العلاء: شغلك الإعراب عن طلب الصواب وانشد:=

= ان ابا ثابت لمشترك الخير   شريف الآباء والبيت

لا يخلف الوعد والوعيد ولا   يبيت من ثاره على فوت

رافضاً التعليل الذي قدمه أبو العلاء مستشهدا بالشعر لتقوية رأيه

الوعد والوعيد)[1]، والثانية مجالستهم أهل اللغة للإفادة منهم، ثم الرد عليهم من كلام العـرب والشعر، ولا يخفى لما لهذه المجالس من الأهمية في تقوية شوكة المعتزلة من جهة، وفي نشر عقيدتها من جهة أخرى. وفي المجلس بُعدٌ آخر وهو إشارة أبي عمرو للفكر الـدخيل علـى عمرو بن عبيد وقوله (من العجمة أتيت) وهو يشير إلى فكرة دخول الأعاجم وفلسفتهم فـي التفكير الاعتزالي. وعمرو بن عبيد يثبت أن رجال المعتزلـة كـانوا أصـحاب اجتهـادات وتأثيرات واضحة في اللغة والنحو.

وابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ) يستند في دفعه لرأي القدرية إلى كلام العرب واللغة مستشهداً على ذلك بالشعر العربي وآراء النحاة، فهو يخدم بدفاعه هذا أهل السنة، ولكنه مثـال علـى المجادلات والمناظرات بين أهل الكلام والسنة[2].

وقد حرص أهل السنة والمعتزلة وغيرهم من المتكلمين، على تدعيم تأويلاتهم للمجـاز القرآني بالرجوع إلى لغة العرب، وهذا ساعد على تدعيم فكرة (قداسـة اللغـة) واحتـرام تقاليدها المجازية، ولقد كان المعتزلة يدركون أن تأويلاتهم العقلية الخالصة للمجاز القرآني لا يمكن أن تقنع أو تكتسب صفة الشرعية ما لم تستند إلى أساس لغوي مكين[3] وهذه الفكرة لـم تغب عن بال المعتزلة قط؛ فكان الأدب ملازماً لهم في أصولهم العقائدية ونشرها.

---

(١) الوعد والوعيد، احد الأصول الخمسة للمعتزلة – ذكرت سابقا – وقد قالوا فيه أن الله تعالى صادق في وعده ووعيده – يوم القيامة –لذلك أنكروا الشفاعة يوم القيامة، وتجاهلوا الآيات القرآنية التي تقول بها، لأنه الشفاعة تتعارض مع مبدأ الوعد والوعيد فلا يستطيع احد أن يشفع عند الله لأحد ويجعله ينجو من العقاب، بل تجد كل نفس يومئذ من الثواب والعقاب بقدر عملها (انظر: جار الله، زهدي. **المعتزلة** (بيروت: الأهلية للنشر، ١٩٧٤م) ص٥١-٥٢)

(٢) انظر في هذه المناظرات والمجادلات: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ). **الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة**، تحقيق: محمد الكوثري (القاهرة: مكتبة القدس، ١٣٤٩ هـ) ص١٢

(٣) عصفور: الصورة الفنية ، ص١٤٢

ج ــ الجدل والمناظرة

المعتزلة أول من أبرز هذا الاتجاه في النثر العربي، وتعتمد المناظرات على البراعة في استخدام الدليل، وعلى المنطق في إفحام الخصم وإلزامه بالحجة، وكانت مظهراً للفصاحة(١) والجدل في الأصل هو فن المحاورة والمناقشة، والغرض منه الارتقاء من قول إلى قول للتوصل إلى المبادئ العليا أو الأولى، أو هو الصراع الفكري أو الخصومة الفكرية ومقابلة الحجة بالحجة، للدفاع عن قضية أو عن مبدأ معين(٢) والجدل يقوم على استخدام المنطق وسعه الثقافة وحدة الذهن، وقد التفت المعتزلة إلى فن المناظرة القائم على الجدل، وأدركوا أنه يجب أن يكون علماً له أصول وقواعد(٣). ومن مظاهر وعي المعتزلة بالمناظرة وضع أشراط خاصة لها، فقد اجتمع متكلمان فقال أحدهما: هل لك في المناظرة؟ فقال: على شرائط، ألا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تقبل على غيري وأنا أكلمك، ولا تجعل الدعوى دليلا، ولا تجوز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلا جوزت لي مثلها على مذهبي، وعلى أن تؤثر التصادق، وتنقاد للتعارف، وعلى أن كلاً منّا يبني مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته(٤). وفي هذا اللقاء القصير وضع هذا الرجل المتكلم قواعد وأصولا للمناظرة. وسبب اهتمام المعتزلة بالمناظرة، أن غايتهم الدفاع عن الإسلام والرد على أصحاب الملل والعقائد الأخرى، وهذا تطلب منهم ثقافة متنوعة، و " لما كان أعداء الإسلام من نصارى ويهود ومجوس ودهرية، كلهم مزودون بثقافات عقلية مختلفة يستخدمونها في الدفاع عن دياناتهم ومذاهبهم؛ أخذ المعتزلة يكبّون على هذه الثقافات ويتعمقون في نواحيها المختلفة

---

(١) العمرجي، احمد شوقي إبراهيم . **المعتزلة في بغداد**، ط١ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠م) ص١٣٤-١٣٥

(٢) عطية، جورج " **الجدل الديني المسيحي وأثره في نشوء علم الكلام** " (المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ١٩٨٧) ٤٠٧/١

(٣) بلبع: أدب المعتزلة ، ص٢٠٤

(٤) الأصفهاني: محاضرات الأدباء ٤٥/١

حتى يتهيأ لهم من إمكانيات الدفاع عن الدين ما يتهيّأ لخصومهم "[١] واحتاج المعتزلة لهذا الدفاع الجدلي إلى وسائل إقناع بعد تسلحهم بالثقافة المتنوعة، لذلك كانت البلاغة والبيان عنصرين مهمين من عناصر الإقناع وجذب ذهن السامع، والرد على أعداء الدين الذين كانوا يحاولون أن ينتقصوا من العرب، بانتقاص حضارتهم وثقافتهم وتراثهم، فكان ذلك حافزاً للعرب على أن يتمسكوا بثقافتهم ومادتها من شعر وأدب ولغة ويدرسونها دراسة عميقة[٢].

وقد عُرف المعتزلة بمناظرتهم لمختلف الملل والعقائد الأخرى واشتهر أبو الهذيل (ت ٢٣٥ هـ) بمناظراته الجدلية، فله جدل مع يهودي في نبوة موسى[٣] ومع مجوسي[٤] وأتاه رجل فقال له: أشكل علي آيات من القران توهمني أنها متناقضة، وآيات توهمني أنها ملحونة. قال: فهل أجيبك بالجملة أو تسألني آية آية ؟ فقال: بل تجيبني بالجملة. فقال أبو الهذيل: هل تعلم أن محمداً كان من أوسط العرب وغير مطعون عليه في لغته، وأنه كان عند قومه من أعقل العرب فلم يكن مطعوناً عليه. واخذ أبو الهذيل يجادل الرجل حتى قال كفاني هذا[٥].

وللمعتزلة مناظرات مع الرافضة[٦] ومع أهل السنة[٧]، ومع النصارى، وكان للمسيحية أثر كبير على المعتزلة في المسائل اللاهوتية التي أثارها المسيحيون، وقد جرت بينهم وبين المسلمين مناظرات دينية، اشتد فيها الجدل والحوار، فكل صاحب عقيدة يثبت صحة معتقده، وقد شجع الأمويون على قيام هذه المناظرات الجدلية التي أدت إلى اقتباس المعتزلة بعض

(١) بلبع: أدب المعتزلة ، ص٢٠٥

(٢) قصّاب: التراث النقدي والبلاغي، ص٣٢

(٣) المرتضى: الأمالي ١٢٤/١

(٤) نفسه ١٢٦/١

(٥) ابن المرتضى، احمد بن يحي (ت ٨٤٠هـ). **المنية والأمل** . تحقيق عصام الدين محمد علي (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية . ١٩٨٥م) ٤٤/١-٤٥

(٦) الخياط: الانتصار ، ص٢٠٨-٢١٢

(٧) ابن قتيبة: الاختلاف في اللفظ ، ص٧٠-٧١

أقوال يحيى الدمشقي المسيحي في بعض عقائدها[1] ولو نظرنا إلى أبعد من ذلك نرى أن علم الكلام ترك في العصور التالية أثراً كبيراً في علم اللاهوت المسيحي[2] فالعلاقة بين المعتزلة والمسيحية كانت علاقة تأثير وتأثر، فقد كان للبطريرك يوحنا الأول[3] أثر كبير في تطور قضية خلق القرآن في علم الكلام في ما بعد، خصوصاً بواسطة تلميذه ثيودور أبو قرة[4].

وكان النظام صورة رائعة للتفوق العقلي الذي وصل إليه المعتزلة، كما ويعد صورة رائعة لخصوبة اللقاح الثقافي الذي تم بين الفكر العربي والفكر اليوناني، وكان من أكبر رجال المعتزلة الذين توثقت صلتهم بالثقافة العقلية[5]، وناظر النظام الثنوية[6] في زعمهم القائل "بالاثنينية[7] وناظر كثيرا من الزنادقة والمجوسية والدهرية[8] وكذلك له مناظراته مع أصحابه من المعتزلة والقدرية والذين اختلف معهم على أثرها، وأنشأ فرقه خاصة سميت بـ (النظامية)[9] وللمعتزلة مناظرات مختلفة وردت في كتبهم وكتب الأدب عامة[10].

د ـ المعتزلة والسلطة السياسية

علم المعتزلة أن ليس لهم بقاء ما لم يجدوا قوة كبيرة تسندهم وتشد أزرهم، لذلك رأوا أن يستعينوا بالسلطة الحاكمة ويستميلوها إلى جانبهم، فبذلك فقط يمكن أن يعيشوا آمنين

---

(١) جاد الله: المعتزلة ، ص٢٣

(٢) عطية: الجدل الدين المسيحي ، ص٤٢٦

(٣) كان بين البطريرك يوحنا الأول وعمرو بن العاص مناقشات ومناظرات بينيه. عطية، الجدل الدين ص٤٢٢

(٤) عطية: الجدل الدين المسيحي، ص ٤٢٢ وهناك مناظرة بين أبي قرة والعتابي إمام المأمون في المسيح عليه السلام، انظر المقري: نفح الطيب ١٥٣/٣.

(٥) بلبع: أدب المعتزلة ، ص ٢١٢، وعن تفوق النظام العقلي انظر : فضل الاعتزال ص٢٦٤.

(٦) الخياط: الانتصار ، ص٣٠-٣١

(٧) الثنوية: فرقة تزعم أن النور والظلمة أزليان قديمان، والنور فاعل الخيرات والمنافع والظلام فاعل الشرور والمضار (الفرق بين الفرق ص٩٦).

(٨) انظر: العمرجي: المعتزلة في بغداد ، ص١٣٥

(٩) البغدادي: الفرق بين الفرق ، ص ١٤٨،٩٣ ، المسعودي: المروج ١٠٣/٤.

(١٠) انظر: المناظرات في كتاب "فضل الاعتزال" ، وأبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ١٣٨-١٤٨

ويظهروا آراءهم بلا خوف ولا وجل، وراح المعتزلة يلقون على الخلفاء شباكهم(1) وأول خليفة التفّوا حوله هو اليزيد بن الوليد بن عبد الملك (ت١٢٨ هـ) فقد كان قدرياً(2)

كما التفوا حول مروان بن محمد (ت١٣٢ هـ)(3) ومع ذلك بقي المعتزلة قليلين. وفي العصر العباسي اشتدّ أمرهم وقوي، فقد كان عمرو بن عبيد صديقا وواعظا للمنصور(4).

كما جرت بين يدي الرشيد مناظرات في القدر بين النظام وضرار بن عمرو(5) حتى دقّت مناظرتهما(6).

وفي زمن المأمون بدأت المعتزلة تقوى، فقد كان المأمون متعطشاً للعلم والفلسفة شغوفاً بالأدب، محباً للمناقشة والجدل، وأدّى ذلك إلى تقريبه للمعتزلة، فهم أرباب النظر والجدل، وأدى به ذلك أيضاً إلى الإيمان بمبادئهم والدخول في مذهبهم(7)، وقد كان في تقرّب المعتزلة من المأمون قوة لهم ولأتباعهم(8).

وقد عقد المأمون المجالس في خلافته للمناظرة في الأديان والمقالات، وكان أستاذه فيها أبو الهذيل العلاف(9). وكان قد طلب من الكناني المتكلم (ت ٢٤٠هـ) وبشر المريسي أن يتكلموا في الكفر والإيمان(10)، وفي المناظرة صورة واضحة لمدى خدمة اللغة والشعر لتأويل

---

(١) جار الله: المعتزلة ، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٢٩٨/٧

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٢٩/٥ (تعلم مروان من الجعد بن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن)

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد -- طبقات المعتزلة، ص٢٤٩.

(٥) هو ضرار بن عمرو الغطفاني، (ت١٩٠هـ) قاض من كبار المعتزلة، طمع برياستهم في بلده فلم يدركها فخالفهم فكفروه فطردوه وصنف نحو ثلاثين كتابا وفيها مقالات حبشية(فضل الإعتزال، ص٣٩١).

(٦) الحموي: معجم الأدباء ١٧٤٨/٤-١٧٤٩.

(٧) شلبي: تاريخ التربية ، ص ٨٥-٨٦ – جار الله: المعتزلة ، ص١٦٢.

(٨) نعيم، مزيد " **البلاغة عند المعتزلة** " رسالة دكتوراه ١٩٩٣ ص٤٠.

(٩) الدينوري، احمد بن داوود أبو حنيفة (ت٢٨٢هـ). **الأخبار الطوال**، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط١ (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د ت)٤٠١

(١٠) ابن طيفور: تاريخ بغداد ، ص٤٧-٤٨

الآيات القرآنية وفق المنظور العقائدي الكلامي. وكان المأمون يناظر على طريقة المعتزلة، فقد ناظر المرتد الخرساني حتى رجع إلى الإسلام[١] وقد عرفت مجالس المأمون بحرية الجدل، " ويظهر أن المأمون أراد أن يجعل مجلسه مجمعاً علمياً، له النظر في مسائل الخلاف وله القول، وكأنّه أراد أن يكون مجلسه (محكمة) يتنازع فيها الخصوم وكل يدلي بحجته "[٢]، والمأمون أراد أن ينشر الفكر الاعتزالي بين الناس، وهذا دعاه إلى جمع أصحاب الملل المختلفة في مجلسه، ليتناظروا أمامه، ثم إسقاط الشرعية السياسية والدينية على المعتزلة، وفي قوله ليحيى بن أكثم[٣] حين قدومه بغداد وطلبه للجلساء: ".. وطائفة قد اتّخذ كل رجل منهم مجلساً اعتقد به رئاسة، لعله يدعو فئة إلى ضرب من البدعة، ثم لعل كل رجل منهم يعادي من خالفه في الأمر الذي قد عقد به رئاسة بدعة "[٤]. وكأنه استشرف حدوث الفتنة بين أصحاب الملل والعقائد المختلفة، فأراد أن يوحدها توحيداً فكرياً في مجالسه مع كبار أصحاب هذه الفرق. وكان لابن أبي دؤاد مستشار المأمون أكبر الأثر على المأمون والمعتصم، والواثق كانت له ندوات خاصة تحضرها فئات من كبار المترجمين والأطباء[٥].

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ٣/٣٧٥-٣٧٦

(٢) أمين، أحمد. **ضحى الإسلام**، ط١(القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤ م) ٢/٥٨.

(٣) يحيى بن أكثم (ت٢٤٢هـ) قاض رفيع القدر يتصل نسبه بأكثم بن صيفي حكيم العرب، اتصل بالمأمون وولاه قضاء البصرة ثم بغداد وكان وزراء الدولة يستشيرونه في كل شيء(وفيات الأعيان ٢/٢١٧).

(٤) ابن طيفور: تاريخ بغداد، ص٤٦

(٥) الجاحظ أبو عثمان بن عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) . **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون ط٣ (بيروت: المجمع العلمي العربي الإسلامي، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩)٤/١٢٣.

ثانياً : الفكر الشيعي(*) :

تقدم القول بأن الفرق الإسلامية هي مدارس فكرية لها آراء فكرية خاصة بها، وهي في الوقت نفسه أحزاب سياسية، ثم أصبحت هذه الأفكار والمبادئ ديناً يجب أن ينفذ[1] والشيعة كأي مدرسة فكرية أو حزب سياسي، وظّف الأدب لخدمة أغراضه المختلفة، والشعراء لم يكونوا بمنأى عن هذه الأحداث؛ بل كانوا ينتظمون في هذه الأحزاب والمدارس ويدافعون عنها.

أ ـ المجالس الأدبية والدعوة الشيعية

كانت المجالس الأدبية تعقد لغايات الدعوة الفكرية والعقائدية، وكانت بدايات الدعوة الشيعية، مجالس سرية يتباحث أصحابها فيها شؤن دعوتهم، فاستخدموا الشعر لنشر هذه الدعوة، وقام كل شاعر ينافح عن مبدئه ويدعو إليه، وكان كثيّر عزة من أتباع محمد بن الحنفية ويدعو إليه وكان يقول[2]:

هديت يا مهدينا ابن المهتدي   أنت الذي نرضى به ونرتجي

أنت ابن خير الناس من بعد النبي   أنت إمام الحق لسنا نمتري

وكانت بدايات ظهور هذه الفرقة عن طريق عقد مجالس سرية سياسية وأدبية، وكان الشعر وسيلة ناجحة لبث المعتقدات السياسية، ولا يمكن لدعوة ما أن تظهر وتنتشر بشكل

(*) إحدى الفرق الإسلامية التي قالت بوجوب إمامة علي بن أبي طالب وقد كانت فرقة الشيعة موجودة منذ عهد علي لكنها كانت غير محددة وساذجة، وتحددت معالمها بظهور الفرقة "الكيسانية" التي دعت إلى موالاة محمد بن الحنفية واعتباره وصي علي بن أبي طالب – وكانت فرقها أربعة: الكيسانية والأمامية والزيدية والإسماعيلية ثم تكونت فرق أخرى اختلفت فيما بينها (انظر البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢٦-٤٩ ومقدمة ابن خلدون: ١٩٤-١٩٩، أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ، ص٣٣-٥٩.

(١) الريس: النظريات السياسية ، ص٦٦-٦٧

(٢) ابن الأثير: الكامل ١٠٦/٤ ولكثير قصائد أخرى في تأييد الدعوة الكيسانية، انظر: البغدادي: الفرق ص ٢٨-٢٩.

مفاجئ، كما أن أية دعوة في أثناء إعدادها لا تتمكن من عرض أفكارها بصراحة تامة، ولذلك كانت تعقد المجالس الأدبية ليبث أصحاب الدعوة عقائدهم من خلال الشعر والأدب. وإذا كانت الفرقة الكيسانية أول فرقة شيعية ظهرت بشكل واضح على مسرح التاريخ، فإن مؤسسها "المختار الثقفي[١] (ت ٦٧ هـ) عند دخوله الكوفة عقد مجالس سرية أعلن من خلالها أنه وصي المهدي(محمد بن الحنفية)[٢] وكانت هذه المجالس السرية تعقد في بيوت أحد دعاة الشيعة من النساء والرجال[٣] وتنظم فيها القصائد التي تؤيّد الدعوة الشيعية والمطالبة بالثأر لدم الحسين، ومن هذه الأشعار في مجلس المختار الثقفي: [٤]

وفي ليلة المختار ما يذهل الفتى	ويلهيه عن رؤد الشباب شموع
دعاء يالثارات الحسين فاقبلت	كتائب من همدان بعد هزيع

كما مهّدت المجالس لظهور الدعوة الشيعية في المغرب العربي، فمثلاً لم تكن الدعوة العبيدية الفاطمية دعوة طارئة على افريقية، ولم يكن ظهورها على مسرح المغرب ظهوراً مفاجئا؛ بل كان التشيّع قد استطاع أن يحرز موطئ قدم هناك عن طريق الدعاة، الذين عقدوا المجالس التي كانت تروى فيها الأشعار والأخبار وكان الشيعة يروونها ويذكرونها[٥] وكانت القصائد السياسية التي تروى في هذه المجالس وثائق تاريخية مهمة في دخول الفاطميين إلى

(١) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي (ت ٦٧هـ) لما قتل الحسين دخل الكوفة ودعا إلى امامة محمد بن الحنفية، وقال: انه استخلفه فتبعه زهاء سبعة عشر ألف رجل سرا، فخرج بهم على والي الكوفة، فاستولى عليها وكانت مدة امارته ستة عشر شهرا وكان يقال له كيسان وله فرقة سميت الكيسانية (البغدادي: الفَرق بين الفِرَق، ص ٢٦)

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٥٥٢/٥، ٥٧٩.

(٣) نفسه ١٠٣/٦

(٤) نفسه ٣٥/٦

(٥) ابن حيون، القاضي نعمان بن محمد (ت ٣٦٣ هـ) **رسالة افتتاح الدعوة**، تحقيق : وداد القاضي، ط١(بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٠ م) ص٩١

المغرب[١].

وقد اهتم المختار الثقفي بالأدب وبالشعراء فقال لأصحابه: "واتّقوا لسان الشاعر"[٢] وقد نشط الشيعة منذ ذلك الوقت نشاطا عظيماً في وضع الشعر الذي يرفع من شأنهم، ويقوي من دعائم مذهبهم ويحط من شأن أعدائهم، وأجروا هذا الشعر على ألسنة أئمتهم وعلى ألسنة قوم آخرين[٣].

ونهض فريق من الشعراء المشهورين بنظم قصائد في حب آل البيت، كقصيدة الفرزدق في علي بن الحسين بن علي في مجلسه في الحج مع الخليفة عبد الملك بن مروان:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفه والحل والحرم

فعدّه عبد الملك رافضياً فرد عليه: ان كان حب آل البيت رفضاً فنعم[٤] وفي هذا المجلس يظهر الجانب السياسي الرافضي لحب آل البيت والمعادي له، إلا أن الفرزدق لم يكن يهب أحدا في إعلان مبادئه ونصرة مذهبه.

ولذلك طلب المختار الثقفي من أصحابه الاهتمام بالشعراء واتّقائهم.

والمجالس عبارة عن "خطاب مذهبي غايته تأثير المتكلم في السامع على نحو يضمن امتثاله له وانخراطه في منظومة الفكر" الشيعي[٥]

وقد وضع الشيعة كثيرا من القطع الأدبية والخطب والرسائل التي تؤيد مذهبهم، وتدعم

---

(١) ابن حيون: رسالة افتتاح الدعوة، انظر مثلا ص٨٤-٨٥ مجلس فيه قصيدة سياسية تبشر بدخول الفاطميين إلى افريقية .

(٢) نفسه ٣٧/٦

(٣) كيلاني: أثر التشيع في الأدب العربي، ص ٦٩ - انظر أمثلة على هذه الأشعار، البغدادي: الفرق ، ص ٣٤-٣٥.

(٤) البيهقي: المحاسن والمساوئ ٢٤٤-٢٤٥، المرتضى الأمالي ٦٥/١

(٥) عياد: مضارب التأويل ص ٢٠٣

رأيهم، أو التي ترفع من شأن علي وابنائه، وأجروها على ألسنة أشخاص مختلفين[١] فكان الأدب وسيلة من وسائل الشيعة لنشر مذاهبهم ومعتقداتهم، وعندما نظم الكميت قصيدته " طربت وما شوقا إلى البيض اطرب " عرضها على الفرزدق فقال له: اظهر وكد الأعداء والله أنت اشعر من مضى واشعر من بقي"[٢] وقصيدة الكميت كانت تعبيراً صارخاً عن المذهب الشيعي وحب آل البيت، واعتبر الفرزدق هذه القصيدة وسيلة لكيد الأعداء، وهنا تتحول القصيدة من وجهتها الأدبية إلى وجهة سياسية حزبية. وقد قال الجاحظ: ما فتح باب الاحتجاج بالشعر إلا الكميت.[٣]

كما اهتم الشيعة بالخطابة لتبيين وجهات نظرهم، وعبّرت خطبهم عن مواقفهم السياسية، وعن حبهم وولائهم لآل البيت[٤].

ب ــ التلاقح الفكري بين المعتزلة والشيعة

إنّ فكرة وجود تلاقح أو تزاوج فكري بين المعتزلة والشيعة، حرية بنا أن نعد الشيعة من أحد جوانبها المختلفة، مدرسة فكرية، وتؤكد لنا الشواهد الأدبية هذه الفكرة "فكثير من الشيعة كانوا من المتكلمين"[٥] وديوان الكميت يصور المعتزلة والشيعة في آن واحد، ويكشف عن مدى ما أصاب العقل والتفكير الغني من تطور، فقد تحوّل الأدب إلى جدال وطرق

---

(١) كيلاني، محمد سيد. **أثر التشيّع في الأدب العربي**، ط٢ (القاهرة : دار العرب ١٩٩٦م) ص٤٥.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ٢٤٢/٣-٢٤٣

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين ٣٩/١

(٤) اقتبس الشيعة هديهم في الخطابة من خطب الامام علي رضي الله عنه، واعتبروها نهجاً ينتهجونه في مواقفهم وحياتهم، للمزيد انظر:ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد هبة الله(ت٦٥٦هـ). **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم(بيروت: دار احياء الكتب العربية،١٩٦٢م) ٤٠/٩ــ٤١، كما كانت خطب الحسين بن علي أساساً من الأسس التي تدور عليها خطب الشيعة فيما بعد،انظر: الصفار: آفاق الأدب الأموي، ص٢٦٧، وفي خطب الحسين انظر:الأصفهاني، أبو الفرج. **مقاتل الطالبيين**، شرح: أحمد صقر، ص٨١

(٥) الريس: النظريات السياسية في الإسلام ص٧٧-٧٨- وكان الفرزدق شيعيا متكلما (المرتضى: الامالي ٦٢/١)

استدلال، وأصبح الشاعر يعتنق نظرية سياسية خاصة يؤمن بها ويجعلها محور شعره، والكميت كان شيعياً على مذهب زيد بن علي بن الحسين، وكان في الوقت نفسه تلميذا لواصل ابن عطاء مؤسس الاعتزال ومنشئه(١)، ويعد الشريف المرتضى نموذجا آخر لهذا التلاقح، فهو شيعي (نقيب الطالبيين) في عصره ومع ذلك كان متكلماً. وجاء كتابه "الدُرر" في أصول المعتزلة والتفسير لآي القرآن الكريم في ضوء أصول المعتزلة وعقائدها، فهو يثبت هذا التلاقح في كتابه " الدرر" بقوله: "أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب – رضي الله عنه – وخطبه وجميع ما أسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه؛ إنما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الأصول(٢) ولعل المأمون صورة واضحة على مدى التلاقح الفكري بين هاتين المدرستين، ويتضح ذلك في جلسائه وخاصته، فقد قرّب أحمد بن أبي دؤاد أحد رؤس المعتزلة، وقرّب الرضى الشيعي، حتى عهد له بالخلافة من بعده، وتؤثر ندوات علمية جمعت بين كبار المعتزلة والشيعة، في مناقشة قضايا فكرية، كاجتماعه مع الرضى (٣) (ت ٢٠٣ هـ) والفضل بن سهل(٤) (ت ٢٠٢هـ) في مناقشة قضية " أيهما خلق قبل: الليل أم النهار" فأجاب الرضى إجابة فكرية على رأي المعتزلة(٥) .

---

(١) ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص٨٠

(٢) ١٤٨/١.

(٣) الرضى، علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق (ت ٢٠٣ هـ) ثامن الأئمة الأثني عشر ومن أجلاء أهل البيت وفضلائهم، أحبه المأمون فعهد له بالخلافة من بعده، وزوّجه ابنته، مات في خلافة المأمون(الطبري: تاريخ ٢٥١/١٠ ، البداية والنهاية ٢٠١/٧)

(٤) الفضل بن سهيل(ت٢٠٢هـ) وزير المأمون، أسلم على يدي المأمون سنة ١٩٢هـ ، قتله المماليك (البداية والنهاية ٢٠١/٧ـ٢٥١)

(٥) التوحيدي: البصائر والذخائر ٨٩/٢.

ج ـ التأويل

طوّع أصحاب المدارس الفكرية والفرق الدينية والأحزاب السياسية اللغة لخدمة مصالحهم، وقد هيّأ قيام هذه الفرق لخلق بيئة أدبية تقوم على الجدل والمناظرة، وكان التأويل من الوسائل القوية التي استخدموها .

والتأويل عند الفرق الشيعية المختلفة، تأويل باطني ركيزته الأولى التلقي عن الإمام وكبار دعاته أصحاب مجالس الحكمة التأويلية[١] وهذا لا يعني بعدهم عن التأويل العقلي باستخدام اللغة، ولكن المرتكز الأساسي هو "علم الباطن" ففي أحد مجالس القاضي النعمان[٢] (ت ٣٦٣ هـ) للمعز الفاطمي[٣] (ت ٣٦٥ هـ) جرى الحديث بقول الناس: القمران الشمس والقمر وانهما نسبوهما إلى الأشهر منها وهو القمر وقالوا لأنه يرى ليلا ونهارا ولان الإبصار أكثر وقوعا عليه من الشمس ... وقال الفرزدق:

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمران والنجوم الطوالع

وذهب بعض الرواة بتأويله نحو الباطن والقمران إبراهيم ومحمد[٤] ويستمر المجلس على التأويل الباطني لخدمة المذهب الشيعي .

وشمل التأويل الباطني عندهم العقيدة والتفسير والحديث، إضافة إلى الأدب والشعر،

---

(١) العشيري: التصور اللغوي عند الإسماعيلية ص١٤٥.

(٢) هو القاضي النعمان بن محمد بن حيّون (ت ٣٦٣هـ) من أركان الدعوة للفاطميين ومذهبهم في مصر، كان واسع العلم بالفقه والقرآن والأدب والتاريخ، من أهل القيروان، وصفه الذهبي بالعلامة المارق ، عاصر المهدي والقائم والمنصور والمعز وخدمهم، (وفيات الأعيان ١٦٦/٢) .

(٣) المعز الفاطمي، معد بن إسماعيل بن القائم بن المهدي، أبو تميم (ت ٣٦٥هـ)، صاحب مصر وإفريقية وأحد الخلفاء في هذه الدولة، كان عاقلاً حازماً شجاعاً أديباً. (ابن كثير: البداية والنهاية ٣٦/٨).

(٤) ابن حيّون، القاضي النعمان بن محمد (ت ٣٣هـ)، **المجالس والمسايرات**، تحقيق: الحبيب الفقي وآخرون، ط ٢ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م)، ص ٨٩-٧٠.

وقد أخذت شكل المناظرة والمحاورة والجدل في كثير من الأحيان. وفي مجالس الطبري[١] (ت ٣٤٠ هـ) ورد عدد من المناظرات والمجالس المفيدة التي تجري مجرى الحوار والمناظرة، وفيها ناظر الشيخ جماعة من علماء عصره من أصحاب الطوائف المختلفة، وهذه المجالس محور الحديث فيها عن العقيدة، مثل: مجلس في معنى الهدى والضلال والجبر والاختيار والموحد والملحد... [٢]

وأجرى القمي[٣] (ت ٣٨١هـ) مجالسه على هذه الطريقة إلا أنه اهتم برواية الأشعار وسرد روايات أئمة الشيعة[٤].

وسار الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) على هذا الهدي في التأويل الشيعي، الذي يخدم القضايا العقائدية لديهم، كتأويله لكلام علي بن أبي طالب: "من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلبابا أو تجفافاً[٥].

أما الشيخ الطوسي[٦] (ت ٤٦٠ هـ) في مجالسه فهو يورد الأحاديث النبوية وروايات أئمة الشيعة، لتأكيد ولاية علي بن أبي طالب والحسين، ويحشد الأشعار التي قيلت على لسان الأئمة في ذلك[٧].

---

(١) هو أحمد بن موسى الطبري، المكنّى بأبي الحسين (ت ٣٤٠هـ) من أعيان الشيعة(انظر مقدمة كتاب المجالس).

(٢) الطبري، أحمد بن موسى (ت ٣٤٠هـ). **مجالس الطبري**، تحقيق عبد الله بن حمود العربي، ط١، (عمّان – الأردن: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

(٣) هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) ويعرف بالشيخ الصدوق، محدث إمامي كبير، لم يعرف بالقميين مثله، له نحو ثلاثمائة مصنف(الأعلام ٦/٢٧٤)

(٤) القمي، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١ هـ). **أمالي الصدوق**، تقديم: محمد مهدي حسن الموسوي(النجف: المطبعة الحيدرية، ١٩٧٠م)

(٥) المرتضى: الأمالي ١/١٧-٢١ (والتجفافا هو الجفاء).

(٦) الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ) من أعيان الشيعة. مفسر، فقيه الشيعة ومفسرهم، أُحرقت كتب عدة مرات بمحضر من الناس(ابن كثير: البداية والنهاية ٨/٢٢٦).

(٧) الطوسي: الأمالي ، انظر مثلا ١/٣١٣، ٣٢١، ٣٤٠.

وأكثر المجالس التي تصور التأويل الباطني عند الشيعة الإسماعيلية[١] "المجالس المؤيدية" للمؤيد في الدين[٢] (ت ٤٧٠ هـ) ومجالسه هذه في الحكمة التأويلية، إذ أوّل بعض الآيات القرآنية على طريقة الاسماعلية العرفانية. والتأويل الباطني عند الإسماعيلية يقوم على أساس نظرية المثل والممثول، فالظاهر هو المثل، والباطن هو الممثول، ولكل مثل ممثول لا يعرفه إلا الراسخون في العلم[٣] وفي تفسير المؤيد في الدين لسورة القدر في أحد مجالسه يقول :" ليلة القدر خير من ألف شهر" اشارة إلى أن باب القائم عليه السلام خير من كل من قام بإظهار مراتب العقول من أوصياء وأصحاب الشرائع وأسناهم درجة " تنزل الملائكة " الإنسان بهيمة بالعقل من حيث العكوف على الملاذ والمطاعم والمشارب، ملك بالقوة إذ كان فيه من جوهر الملكوت في إدراك معارف الدين والعزوف عن الدنيا ما يفضي به أن وفق واجتهد إلى درجة الملائكة[٤]. وينهج في تأويله الباطني منهج التأويل العددي[٥] وهو ضرب من المنهج الاشاري[٦] الذي يستحيل معرفته عن طريق اللغة أو المعاني الظاهرة للألفاظ بل لا يتم معرفته الا بتلقي العلوم عن الأئمة والحجج في مجالس الحكمة التأويلية[٧].

---

(١) الإسماعيلية هي إحدى الفرق الشيعية الذين ساقوا الإمامة إلى جعفر وزعموا أن الإمام بعده ابنه إسماعيل وافترقوا فرقتين فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر وفرقة تقول بالإمامة لسبطه محمد (البغدادي ، الفرق بين الفرق ٤٢).

(٢) هو هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي(ت ٤٧٠ هـ) داعي الدعاة من زعماء الإسماعيلية وكتابها وخدم المستنصر الفاطمي في ديوان الإنشاء، لقب بداعي الدعاة وباب الأبواب .

(٣) العشيري: التصور اللغوي عند الإسماعيلية ، ص١٤٦-١٤٧ (وهذه النظرية في المثل والممثول مستقاة من نظرية أفلاطون عن عالم المثل وهذا دليل على مدى تأثر هذه الفرقة بالثقافات الأخرى)

(٤) المؤيد في الدين، هبة الله الشيرازي (ت ٤٧٠ هـ) **المجالس المؤيدية**، تحقيق: مصطفى غالب، ط١ (بيروت: دار الأندلس ، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م) ص٧.

(٥) انظر مثلا تقسيمه الحساب إلى أربعة أقسام: آحاد عشرات مئين ألوف فالواحد علة الحساب والألف معلولة والواحد له الاولوية ... وهكذا حتى يفسر سورة القدر ص ٧ وانظر ص ١٦٩ في تفسيره لآية "ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه "

(٦) العشيري: التصور اللغوي عند الإسماعيلية ، ص١٥٢

(٧) نفسه ص١٥١

وقد تمثل هذا التأويل الباطني (الاشاري) إخوان الصفا [1] في رسائلهم فقد كان أصحاب هذه الجماعة يجتمعون سراً فيتذاكرون بالعلوم، ويتحاورون فيما يجب عليهم عمله لتعميم دعوتهم، وكانوا يدرسون المستجيبين ويعلمونهم مبادئ علم النفس والحس والمحسوس[2] وقد كان ظهور هذه الرسائل عاملاً رئيسياً في تطور المناظرة، فقد طرحوا موضوعات جديدة ترد على احتياجات الأدباء في ذلك العصر مما جعلهم يحتلون مركز الصدارة في اهتمامات العصر الفكرية[3] فقد ظن هؤلاء أنهم يمكنهم أن يدسّوا الفلسفة- التي هي علم النجوم والأفلاك والمقادير وآثار الطبيعة والموسيقى التي هي معرفة النغم والإيقاعات والمنطق الذي هو الأقوال بالإضافات والكميات والكيفيات – بالشريعة وان يضموا الشريعة للفلسفة[4].

(١) هم جماعة سرية ألفت مجموعة من الرسائل التي اشتملت على علم غزير ومعرفة عميقة وهم أئمة الإسماعيلية.

(٢) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا – إعداد وتحقيق عارف تامر ط١ (بيروت – باريس: منشورات عويدات، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) المقدمة ص٣١

(٣) الصديق: المناظرة في الأدب الإسلامي ، ص١٢٩-٣٠

(٤) التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ، ص٢٠٢

الفصل الثالث

تأويل الأبعاد التّاريخيّة

"بين النّص الأدبي والنّص التّاريخي" :-

«لا ينطوي التأويل على النصوص الغامضة، فحتّى الكتابة التاريخية مرشّحة للتأويل ، فقولنا بالتجرّد التاريخي وموضوعية الكتابة التاريخية هو نفسه مشكوك فيه أصلاً»[1] ولا نستطيع فصل النّص الأدبي عن النّص التاريخي، إذا علمنا أنّ رصيد النّص الأدبي يتكون من معايير اجتماعية و ثقافية إلى جانب عناصر أدب الماضي ممتزجاً بتلك المعايير . وهذه العناصر مستمدة من أنساق الفكر التاريخية ، والآخر ردود الأفعال الأدبية القديمة تجاه المشكلات التاريخية[2]. فالنص الأدبي جزء من سياق تاريخي يتفاعل مع مكونات الثقافة الأخرى[3]، وإذا كان <u>النص التاريخي</u>: جهازاً إعلامياً قوامه سرد محصّلة من الوقائع التاريخية في حقبة ما، وهو نشاط معرفي تُسرد وفقه الوقائع سرداً يُراعي صدق الأحداث أو كذبها[4] فإنّه بهذا لا ينفصل عن بنية النص الأدبي . كما أن النص التاريخي نص معرفي لا يخلو من مسحة أدبية يطوّعها المؤرخ لغاية التخفيف من وطأة التاريخ العلمي الجاف، أو لاستعمالها مطية مجازية تسخّر لابلاغ الاتجاه الفكري بطريقة هادئة لا تجلب سخط الأطراف السياسية[5].

---

(١) عيّاد : مضارب التأويل ، ص٦٦

(٢) الكعبي: السّرد العربي القديم ، ص٢٤٤

(٣) البازغي: دليل النّاقد الأدبي ، ص٤٦

(٤) عيّاد : مضارب التأويل ، ص٤٥، والنص التاريخي ينقسم قسمين : نص تاريخي ماثل ، ونص تاريخي نشوئي ، الأول تشخيص بالقول لفعل التاريخ ، دون دراسة للعلامة التاريخية ، والثاني يطرح قضية العناصر المنطقية المؤسسة لعملية التلفّظ بذاتها [النص النشوئي أنباء ، والماثل بنية] نفسه.

(٥) نفسه، ص ٣٨ ودوّنت كتب التاريخ وفق الرؤية السياسية ــ كما سيأتي لاحقاً ــ

تاريخية الكلام : المقصود بتاريخية الكلام انغراس الأدب في صميم تربة الواقع والتاريخ وقدرته على التَّغيير في اتجاه البناء؛ فالتاريخيَّة فعل مولِّد[1].

أولاً :التدوين بين المرحلة الشفاهية والمرحلة الكتابية :

كانت المجالس الأدبية مرحلة مهمَّة من مراحل التدوين؛ فهي نقطة فاصلة في انتقال المادة الشفاهية إلى الكتابية. فقد اهتم الرّواة واللغويون والأدباء والمؤرخون من المشتغلين بالكتابة والتقييد ، في عصر التدوين بتسجيل كل ما هو شفوي من الوقائع والأحداث وما من شأنه أن يشكل ثقافةً ومرجعاً وأداة ضبط ومعيار[2]. فقد بدأت الدراسات التاريخية وغيرها بجهود مشتركة تتمثل في حلقات للدراسة ، تحاط كل حلقة باستاذ[3]. وقد تميَّزت الثقافة العربية قبل تدوينها رسمياً بأنَّها ثقافات تنتمي إلى انتسابات فضائها بالقول والفعل. وهي العدوى التي ستنتقل إلى المكتوب ، بحيث أصبح النص نسيجاً من الحكايات والتواريخ ، يضيئان البنية الثقافية ويحفّزانها ، فاعتبر كل ما هو شفوي قبل التدوين تدويناً لوجود الرواة والذاكرة ، لأنّها وثائق محفوظة ومتواترة في النقل الشفوي[4] ، ولهذا الأمر أهميته البالغة في الرد على كل من ينكر التراث القديم، فللرواة دور خطير في التدوين التراثي بأكمله – وهذا ما تشمله الدراسة في جانب كبير منها– ذلك أن الثقافة العربية شفوية في أساسها وتعتمد الشعر لوثائقها ، وتجد فيه خير وسيلة لحفظ التراث ، مما يؤكِّد دور المجالس الفاعل في التدوين التاريخي ، ودور الرواة فيها[5] .

---

(١) عياد: مضارب التأويل ص٢١٥

(٢) الدوري، عبد العزيز. **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب** (بيروت : دار المشرق ، ١٩٨٣م) ص ١٨٨

(٣) نفسه، ص١١٩

(٤) حليفي، شعيب «**تحويل المتعة من البناء الشفوي إلى النَّسق المكتوب**» (مجلة فصول ، مج١٤، ع٤ ، ١٩٩٦م) ص١٨٨

(٥) عيّاد : مضارب التأويل، ص ٢١٥

فالمجالس في واقع الأمر هي الفضاء الواسع لهذه الروايات والأخبار التي شكَّلت التاريخ فيما بعد ، وهؤلاء الرواة الذين كانوا يجلسون، ويتحلق الناس حولهم كانوا يضيئون مجالسهم بالأشعار والأخبار التي صارت فيما بعد المادة الأساسية للأدب والتاريخ والجغرافية حتى وُجِدَ ما يُعرف بـ «الأدب التاريخي الجغرافي»[١]. الذي ينظر إليه بأنّه أقوى الأدلة على التلاقح الفكري بين العلوم كافة من جهة وعلى اعتبار الأدب جزءاً لا يتجزأ من التاريخ والجغرافيا.

أ ـ الـرُّواة ـ

كان للرُّواة دورٌ مهم في التدوين التاريخي، لما لهم من اهتمامات خاصّة بالنسب، والأخبار المختلفة[٢]، فكانوا يجمعون مادّتهم العلمية عن طريق مجالستهم للأعراب، ثـمّ ينشرونها بين العامة والعلماء في مجالس الخلفاء ، ومن هؤلاء الرُّواة الذين دخلت رواياتهم صُلب التاريخ، عُبيد بن شريّة الجرهمي، ودَغفل بن حنظلة السَّدوسي ، والسّائب بن بشر الكلبي (ت ٧٢هـ) وله مع معاوية بن أبي سفيان مجالس في أخبار العرب[٣]، والقُلاخُ العنبريُّ البصريُّ وله خبر يذكر فيه أنّه ولد قبل مولد الرسول – عليه السّلام– وأنّه رأى أمية بن عبد شمس بعدما ذهب بَصَره ، يَقودُهُ عَبْدٌ أُفَيْحِج من أهل صفورية يُقال له ذكوان ، فقال له معاوية : مَهْ! ذلك ابنه أبو مُعيط ، فتراجعا في ذلك ، فقال القُلاخ:

يُسائِلِني معاوية بن هند   لَقيتَ أبا سُلالة عَبْدِ شَمْسِ

---

(١) كراتشكوفسكي، اغناطيوس. تاريخ الأدب الجغرافي – ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم. الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،١٩٦٣ م) ص١٢٦

(٢) مصطفى، شاكر. التاريخ العربي والمؤرخون، ط ٢ (بيروت:دار للملايين ، ١٩٧٩م) ص ١٣ (عند تتبعنا لتراجم كثير من الرّواة ، وجدنا أنّ أكثرهم يملكون معرفة موسوعية ، واللغويون حينما خرجوا إلى البادية لجمع اللغة، جمعوا الأخبار والأشعار واهتموا بالأنساب ، فكانوا مصدراً لا غنى عنه للعلماء من جميع التخصصات) .

(٣) ابن عبد ربّه: العقد ٣٣٢/٣

فقلتُ له : رأيت أبـــاكَ شـــيخاً   كبير السِّنّ مـــضروباً بِطَفْـــسِ

يَقودُ به أُفَـــيْحِج عَبْـــدُ ســـوءٍ   فقال : بل ابْنَةُ لِيزيلَ تُنْسِي[1]

وهذا المجلس له أبعاد مختلفة ، ففيه دلالة أن الخليفة عارف بالأنساب وتحقيـــق كـــلام الرُّواة؛ فضلاً عن استقدام الرُّواة ومجالستهم؛ ممّا يؤكد الدور المهم للشعر في نقـــل الرّوايـــة والاستشهاد به إلى جانب النصّ الأصلي للمجلس.

ومن الرّواة النَّخَّارُ بن أوس العذريُّ (ت ٦٠هـ)[2]، و صعصعة بن صوحان العبـــدي الكوفي، فقد دخل على معاوية فقال له: يا ابن صوحان أنت ذو معرفـــة بـــالعرب وبحالهـــا، فأخبرني عن أهل البصرة، وإيّاك والحمل على قوم لقوم، فقال : البصرة واســـطة العـــرب، ومنتهى الشرف والسؤدد، وهم أهل الخطط في أول الدهر وآخره...، قال: فأخبرني عن أهل الكوفة، قال: قبة السلام، وذروة الكلام...[3]، ويسأله عن أهل الحجاز، وأهل الشام. وقد أدرك معاوية مدى المعرفة الموسوعية لصعصعة، فساءله لغايات سياسية، وأخرى معرفية. وعلاقة الكلابي العذري[4]، والشَّرقي القطاميّ (نحو ١٥٥هـ). وقد استعان الخلفاء بالرّواة ، فلا يكاد الخليفة يَسمع براوٍ إلا ويقرّبه ويصبح من جلسائه[5]، وقد استعان عمر بن عبد العزيز ببعض

---

(١) المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران(ت٣٨٤هـ). معجم الشعراء ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج(القـــاهرة: دار احياء الكتب العربية،١٩٦٠م). ص ٢٢٦

(٢) النُّخار بن أوس (نحو ٦٠هـ) خطيب، عالم بالأنساب. دخل على معاوية وهو ملتفٌ بعباءة فازدراه معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين إنّ العباءة لا تكلّمك، وإنمّا يكلّمك من فيها! ثمّ كان من ندمائه(ابن النديم: الفهرست، ص١٤٠).

(٣) المسعودي: المروج ، ٣/٥١ـ٥٢

(٤) علاقة الكلابي: كان مشهوراً في زمانه، عارفاً بأيام العرب وأحاديثها، أخذت عنه الأخبار والمآثر وأحاديث العرب، أدخله يزيد بن معاوية في سماره(ابن النديم: الفهرست ١٣٢)

(٥) يتصل اهتمام الخلفاء بالرواة ومجالستهم ، باهتمامهم بالشعراء والنسابين لغايات سياسية ذكرناها سابقاً، ومن جهة أخرى يبيّن مدى اتساع المعرفة عند هؤلاء الرواة.

العلماء الرّاوة لنشر الوعي التاريخي، فقد وفد عاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠ هـ) عليه، فأمره أن يجلس في مسجد دمشق ليحدّث النّاس بالمغازي ومناقب الصَحابة[١].

ب ـ المجالس الأدبية ودورها في حركة التدوين والنشاط التّأليفي

لا يُمكن إغفال دور المجالس الأدبية في مراحل التدوين الأولى ، فالشعر والقصص والأخبار هي المادة الأساسية التي تكوّن منها التراث العربي في بدايات تدوينه – إذا أقصينا الدراسات الدّينية– لذلك نجد العديد من المصنّفات لا تخرج عن كونها تخزيناً للنصوص، وتنظيماً لها بطريقة تمكّن المتلقي من التعامل معها بقصد استحضارها والمحاضرة بها[٢]. كما أن أعمال القرن الثالث الهجري ــ تقريباًــ هي نتاج أدب المجالس، أي مجالس الخلفاء والأمراء ومن في دائرتهم، إذ هي مدوّنات لما كان يدور في تلك المجالس من نقاشات أدبية ومحاورات كلامية ونوادر، مما يعكس طرائق تفكيرهم، لذلك؛ فإن هذه المؤلفات مرآة تعكس بصدق هذه المجالس[٣]. وقد أفرز أدب المجالس مجموعة من الكتابات، منها: "الأدب التوجيهي"[٤]، وهو الأدب الخاص بتوجيه من كان يدور في فلك الخلفاء والأمراء من كتّاب وقضاة وندماء؛ لتزويدهم بإرشادات في مجالسة الخلفاء، ومن هذه المؤلفات: "أدب الكاتب" لابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، و"أدب الكاتب" للصولي، و"أدب القاضي" لأبي حزم بن عبد العزيز الحنفي(ت٢٩٢هـ)، و"أدب القاضي" لأبي جعفر أحمد بن اسحاق الأنباري(ت٣١٧هـ)، و"أدب النديم" لكشاجم(ت٣٥٠هـ). والنوع الثاني من الكتابات: فهو "الأدب الموسوعي" والذي يُعدّ دائرة معارف، والذي كان تدويناً لما يدور في مجالس الخلفاء، ومجالس العلماء،

---

(١) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ).**المعارف** ، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢(القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م) ص٤٦٦

(٢) يقطين: المجلس، ص٢٠٧

(٣) ابن أبي عون: الأجوبة المسكتة، مقدمة المحققة ص ٤١

(٤) نفسه.

ومنها: كتاب عبيد ابن شرية الذي كان تدويناً لمجالسه مع معاوية[1]، ويُعد كتاب سيبويه الكتاب الأول في النحو، وهو في الحقيقة تدوين لمجالس الخليل بن أحمد [2]. ويُصرِّح ابن قتيبة بأنّ مادة كتابه "عيون الأخبار" مستقاة من مجالس العلم، فيقول «واعلم أنّا لم نزل نتلقّط هذه الأحاديث في الحداثة والاكتهال عمّن هو فوقنا في السن والمعرفة، وعن جلسائنا وإخواننا ...»[3]، وقد صرّح بذلك التنوخي (ت ٣٨٤هـ) أيضاً، فيقول في سبب تأليفه للنشوار « وهو أني اجتمعت قديماً مع مشايخ فضلاء، علماء أدباء، قد عرفوا المِلل وأخبار الممالك والدول ... وأخذت ذلك عنهم المكونة في أثناء مذاكراتهم، وفي عرض مجاراتهم ... فلمّا تطاولت السنون ومات أكثر أولئك المشيخة الذين كانوا مادة هذا الفن، مات بموته ما يرويه..»[4] فالتنوخي يعدّ المجالسة فناً قائماً بذاته ويُسميه «المثافنة»[5] قد جعلها مادة كتابة، التي على أساس الاستطراد والتذكر بالمناسبة، وبهذا يتحقق هدف الكتاب وهو المسامرة. [6]

والتوحيدي سجّل كتابه «الإمتاع والمؤانسة» فيما دار في مجالسه مع الوزير ابن سعدان[7]. وابن ظافر الأزدي (ت ٦١٣ هـ) دوّن ما وقع في مجالس من مطارحات ومساجلات وحكايات وما دار بينه وبين شعراء عصره في كتابه «بدائع البداهة»[8].

وكانت رسالة الحاتمي «الموضِحَة» تدويناً لمجالسه مع المتنبي بحضرة الوزير

---

(١) عبيد بن شرية: أخبار عبيد ، ص ٣٢٦

(٢) ضيف : العصر الجاهلي ، ص١٦٠

(٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار ، المقدمة

(٤) التنوخي: نشوار المحاضرة – المقدمة

(٥) المثافنة : هي المحاورة والملازمة والمجالسة (الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ١٠٦٧)

(٦) يوسف، مي "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي(ت٣٨٤هـ)" (مجلة أبحاث اليرموك،مج١٧، ع٢، ١٩٩٩م) ص١٢

(٧) التوحيدي : الإمتاع، انظر مقدمة المؤلف

(٨) ابن ظافر : البدائع ، المقدمة ص٤

المهلبي[1] كما كان التيفاشي (ت ٦٥١ هـ) يُدوّن ما يدور في مجالس المنصور من حوارات علمية مختلفة في كتابه «سرور النَّفس بمدارك الحواس الخمس»[2]. ونرى أن معظم المؤلفين الذين لمعت أسماؤهم، كانوا إما ندماء للخلفاء ومن لفَّ لفّهم من الطبقة الأرستقراطية، أو مؤدبين لأبنائهم، أو أنّهم كانوا في خدمة هذه الطبق ككتّاب الدولة[3]. فالزبير بن بكّار(ت٢٥٦هـ) استقدمه المتوكل لتأديب ابنه الموفق، فألّف للموفق كتاب" الأخبار الموفقيات"[4]، وابن أبي الدنيا(ت٢٨١هـ) الذي أدّب المعتضد وابنه المكتفي، وألّف خلال ذلك كتابيه: "مكارم الأخلاق" و"ذم الدنيا"، ومن هؤلاء الطبقة: الصولي(ت٣٣٥هـ) الذي عمل نديماً لعدد من الخلفاء ومؤدباً لأبناء بعضهم.

والشعراء كانوا يحثّون على تدوين ما يصدر عنهم من شعر، وكان جرير يقول لسامعيه بالمِربد قيّدوا قيّدوا أي اكتبوا[5] .

وكان ذو الرمة يقول لعيسى بن عمر: «اكتب شعري فالكتاب أحبّ إليّ من الحفظ لأن الأعرابي ينسى الكلمة وقد سهر في طلبها ليلته ، فيضع في موضعها كلمة في وزنها، ثمّ يُنشدها الناس، والكتاب لا ينسى ولا يبدّل كلاماً بكلام»[6]

ولكن الحقيقة التي يجب إظهارها أنّ هذه الروايات الشفهية وما كان من أخبار وأحاديث شفهية في المجالس، كان مدوناً ومكتوباً، ويرى د. شاكر مصطفى أن عملية حفظ المعلومات لم تكن تتم عن طريق الذاكرة وحدها ولكن تتم في الكثرة السَّاحقة من الأحوال بالتسجيل

---

(١) الحاتمي : الرسالة الموضّحة ص٧

(٢) التيفاشي: سرور النفس، ص٨ المقدمة – وانظر أيضاً ، ابن حيون: المجالس والمسايرات

(٣) ابن أبي عون: الأجوبة المسكتة، مقدمة المحققة ص ٤١

(٤) ابن بكّار: الأخبار الموفقيات، المقدمة.

(٥) ابن سلام : الطبقات ، ص٣٧٤

(٦) الجاحظ: الحيوان ٤١/١

والتدوين الكتابي الشخصي وكانت عملية نقل المعلومات والإملاء تتم عن طريــق اســتذكار المعلومات والرجوع إلى الصُّحف المحفوظة[1]

أمّا الكتب الأدبية الموسوعية كالأغاني والعقد ، فلا نستبعد أن تكون تدويناً لمــا كــان يجري في المجالس الأدبية، لسببين: الأول أنّ مؤلفيها كانوا ندماء لبعض الخلفاء ، وكان يَهُــم النّديم أن يُسجّل ما يدور في مجالس الخلفاء خاصة في القرن الرابع ، والسـبب الثــاني ، أنّ جميع الأخبار في هاتين الموسوعتين تبدأ بــصيغة «حــدّثنا» و «أخبرنـــا» و «حــدّثني» و «أخبرني» وهذه صيغ من صيغ الاجتماع وبالتالي المجالس .

وإذا كانت بدايات التدوين اللغوي ، تتم عن طريق جمع المادة من أفواه العرب الأقحاح في البادية، فإنّ هذا دليل على أنّ المجالس كانت مصدراً أولياً من مصادر التــدوين اللغــوي والأدبي عامّة[2] .

وعلى ذلك فالمجلس له خصوصية انتاج الكلام، فما يتحقق فيه من أفعال وأقوال يتحوّل إلى كتابة، كما أنّ الإنتاج المجلسي نفسه يتحول بواسطة الذاكرة، ويصبح قابلاً للتناقل والتداول الشفاهي ويغدو بذلك موضوعاً للذاكرة الجماعية حتى يحين تحويله إلى كتابة[3]، وبذلك يصبح المجلس المورد الرئيس للتدوين الأدبي (القول) والتدوين التاريخي(الفعل).

ولمّا كان أهل اللغة هم السابقين إلى جمع المادة اللغوية ، التي هي في الأصل أســاس العلوم كافة – فإنّهم المصدر الأول للعلماء في مختلف المجالات ، ومادتهم اللغوية كانت عوناً

---

(١) مصطفى: التاريخ والمؤرخون ، ص٧٥-٧٦

(٢) ومن المؤلفات الأدبية التي ألّفها أصحابها في ضوء المجالس الأدبية: أدب الكاتب لابن قتيبة، وأدب الكاتب لأبــي بكر الصولي، وأدب القاضي لأبي حزم عبد العزيز الحنفي، وأدب القاضي لأبي جعفر أحمد بن اسحاق الأنباري، وأدب النديم لكشاجم.

(٣) يقطين، سعيد.**الكلام والخبر– مقدمة للسرد العربي**، ط١(بيروت: الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،١٩٩٧م) ص ٢١٦ ويرى يقطين أنّ الكلام العربي ما كان له أن يتشكل في غياب المجالس، بما تستوعبه من متكلمين ذوي كفاءة كلامية، ومستمعين ذوي القدرة على التمييز بين أصناف الكلام. ص٢١٤

لعلماء الجغرافيا والتاريخ فيما بعد « فكان لهم دور في صياغة المادة الجغرافية»[١] فضلاً عن اهتمامهم بعلم الأنواء في أثناء جمعهم المادة اللغوية.

إن علماء الأدب واللغة قدّموا الكثير لعلم التاريخ وزوّدوه بالمادة ، ذلك أنهم في بحثهم عن المادة اللغوية والشعرية غزوا ميدان رواية القبيلة ، وكان هذا الميدان خاصاً من قبل بنشاط الرواة والنّسابين، فجمعوا بذلك شتات المادة التاريخية وخدموا التدوين التاريخي ، إذ دخلت رواياتهم في صلب كتب التاريخ[٢]

تمثّلت الرواية في الأدب العربي بالرّواية التاريخية إلى حد كبير[٣]، وهذا ما يجعلنا ندرس التدوين التاريخي في ضوء المجالس الأدبية، كيف لا وقد إختلطت المادة الأدبية بالمادة التاريخية في المجالس، حتى صَعُب فصلهما.

كان للمجالس دورٌ مهم في نشأة مدرسة التاريخ، ويعود الفضل في ذلك لأبي بكر ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) الذي قام ببحث واسع في المدينة عن أحاديث الرسول وأصحابه، وساعده ارتياد المجالس على هذا الغرض[٤].

«قال إبراهيم بن سعد: قلت لأبي: بم فاتكم الزّهري؟ قال: كان يأتي المجالس من صدورها، ولا يأتيها من خلفها، ولا يُبقي في المجلس شاباً ولا كهلاً إلا ساءله ... »[٥] وقد جالس الزّهري الخلفاء، وساءلوه عن أعمار الخلفاء الأمويين ومدة حكمهم، واعتمد الطبري

---

(١) كراتشكوفسكي: الأدب الجغرافي ، ص ١٢٤

(٢) مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، ص ١٩٧

(٣) روزنثال، فرانز. **علم التاريخ عند المسلمين**، ترجمة : صالح العلي (بغداد: مكتبة المثنى ، ١٩٦٣م) ص ٢٥٧

(٤) الدوري: نشأة التاريخ ، ص ٧٦-٨٠

(٥) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ). **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الارناؤط، ط١(بيروت: مؤسسة الرسالة١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

على روايات الزهري في تحديد أعمار هؤلاء الخلفاء[1]. وقدّم الزّهري خدمة مهمة للدراسات التاريخية في بلاد الشام، إذ إنّه كتب رواياته، بطلب من الخليفة عمر بن عبدالعزيز، والخليفة هشام بن عبد الملك، وكان لهذه الأحاديث المدوّنة أهمية في الكتب التي أُلِّفت في المغازي فيما بعد[2].

وتُعدّ الروايات الأدبية المرحلة الأولى من مراحل التاريخ[3]، إذا اعتبرنا أن الروايات الأدبية هي الأخبار، وذلك لمشابهة الأخبار بالقصص، فالأخبار هي المادة الأولية للتاريخ والمرحلة الأولى من مراحل تطوّره[4].

كما كان للمجالس الأدبية دور في التدوين الجغرافي، فقد اهتم الخلفاء بتقريب بعض الجغرافيين في مجالسهم، والمأمون قرّب مؤرج السدوسي[5]، ورحل معه إلى خراسان وكان من جلسائه، « وكان مؤرّج أول من كتب رسالة في الأنواء»[6]، وتطوّرت كتب الأنواء والرسائل الجغرافية عن جزيرة العرب، لتصبح «كتب البلدان»، و «المسالك و الممالك» و «عجائب البلدان»، وذكر العجائب نمطاً قائماً بذاته من أنماط الأدب الجغرافي، وكل هذا تطوّر تحت تأثير الموضوعات الأسطورية والرغبة في الإمتاع والتشويق، حتى ظهر القصص

---

(١) الطبري: تاريخ ٣٢٥/٥، ٤٩٩

(٢) طه عبد الواحد ذنون. دور بلاد الشام في نشأة علم التاريخ (المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، مج١ ، ١٩٨٧م) ص ٧٦-٧٧

(٣) روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٦٠

(٤) ابن بكّار: الأخبار الموفقيات، المقدمة ص٥

(٥) هو مؤرج بن الحارث (ت ١٩٥) من بني سدوس بن شيبان ، أبو فيد – عالم بالعربية والأنساب، من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد ، كان له اتصال بالخليفة المأمون ورحل معه إلى خرسان (وفيات الأعيان ١٣٠/٢).

(٦) كراتشكوفسكي: الأدب الجغرافي ص١٢٤ – واهتم أهل اللغة بجمع المادة الجغرافية، فالأصمعي (ت ٢١٦هـ) له رسالة في صفة الأرض السماء والنباتات – ورسالة في مياه العرب – وكان في كتب الأصمعي اللغوية كافة تعداداً لأسماء ومصطلحات جغرافية، نفسه ص١٢٧

الجغرافي[1] وتُمثّل «ألف ليلة وليلة» جانباً من هذا القصص الجغرافي الأسطوري.

كما شجع بعض الخلفاء الرحلات، مثل الواثق الذي تقترن باسمه رحلة سلام الترجمان إلى الأصقاع الشمالية[2].

ولذلك نجد المقدسي (ت ٣٨٠هـ) في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، يعدُّ المجالس الأدبية مصدراً من مصادره الجغرافية، فيقول: «... أحدها ما عايناه ، والثّاني ما سمعناه من الثِّقات، وما بقيت خزانة ملك إلاَّ وقد لزِمتها .. ولا مذكّري بلدٍ إلاَّ وقد شهدتهم ... وتكَلمتُ في المجالس»[3] وينقل عن طريق الرواية الشفوية عن الجاحظ، خصائص المدن العشر الكبرى[4] .

ومن مظاهر اهتمام الخلفاء بالمعرفة الجغرافية، اشتراطهم بالجليس أن يكون عارفاً بمنازل الطريق، وقطع المسافة، دليلاً بهدايته وأعلامه ومياهه[5].

وفي أحد مجالس الراضي بالله تذاكر مع جلسائه عجائب البلدان، وما خص به كل صقع من الأرض من أنواع النبات والحيوان والجماد من الجواهر وغيرها[6].

ثانياً ـ ومن مصادر التاريخ الإسلامي في مراحل تدوينه الأولى:

أ ـ **الشعر**: كان الشعر من اهتمامات الخلفاء والوزراء ورجال البلاط ، الذين كان يختلف عندهم الشعراء مادحين أو مجالسين أو منادمين ، ومن ثَمَّ كان الشعراء من هذهِ النَّاحية

---

(١) الأدب الجغرافي. انظر الصفحات (١٣٢-١٤١)

(٢) نفسه: ١٣٩

(٣) المقدسي، محمد بن أحمد (ت ٣٨٠ هـ) . **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ،تحقيق شاكر لعيبي، ط ١(أبو ظبي: دار السويدي، بيروت: المؤسسة العربية ، ٢٠٠٣م) ص ٦٨

(٤) كراتشكوفسكي: الأدب الجغرافي ، ص ١٢٩

(٥) الجاحظ: التاج ، ص٧١

(٦) المسعودي: المروج ٤/ ٣٢٩ـ٣٣١

بمثابة المصادر التي يستسقي منها المؤرّخ بعض الأخبار[1]. كما كان الشعر مرافقاً للأحداث السياسية والتاريخية، التي وجد معها شعراء يعلنون بقصائدهم آراءهم الفكرية[2] مما جعل الشعر وثائق تاريخية مهمة لا يستغني عنها المؤرخ .

وقد كانت أنظار المؤرخين تتجه إلى الأشعار، يستعينون بها في تدوين بعض الأحداث، كما ينبئ بذلك تأريخ الدولة العبيدية الفاطمية للمغرب؛ فإنّ الشعر كان معتمدهم في ذلك[3]. وكانت قصائد كثير من الشعراء مادة ثرية للإخباريين في عصور التدوين التاريخي[4]

وهذا يوضح مدى الصلات القوية بين الدراسات الأدبية والأنساب والأخبار ، كما يظهر عند محمد بن سائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) وابنه هشام (ت ٢٠٤ هـ)[5].

وعلى ذلك، فإنّ الشعر ــ من هذا الجانب ــ هو من أهم ما يُمزج بالرّواية التاريخية ، وتتميّز هذهِ الأشعار الممزوجة بالرّوايات بلغتها السهلة،[6] وفي أخبار عبيد بن شرية الجرهمي، رأينا كيف أنّ معاوية يلتمس منه الأشعار ويعدها الدليل الصادق على الخبر، وكان عبيد هذا يدعّم أخباره بالشعر الذي هو في معظمه موضوع ولا أصل له[7]. خاصة إذا

---

(١) حسن علي بكر «**الطبري ومنهجه في التّاريخ**» (رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ١٩٨٤م) ، ص ٢٠٤ اعتمد الطبري(ت٣١٠هـ) عند روايته للكثير من الأحداث التاريخية على الشعر، انظر مثلاً:٧٩/٧ في أحداث سنة١١٢هـ استقدام هشام بن عبد الملك نهار بن توسعة (وكان قد بعثه في وفد إلى الترك) وسؤاله له عن أخبار الترك ، فروى له ما جرى شعراً.

(٢) الصفّار: آفاق الأدب في العصر الأموي ص١٢

(٣) ابن حيّون: رسالة افتتاح الدعوة ، ص ٢٨

(٤) مثل أشعار الفرزدق وجرير اللذين دونا أنساب كثير من القبائل وأخبارها.

(٥) يُعدّ محمد بن السائب وابنه هشام مؤرخين، وعلى علم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها. لهما عدّة تصانيف تدل على تنوّع ثقافتهما ، ولهشام : كتاب «جمهرة الأنساب» «الأصنام ، نسب الخيل ، الديباج في أخبار الشعراء ، تاريخ أجناد الخلفاء ، وتتبعنا لمصنفات أهل اللغة، يدل على مدى اهتمامهم بالأخبار والأنساب إلى جانب اهتماماتهم اللغوية .

(٦) روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين ص٢٦٢-٢٦٣

(٧) انظر: أخبار عبيد بن شرية ص٧٣٢ وما بعدها ، ونصّار: نشأة التدوين ص ٢٦-٢٩

علمنا أنّ الأشعار التي تروى بين يدي الملوك أكثرها مصنوعة كما يقول بعض النقاد[1].

والشعر حافظ على تناقل الرواية وانتشارها، حتى إنّه لمّا نسيت الأشعار اندثرت الروايات القديمة باندثارها، على حين أنّ أشعاراً جديدة كانت تنظم للتنويه بما جد من الفعال في تاريخ القبيلة، وهذه الرواية وإن تكن مصبوغة بصبغة العرض والتحيّز ومجهولة زمن الحدوث، ومغالىً فيها من الناحية الخيالية، إلا أنه كانت على جانب كبير من الحقيقة والصواب[2].

وكان الشعر يُروى من رواة من البادية، ويقدّمون له عادة بمقدّمة نثرية توضّح ظروف نظمه، وتشرح الإشارات التاريخية الواردة فيه[3]، لذلك اختلطت العناصر النثرية بالعناصر الشعرية في أثناء سرد الأخبار، وهذه الروايات المدعّمة بالشعر والنثر معاً، كان لها أكبر الأثر في المحافظة على الرواية التاريخية، وكانت هذه المادة والروايات المأثورة، هي التي هيّأت المادة التي استقى منها المؤرخون مادّتهم[4].

ب ـ القصص

ظهر القصّ في عهد "عثمان" رضي الله عنه، وكرهه الإمام "علي" رضي الله عنه، حتى أخرج القصّاص من المسجد، لما كانوا يضعونه في أذهان الناس من خرافات وأساطير، بعضها مأخوذ من الديانات السابقة بعد أن دخلها التحريف. وقد كثر القصاص في العصر الأموي وكان بعضه صالحاً، وكثير منه غير صالح، وكانت هذه القصص أفكاراً غير ناضجة

---

(١) ابن سلام: الطبقات، ١/٦٠ـ٦١

(٢) دائرة المعارف: ٤/٤٨٤(ويمتلئ كتاب التيجان وأخبار عبيد بن شرية بمثل هذه الأشعار)

(٣) الدوري: نشأة التاريخ ، ص ٤٤

(٤) دائرة المعارف: ٤/٤٨٤

تلقى في المجالس المختلفة[1] وكانت القصص من أهم ما يروى في مجالس السمر القبلية ، أو في مجالس السمر الأخرى، وكانت تدور حول أمجاد القبيلة، وهذا ما أدخل إليها المبالغة والتحريف والاختلاف، لإثبات فضل قبيلة على أخرى[2].

وكانت كتابات أبي مخنف (ت ١٥٧هـ)[3] تعكس أثر هذه النزعة القصصية[4] فهو يُقدّم صورة حيّة أخّاذة للحوادث مع كثير من الخطب والمحاورات، ويتخللها الشعر في بعض المناسبات[5]. ومع أنّه يعد راوياً أساسياً لكثير من قضايا التاريخ – مثل قضية التحكيم ووقعة صفّين – فإنّ هذا يعني وضع مروياته القصصية التاريخية، تحت المساءلة التاريخية[6].

وكذلك الحال في مرويات المنقري[7] (ت٢١٢هـ) في كتابه" وقعة صفّين" فهو يعطينا صورة تنبض بالحياة والحيوية للحوادث التي أدّت إلى صفين وانتهت بالتحكيم، ويكثر من الشعر والحوار والخطب خلال رواياته، فكل الشخصيات البارزة تقول الشعر من نظمها أو اقتباساً، وتورده حتى في المراسلات، وكثير من الشعر موضوع، والكتاب شبه قصصي، وهو يعكس مجالس السمر[8].

وقد اهتم الأمويون بالقصّاص، واتّخذوا قصصهم مصدراً من مصادر التاريخ[9] لما

(١) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الاسلامية ، ص١٥

(٢) الشيخ: كتب الأخبار ص (٢٦-٢٩) * وهذا ما أثار العصبية القبلية وأظهر فناً قبلياً هو" النقائض" .

(٣) هو لوط بن يحيى أبو مخنف (ت ١٥٧هـ) إخباري كوفي له اهتمام بالأنساب .

(٤) انظر: الطبري: التاريخ ٥/ ١٤٨، انظر اسلوبه القصصي في عرضه لقضية التحكيم ٢٧٣/٥

(٥) الدوري: نشأة التاريخ ، ص٣٦

(٦) وصف أبو مخنف الأحداث وصفاً دقيقاً حيّاً، وكأنّه أحد الشهود، وإطالته للرواية تعطينا تصوراً لوجود زيادات، فكلما زادت الرواية وطالت وبعدت عن زمن الحدث، كلّما امتزجت بخيال المؤرخ، وأثارت لدينا تساؤلاً عن مدى دقتها ومطابقتها للحدث التاريخي وواقعيته.

(٧) هو نصر بن مزاحم بن سيار المنقري، مؤرخ من غلاة الشيعة، كان عطاراً بالكوفة وولي سوقها(البغدادي: تاريخ بغداد ٢٨٢/١٣).

(٨) انظر: المنقري: وقعة صفّين، ص ٣٥٢ ، الدوري: نشأة التاريخ ، ص ٣٨

(٩) روزنتال: علم التاريخ ، ص ٢٥٩-٢٦١

كانت تؤديه تلك القصص من وظائف سياسية ، الأمر الذي جعلهم يختلقون أخباراً يرجعونها إلى عهود سحيقة. يسقطون عليها توجهاتهم ، التي تتمشّى مع طبيعة مواقعهم من ذوي السلطان[1] فما زال المؤرخ تختلط عنده الرؤية الخيالية وطريقة فهمه وأسلوبه عند عرضه لأي قصة ، فيعمد إلى إسقاط مخزونه وأسلوبه المعرفي وتصوراته المنعكسة من المحيط الثقافي والسياسي السائد على الأفكار الحقيقية للرواية الأصلية[2] فانعكس ذلك على القُصّاص في مجالسهم؛ فقد استغرقها الخيال، سواء أكانوا شعبيين أم من الوعّاظ، مما أثّر في نبرة الكتابة عن السيرة[3] كما هي قصص عبيد بن شرية التي خرجت أخباره قصصاً وخرافات وأساطير عن ملوك اليمن، فكانت أقرب إلى الأدب الشعبي الخيالي[4]. ويمكن أن نطلق على هذه القصص «**السمر التاريخي**»[5] أو «**التاريخ الحُرّ**» أو «**سمر الخاصّة**»[6] وتمثّل كثير من كتب الأدب هذا التاريخ الحُرّ أو السمر التاريخي، وقد كتب يزيد بن مُفَرِّغ (ت ٦٩هـ)[7] «سيرة تبّع وأشعاره» . وكتاب «الهفوات النادرة» للصابئ[8]، يُمثّل هذا النوع من التاريخ، فهو يروي كثيراً مما دار في مجالس سمر الخلفاء ... ومما يُعدّ تاريخاً في الوقت نفسه[9] ومثله كتاب «الأغاني»، ولمؤلفات الجاحظ دور مهم في هذا الباب، فهي تعدّ تأريخاً

---

(١) الشيخ : كتب الأخبار ، ص ٢٧

(٢) تضغوت: التأويل التاريخي ، ص ١٦٩

(٣) الدوري: نشأة التاريخ ، ص ١١٣

(٤) انظر: ابن شرية: أخبار عبيد بن شرية ص ٣٢٦ ، نصّار : نشأة التدوين ص ٣١

(٥) نصار: نشأة التدوين ص ٢٦ ـــ ذنون طه: دور بلاد الشام في نشأة علم التاريخ ص ٧٢

(٦) شاكر مصطفى: التاريخ والمؤرخون ص ٣٠٢

(٧) هو يزيد بن زياد بن ربيعة الملقّب بالمُفَرِّغ (ت ٦٩هـ) أبو عثمان : شاعر غزل ، وضع «سيرة تُبّع وأشعاره» (ابن كثير: البداية والنهاية ٧٥/٦).

(٨) هو محمد بن هلال بن المحسّن الصابئ الملقّب بغرس النعمة (ت ٤٨٠هـ): مؤرّخ أديب مترسّل، كان محترماً عند الخلفاء والملوك، أنشأ داراً في بغداد وقف فيها أربعة آلاف مجلد في فنون العلم (النجوم الزاهرة ،١٢٦/٥).

(٩) الصابئ: الهفوات النادرة ، ص٤١، ٤٣، ٤٥

في كثير من جوانبها[١]. ومؤلفات ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) مثل «أخبار الأذكياء» و «الظرّاف والمتماجنون» .

ويعد كتاب" الفخري في الآداب السلطانية" من كتب التأريخ الحر، فقد تقرّب به ابن الطقطقي[٢] إلى والي الموصل فخر الدين عيسى بن ابراهيم، وجعل نسبة كتابه إليه، ويعد الكتاب في التاريخ والأدب في آن واحد[٣]. وقد سطّر ابن حيون(ت٣٦٣هـ) في كتابه" المجالس والمسايرات" هذا النوع من التأريخ الحر، بتسجيله ما وقع في مجالس المعز الفاطمي(ت٣٦٥هـ)[٤]

ولا عجب أن تكون كتب الأخبار الأدبية مرحلة من مراحل الكتابة التاريخية عند المسلمين، والتي يصلح محتواها فكاهة وسمراً في المجالس، وأحاديث الناس، إلا أنّها في الوقت ذاته مصدر أساسي للتاريخ عامة والتاريخ الاجتماعي خاصة[٥].

وقد اهتم العلماء بموضوع السَّمر التاريخي، فقد ألّف الجهشياري (ت ٣٣١هـ)[٦] ــ وهو من رجال البلاط ــ كتاب السَّمر واختار له ألف سمر

---

(١) دويدار، حسين." **ملامح الرؤية التاريخية عند الجاحظ**"(مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية، ع٤، ١٩٩٢م)

(٢) ابن الطقطقي، هو محمد بن علي بن طباطبا العلوي(ت٧٠٩هـ) كان أبوه نقيب الأشراف العلوية بالحلة والنجف وكربلاء، وقد خلفه بتلك الرتبة (الأعلام٦/٢٨٣)

(٣) ابن الطقطقي: الفخري ، انظر مقدمة المحقق ص٧ (وهذا يبين مدى تأثر التدوين، التاريخي ــ والأدبي، بالسلطة السياسية، بحيث ألّفت كثير من الكتب للتقرب من السلطان، ولا يخفى لما في هذا الأمر من مخاطر، حيث نشأ تاريخاً مسيّساً اختلط الغث فيه بالسمين، حتى صعب استخلاص الحقائق، والتي غابت في غياهب السلطة السياسية، فانتشر وذاع ما وافق أهواء الخلفاء، وغيّب مالم يوافق أهوائهم)

(٤) ابن حيون: المجالس والمسايرات(والكتاب بأكمله تدوين دقيق لمجالس المعز، توخى فيه الدقة ارضاءً للمعز).

(٥) الشيخ: كتب الأخبار ص ٢٦-٢٩ ، (وتمثّل طائفة من كتب الأدب والأخبار هذه المرحلة ، مثل البخلاء ،أخبار النساء، والبرصان و العرجان، وأخبار الأذكياء، وأخبار الظرّاف و المتماجنين, أخبار البحتري، أخبار الحمقى والمغفلين، ...).

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت ٣٣١هـ)، مؤرخ، من أهل الكوفة، من الكتاب المترسلين، كان أبوه حاجباً للمنصور، فخلفه على الحجابة، نُكب يوم قُبض على ابن مقلة وكان من أصحابه، من أشهر كتبه " الوزراء والكتاب"(انظر مقدمة الوزراء والكتاب).

من أسمار العرب والعجم والرُّوم وغيرهم ، كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره ، وأحضر المسافرين، فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون، فاجتمع له من ذلك أربعمائة ليلة وثمانون ليلة، كل ليلة سَمرٌ تام، يحتوي خمسين ورقة، وقد عاجلته المنية قبل إتمامه[١] وهذا يضعنا أمام أمرين، الأول اهتمام جلساء الخليفة - خاصة- بعمل مثل هذه المؤلفات التي يمتزج الخيال فيها بالحقيقة، والثاني اهتمام الخليفة بصرف نظر العامة عن أمور السياسة. أما في القرن الثالث والرابع الهجريين فقد أفرز الخيال الشعبي قصصاً تاريخية غرضها الأسمار والتثقيف والوعظ والتبسيط، وهي تحوي من الجو الاجتماعي ما لا تحويه كتب التاريخ نفسها. منها قصص «عنتره»، و«النعمان»، و«الأميرة ذات الهمّة»[٢] وهؤلاء القُصّاص كانوا يستمدون بعض مادتهم من الكتب التاريخية[٣].

وهذا يعني أنّ القصص كان مصدراً من مصادر التاريخ الإسلامي، ومن ثم صار التاريخ نفسه مصدراً من مصادر القصّاص، على الرغم ممّا صاحبه من تلوين وتزييف ومبالغة؛ مثل أخبار التبابعة ـ ملوك اليمن ـ وجزيرة العرب، وقصص إرم وعاد؛ فإنّها أشبه بأحاديث القصص الموضوعة.[٤]

---

(١) ابن النديم : الفهرست، ص ٣٠٨/٣٦٣

(٢) مصطفى: التاريخ والمؤرخون ، ص ٣٠٢

(٣) روزنتال: علم التاريخ ، ص ٢٦١

(٤) ابن خلدون: المقدّمة ، ص (٢٣-٢٦). ومع أن ابن خلدون نقد هذه الروايات القصصية ورفض وجودها في المدونات التاريخية، إلا أنّه لم يتوان عن إيرادها لتحلية نظرياته والترغيب فيها، ولهذا بقيت في مجموع التأريخ العربي عنصراً ينافي بداهة العقل ويتعارض مع نمو ملكة النقد وتفهم التأريخ القديم تفهماً صائباً سديداً.(دائرة المعارف: ٤/٤٨٤)

ج ـ الأنساب وتراجم الرِّجال:

أذكت العصبيات القبلية [1] موضوع الأنساب، وخاصّة عند تدوين الدواوين، فكان هـذا الموضوع سبباً من أسباب ازدهار المجالس، وعقدت مجالس خاصَّة لهذه الغاية، ظهر فيها مشاهير الرواة[2]. وفي القرن الثاني من الهجرة غزا علماء فقه اللغة ميادين رواية القبيلة، التي كانت حتى ذلك الوقت مجالاً خاصّاً بنشاط الرّواة والنّسّابين، وذلك للإحاطة بكل ما تبقّى من آثار الشعر القديم، مع إيضاح غوامضه، فأدّوا للتاريخ خدمة جليلة، إذ جمعوا شتات هـذه المجموعة من المواد التاريخية، وعنوا بترتيبها وتنسيقها بعد تمييزها بعضها عن بعض[3]. واهتمّ الخلفاء بموضوع الأنساب في مجالسهم، واستقدموا النَّسّابين[4] وقد كان الخلفاء والأمراء الأمويون من أعلم أهل الشام بأخبار القبائل في الجاهلية والإسلام، وكانوا على معرفة بقيمة هذهِ الأنساب وخطرها، فهي جزء أصيل من تراث العرب وتاريخهم[5] ومن أشهر هؤلاء النسّابين، دَغْفل النَسابَة وله مجالس عدة مع معاوية بن أبي سفيان[6] وله كتاب «التظافر والتناصر» جمع فيه مجالسه مع معاوية، والكتاب لم يصل إلينا وجاءت بعض مجالسه مبثوثة في بعض الكتب ومن هذه المجالس ، المجلس الثامن عشر، الذي سأله فيه معاوية عن أبلغ

---

(١) كان للسياسة أثرها في احتدام نارالعصبية القبلية، إذ إن بني أمية وجدوا في إثارة هذه العصبيات كسباً سياسياً لدولتهمْ، ودعماً لسلطانهم، لأن اشتغال القبائل بعضها ببعض كان قميناً بصرفها عن معارضة الحكم الأموي، وكثيراً ما كانت العصبية تهيج بسبب إيثار الخليفة أو الوالي قبيلة ما عن سائر القبائل. انظر: النص:العصبية القبلية ص٢٥٧

(٢) الجاحظ: البيان ٩٨/٢ ، مصطفى : التاريخ والمؤرخون، ص ١٨٩ ، عطوان : الرواية التاريخية ص ٤٦

(٣) دائرة المعارف: ٤٨٥/٤

(٤) انظر : العقد (٢٢٩/٣) ، (٣٣١ ، ٣٦٥-٣٦٦) معجم الأدباء (١٢٩٠/٣)

(٥) عطوان: الرواية التاريخية ، ص ١٧ . كان اهتمام الخلفاء بالأنساب لأسباب اقتصادية(الدواوين وتوزيع العطاء) ولأسباب أخرى سياسية تتعلق بصرف الخليفة أنظار القبائل عن الحكم، وبتقريب القبائل الأقوى لكسب دعمها وتأييدها، وهذا اقتضى منهم تقريب كل من له علم بأنساب القبائل ومجالسته، ومن ثم توجيه الشعراء لمدحهم ومدح قبائلهم لإذكاء هذه العصبية. وهذا يضعنا أمام ترابط النسب بالتاريخ والشعر والهيمنة السياسية عليهم جميعاً.

(٦) الجاحظ: البيان ١١٤/١ ، الأصفهاني: الأغاني ١١٢/١ ، ابن عبد ربه: العقد ٢٢٩/٣

العرب في ثنائه؟ فقال دَغفل: ذاك النابغة الذبياني حين دخل على الحارث بن أبي شمر الغساني يطلب إليه في أسارى قَومه، فقال : «ألا أنعم صباحاً أيها الملك المبارك، السماء غطاؤك، والأرض وطاؤك، وولدي فداؤك، والعرب وقاؤك، والعجم حماؤك، والحكمة وزراؤك، والعلماء جلساؤك .... »[١].

ونُلاحظ في هذا المجلس مدى تجويد العبارة وتحسينها، وكأنّه يعالج تأريخاً أدبياً أكثر من معالجته للأنساب والأخبار، ولعل معاوية أراد مثل دغفل وغيره لأهداف سياسية أراد من خلالها إثبات شرعية حكمه وحكم آل أميّة من خلال الأنساب .

ويعد أبو عبيدة(٢٠٩هـ) من علماء اللغة الذين اهتموا بالأنساب، وقد استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد، وقرأ عليه بعض كتبه[٢]

وكذلك الهيثم بن عدي(ت ٢٠٩هـ) كان أخبارياً ونساباً، اهتم بسير الناس والعرب وأخبارهم وأيامهم وأشعارهم وعلومهم، فهو صاحب أخبار وأسمار وأشعار[٣]، قيل إنه كان يرى رأي الخوارج[٤] وله صلات جيدة مع الخلفاء العباسين، فقد جالس المنصور، والمهدي والهادي، والرشيد[٥] واتهمه الجاحظ بتزوير تاريخهم[٦].

---

(١) التحفة البهية والطرفة الشهية(قسطنطينية: مطبعة الجوائب، ١٨٨٤م) ص ٣٨

(٢) أبو عبيدة معمّر بن المثنى(ت٢٠٩هـ) من أئمة العلم بالأدب واللغة، قال عنه الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه. كان اباضياً، شعوبياً. له: مآثر العرب، المثالب، فتوح أرمينية، نقائض جرير والفرزدق،أيام العرب، مجاز القرآن، القبائل،... الخ (انظر: دائرة المعارف١/٣٧٦،الأعلام٧/٢٧٢)

(٣) ابن النديم: الفهرست ، ص١١٢، الحموي: معجم الأدباء ٧/٢٦١

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ١/٣٤٧

(٥) الحموي: معجم الأدباء ٧/ ٢٦٣

(٦) الجاحظ :البيان والتبين ١/٣٣٥، ٣/٣٦٨،٣٦٦ (يمثل لنا الهيثم بن عدي مجموعة العلاقات المتشابكة في الدراسة والتي يصعب فصلها، فهو أديب مؤرخ، صاحب اتّجاه فكري، وجليس للخلفاء، وإذا ما دققنا النظر في ترجمته، مستعينين بمقولة الجاحظ فيه، تحقق لنا مغزى الدراسة، وتحقيق العلاقة الثلاثية بين الأدب والاتجاهات الفكرية والسلطة السياسية، واهتمام الخلفاء باستقطاب علماء موسوعيو المعرفة، استطاع بعضهم ايصال أفكارهم من خلال مجالس الخليفة).

ومما يتصل بقضية الأنساب، ظهور فن النقائض، الذي يتصل اتصالاً وثيقاً بالأنساب، فقد أدت العصبيات القبلية إلى اذكاء نار الهجاء والمفاخرات بين القبائل، التي انبرى شعراؤها للدفاع عنها، محاولين اظهار محاسن قبيلتهم وذم القبيلة الأخرى(الخصم)، وهذا الأمر اقتضى منهم دراسة حقائق القبائل ومفاخرها ومثالبها، دراسة دقيقة وعميقة، حتى أصبحت هذه النقائض وثائق تاريخية مهمّة[١].

وإلى جانب ذلك فقد اهتم الأدباء والعلماء في مجالسهم بتراجم الرّجال؛ ولولا هذه المجالس والأحاديث التي كانت تدور فيها لضاع كثيرٌ من التراجم[٢] ، ومجالس التوحيدي توضح مدى أهمية هذه المجالس في التراجم. إذ تكون الترجمة أكثر مصداقية وأبعد عن التكلّف. ولتراجم التوحيدي أهمية بالغة، لأن الوزير هو المحدّد لطبيعة الترجمة[٣] ففي المجلس الثاني والمجلس الثالث – مثلاً – يطلب منه الوزير أن يترجم لأبي سليمان المنطقي، وهو يحدد حدود هذه الترجمة. فيقول: «أوّل ما أسألك عنه حديث أبي سليمان المنطقي، كيف كان كلامه فينا، وكيف كان رضاه عنّا ... وحدّثني عن درجته في العلم والحكمة .. [٤] وفي الليلة التالية يطلب أن يحدثه عن مجموعة أخرى من العلماء[٥] ؛ وعلى ذلك فإنّ هذه المجالس الأدبية حملت تراجم دقيقة بعيدة عن التكلّف ، مثل ترجمة أبي العتاهية في الأغاني : «كان أبو العتاهية قضيفاً، أبيض اللون، أسود الشعر، له وفرة جعدة، وهيئة حسنة، ولباقة وحصافة، وكان له عبيد من السودان..»(٤)

---

(١) ضيف: العصر الجاهلي ص٢٤٢–٢٤٥، الشايب: تاريخ النقائض، ص ٤٥١.

(٢) شاكر، محمود. المتنبي (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٧٦م) ص ١٨٨– ١٩٥

(٣) العمد ، هاني «التوحيدي مترجماً للرجال من خلال الإمتاع والمؤانسة» (مجلة فصول ١٩٩٦م) ص(٢٤٣–٢٨٢).

(٤) التوحيدي: الإمتاع، ص ٣٥–٤٥

(٥) نفسه ص ٤٥– ٥٣

ثالثاً: الرواية التاريخية والسُّلطة السِّياسية:

من غير المختلف فيه أن التاريخ الإسلامي نشأ مسيّساً ، أي أنّه نشأ في أحضان الحكّام موجّهاً من قِبَلِهم، دعماً لوجودهم واستمرارهم في الحكم(١)، ويؤكد ذلك أنّ أكثر الرواة وبعض المؤرخين كانوا جلساء للحكّام مادحين لهم(٢)، وهذا أدى إلى عملية سك وتعليب للرّواية التاريخية خدمة للمذاهب والسلطات السياسية، وأعيد رسم التاريخ بما يتناسب ورغباتهم، وهكذا كان المؤرخ خاضعاً لأنساق هذه السُّلطة، وهذا يعني أن تاريخاً مسكوتاً عنه غيّب وأقصي(٣).

ومع ذلك نستشرف في حنايا تلك المجالس الأدبية الموجودة في كتب الأدب والنوادر والأخبار والتراجم «تاريخ ما أهمله التاريخ» (٤)، فثمة تاريخ أهمله التاريخ؛ فكان حظّه الاحتجاب والتغييب أو الإنزواء؛ ذلك أنّ تلك المجالس الأدبية بما فيها من حوار وتلقائية تجعلها بعيدة عن السعي وراء الحقائق وسبر أغوارها، وهذا يدل على أنّ ثمة أشياء لم تؤرخ، وأفكاراً لم تدون، اللهم إلا ما وافق الرغائب، وارتضاه أصحاب تلك المجالس. وهذه المجالس الأدبية بما فيها من حوار وتلقائية، تجعلها بعيدة عن التكلّف وأقرب للصدق ، وبالتالي أكثر دلالة على العصر الذي نؤرخ له وأكثر تعبيراً صادقاً عن الشخصية التي نترجم لها (٥).

---

(١) السيابي، أحمد بن سعود." أهمية إعادة كتابة التاريخ الإسلامي" مؤتمر التقريب بين المذاهب" الرباط، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ص ١٤٩

(٢) اهتم الخلفاء باستقطاب الرواة، ومجالستهم، كما جالس بعض المؤرخين الخلفاء، فالبلاذري مثلاً -- صاحب كتاب فتوح البلدان، كان ممّن مدح الخلفاء وجالسهم. إلا أن غيره من المؤرخين أبى مجالستهم، مثل الطبري وابن الأثير، ولكن العبرة في الرواة وأثرهم في المدونات التاريخية التي وصلتنا.

(٣) الكعبي: السّرد العربي القديم ، ص٢٤٥

(٤) مصطفى: التاريخ والمؤرخون ، ص ٢٩٨-٢٩٩

(٥) الشيخ : كتب الأمالي والمجالس والمحاضرات ، ص ٣٠٦

ومن الأحداث التي اهتمت بها كتب الأدب «نكبة البرامكة»[1] ولعل ذلك يعود إلى محلّ البرامكة من الأدب ، وخاصة يحيى البرمكي [2] الذي قرّب الأدباء والشعراء وله مجالس علم مشهورة.

وقد كانت المجالس الأدبية تعبّر تعبيراً حرّاً عن الأحداث السياسية، وهذا ما يجعلنا نسلّم بأهمية استقصاء المادة التاريخية منها. ففي مجلس ابن الأعرابي وصل خبر نكبة سليمان بن وهب وابن الخصيب، فانشد ابن الأعرابي[3]:

رُبَّ قومٍ رتعوا في نعمةٍ زَمَناً والعيشُ ريّانُ غَدِقْ

سَكَتَ الدّهرُ طويلاً عنهمُ ثُمَّ أبكاهم دَماً حين نَطَقْ

وقد يتكلم الخليفة في مجلس سمره مع ندمائه، بما لا يتكلم به في المحافل الرسمية، فمثلاً يتحدّث المأمون مع كاتبه أبي عبّاد عن خبر جوابات ثلاث الأنفس التي أعيينه، وهي: جواب أمّ ذي الرياستين حينما ذهب لتعزيتها بولدها، فقالت له:" وكيف لا أحزن على ولد أكسبني ولداً مثلك"، وجواب رجل تنبّأ، وجواب رجل اسمه أطروش ناظره عن أهل الكوفة الذين اشتكوا عاملها[4]...، وما جاء في هذا المجلس يحتوي على أخبار تاريخية أكثر قبولاً واتّزاناً من المرويات التي جاءت تحت عناوين مبوّبة للغرض التاريخي. وكثيراً ما كان الرّاضي بالله يتحدثّ بأخبار الدولة مع جلسائه[5].

---

(١) التنوخي: النشوار ١/١٨ــ١٩

(٢) يحيى بن خالد بن برمك (ت ١٩٠هـ) الوزير السريّ الجواد ، سيّد بني برمك وأفضلهم ، وهو مؤدّب الرّشيد ومعلّمه ، واشتهر يحيى بجوده وكرمه وحسن سياسته – سجنه الرشيد ومات ، قال الرشيد: مات أعقل الناس وأكملهم (الأعلام ٨/١٤٤).

(٣) الحموي: معجم الأدباء ٥/٢١٤٠

(٤) المسعودي: المروج ٤/١٨

(٥) الصولي: أخبار الراضي بالله ، ص١٦ــ٩١

وخبر مقتل المتوكل[1] ـــ الذي ذكرناه آنفا ـــ الذي يرويه البحتري الشاعر، فيه تسجيل دقيق للأحداث، التي كان ندماء الخليفة وجلساؤه، الشهود الحقيقيّين لها، ودونتها كتب الأدب في ثنايا أخبار الشعراء.

وقد نستشف في ثنايا المجلس الأدبي حقائق تاريخية عبّر عنها أصحابها بطريقة غير مباشرة، ففي أحد مجالس أبي أيوب المورياني[2] (ت١٥٤هـ) وزير المنصور، جاءه رسول المنصور، فقام إليه، وعاد وقد امتقع لونه، فسأله بعض الجلساء عن حاله فقال: سأضرب لكم مثلاً في ذلك، وهو أن البازي[3] قال للديك: ماأقلّ وفاءً منك لأهلك، أخذوك وأنت بيضة فحضنوك وخرجت على أيديهم فأطعموك على أكفّهم ونشأت بينهم، حتى إذا كبرت، جعلت لا يدنو منك واحدٌ منهم إلا طرت يمنة ويسرة، وصحت وصوّتّ، وأنا أُخذت كبيراً من الجبال فعلّموني وألّفوني، ثم يخلُّون عني، فآخذ صيدتي فآتي بها أصحابي، فقال له الديك: لو رأيت في سفافيدهم من البزاة ما رأيت فيها من الديوك هربت أشد من هربي[4]. فهذه قصتي، ما صرت إليه قط فظننت أني أرجع إلى مجلسي، ومن كان من رجال السلطان ولم يكن هكذا فهو جاهل مغتر[5]. فالوزير لم يتمكن من التصريح بما جرى بينه وبين المنصور، فلجأ إلى التلميح، بأن المنصور تخلى عن وزارته.

وتتكرر هذه المخاطبات الرمزية ذات الأبعاد السياسية في مجالس أولي الأمر، فقد

---

(١) ابن بسام: الذخيرة ١/٤٠

(٢) هو سليمان بن مخلد المورياني(ت١٥٤هـ)، من وزراء الدولة العباسية في العراق، ولي وزارة المنصور بعد خالد ابن برمك وأحسن القيام بالاعمال، ثم فسدت عليه نية المنصور، فأوقع به وعذبه، وكان لبيباً فصيحاً(الأعلام ٣/ ١٣٥)

(٣) البازي: نوع من الصقور

(٤) الحموي: معجم الأدباء، ١٢٥٣/٣

(٥) البلاذري، **أنساب الأشراف**، تحقيق: عبد العزيز الدوري(بيروت: المطبعة الكاثولوكية، دار النشر فرانس شتاينر بفيسبادن،١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ٢٤٥/٣

شكى الدَّهاقون[1] إلى جميل بن بُصبُهْرِي وكان حازماً مقدماً، ما يتخوفون من شرّ الحجــاج ، فقال لهم: خبّروني أين مولده؟ فقالوا له الحجاز، فقال: ضعيف معجب، فأين منــشؤه؟ قــالوا الشام، قال: ذلك أشر، ثم قال: ما أحسن حالكم إذا لم تبتلوا معه بكاتب منكم، ثم ضرب لهــم المثل المشهور: إنّ فأساً ليس فيها عود أُلقيت بين الشجر، فقال بعض الشجر لبعض: ما أُلقي هذا هنا لخير، فقالت لهم شجرة: إن لم يدخل في است هذا عود منكنَّ فلا تخفنه[2].وقد عبّــر جميل عن فكرة الجواسيس والعيون من خلال المثل الذي ضربه، دون أن يصرّح بذلك.

وسجّلت مجالس العلماء، البعيدة عن عيون السلطة السياسية ، أحداثاً تاريخيــة أومــأت إليها إيماءً ولم تصرّح، وهذا التحفّظ يعطينا انطباعاً عن تشديد الطبقة الحاكمة قبضتها علــى الرعية، حتى يلمح علماؤها بما يجري، قال أبو الحسن: جاء خلف الأحمر إلى حلقة يونس[3] ، حين مات أبو جعفر المنصور، فقال:

قَدْ طَرَّقَتْ بِبِكْرِها بنتُ طَبَق

فقال له يونس: ماذا؟ قال:

فذمّروها خَبَراً ضَخْمَ العُنق

فقال يونس: وماذا؟ قال:

موْتُ الإمامِ فِلْقَةٌ منَ الفَلِقْ[4]

والمجلس يكنّي فيه يونس عن موت المنصور، دون أن يصرّح، وبنت طبق، كناية عن الدّاهية. وتعد هذه الأشعار وثيقة تاريخية سياسية تنبئ عن العصر.

---

(١) الدّهاقون: التجّار، والدهقان زعيم الفلاحين(القاموس المحيط: ص ١٠٧٩)

(٢) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣٩

(٣) هو يونس بن حبيب(ت١٨٢هـ) علاّمة بالأدب، كان إمام نحاة أهل البصرة في عصره، أعجمي الأصل(ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٤١٧، الأعلام ٨/٢٦١)

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين ٩٧/٤

وقد يعطينا مجلس الخليفة الأدبي، قرائن مادية لمدى تأثّر الخلفاء بالفرس ومحاكـاتهم، ففي مجلس المنتصر(ت٢٤٨هـ) فُرِش بساط فيه دائرة فيها صورة فرس وعليه راكب، وعلى رأسه تاج، وحول الدائرة كتابة بالفارسية. فنظر المنتصر إليها، فقال لجلسائه: من يحسن أن يقرأ هذا ، فاحضروا رجلاً فقرأ: أنا شيرويه بن كسرى بن هرمز، قتلت أبي، فلم أمتّع بالملك، إلا ستة أشهر. فتغيّر وجه المنتصر وقام عن مجلسه[١]. وقد تأثر لمقتل والده المتوكل على يد الأتراك، وربط ذلك بما حصل لشيرويه، الذي حكم ستة أشهر ومات، بعد قتل أبيه. لعلنا نفتقد مثل هذا الوصف في كتب التاريخ، فقد اهتم جلساء الخليفة بنقل مثل هذه الصور الحية للأحداث، فجاء في تضاعيف نقولاتهم أحداث نحن في أمس الحاجة إليها، لقراءة النصوص التاريخية قراءة تأويلية.

وكثيراً ما كان الجليس يؤدي دوراً سياسياً يتضح في كتب الأدب أكثر منه في كتب التاريخ، ويشكّل هذا اللقاء الأدبي ـ السياسي ، تأريخاً مهماً لما أهمل تدوينه التاريخ نفسه. يروي ابن دأب مجلسه مع عيسى بن موسى[٢]، عند منصرفه من فخ[٣]، فوجده واجماً يلتمس عذراً لمن قَتَل، فقال له ابن دأب: أصلح الله الأمير، أنشدك شعراً كتب به يزيد بن معاوية يعتذر فيه إلى أهل المدينة من قتل الحسين بن علي؟ فقال أنشدني، فأنشده:

يا أيّها الرّاكبُ الغـادي لِطَيَّتِـهِ ... على عُذافرةٍ في سيرها قَحَمُ

أبْلغ قُرَيشاً على شَحْطِ المزار بها ... بيني وبين حُسين الله والرّحمُ

وموقفٌ بفنـاءِ البيتِ أنْشُـدُهُ ... عَهْدَ الإله وما تُرْعى به الذممُ

---

(١) التنوخي: النشوار ٥/ ١٨٣

(٢) عيسى بن موسى(ت١٦٧هـ) كان ولي العهد من بعد المهدي(ت١٦٩هـ) فخلع تحت ضغوط من المهدي ليولي ابنيه الهادي والرشيد الخلافة من بعده (ابن كثير: البداية والنهاية ٧/١١٤،٨٣، ١٣٤)

(٣) فخ: وقعة حدثت بين الأمويين والعلويين.

عَنَفْتُمُ قومكم فخـــراً بأمِّكـــــمِ   أمّ حَصَانٌ لَعمري برّةٌ كـــرمُ

قال: فسرّي عن عيسى بعض ما كان فيه[1]. وهذا الجليس أدّى وظيفة سياسية، فـــي أن يروي لولي عهد الخليفة، وقائع مشابهة لأحداث جرت في الماضي، لعلّه يجد الحل فيها.

وقد أدّى التوحيدي مثل هذا الدور السياسي في مجالسه مع الوزير ابن العـــارض، بقوله : قيل: تجارب المتقدمين، مرايا المتأخرين، كما يُبْصَرُ فيها ما كان، يُتَبَصّر بهـــا بمـــا سيكون، والشاعر يقول:

والدّهرُ آخرُه شِبْهٌ بأوّلِهِ   ناسٌ كناسٍ وأيّامٌ كأيّام

وليس من حادثة ماضية إلا وهي تعرّفك الخطأ والصواب منها لتكون على أُهبـــة فـــي أخذك وتركك، وإقدامك ونكولك، وقبضك وبسطك[2]. ثمَّ يسرد له خبر فتنة بني بويه[3]، وقـــد تمكن التوحيدي من بيان الوظيفة السياسية المهمة التي يؤديها الجليس، مستـــشرفاً الحاضـــر بالماضي، بسرده أخباراً تاريخية حرّة.

هذه بعض النماذج التي تبيّن لنا مدى أهمية المجالس الأدبية، باستشرافها ما لم يُذع في المدوّنات التاريخية، واستعمالها مطيّة مجازية تسخّر لابلاغ الاتّجاه الفكري بطريقة هادئـــة لا تجلب سخط الأطراف السياسية[4].

---

(١) الحموي: معجم الأدباء ٥/٢١٤٧ــ٢١٤٨

(٢) التوحيدي: الإمتاع ، ص٤٧٥

(٣) نفسه ص ٤٧٥ــ٤٨٣

(٤) عياد: مضارب التأويل ، ص٣٨

الخاتمة :

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

- معرفة الأصول(الاصطلاحية، والبنائية، والأدبية) تساعد على الفهم التأويلي، وتكشف عن الأبعاد السياسية والفكرية والتاريخية للثقافة في عصورها المختلفة.
- بيان مدى علاقة التأصيل البنائي للمجالس الأدبية بالتأويل، واعتبار عرض الجانب البنائي للمجالس عند الخلفاء جزء من البنية الفكرية السياسية التي تعكس صورة العصر .
- وجدنا مجموعة من العلاقات المتشابكة التي تربط الأدب والفكر والتاريخ بالسياسة، وقد سُيِّس الفكر بعامة، وخضع الأدب والفكر والتاريخ جميعاً لهيمنة السياسة .
- كانت المجالس الأدبية نقطة فاصلة في التقاء المرحلة الشفاهية بالمرحلة الكتابية في عصر التدوين.
- وتوصلنا الى ادراك مدى التلاقح الفكري بين الفرق الاسلامية، وتسخيرها الأدب مَطيّة لنشر أفكارها من خلال المجالس، وهذا يقدّم لنا نتيجة مهمة، وهي مدى انغراس الأدب في صميم السياسة والفكر والتاريخ وقدرته على التغيير في اتجاه البناء.
- من خلال تتبع كتب التراجم، تبيّنا الدور المهم الذي لعبته المجالس الأدبية، والتي تلقى منها العلماء مصادر علومهم، فكان في الترجمة الواحدة: أديباً، وإخبارياً،، ونسّابة، ومن ثم " كان جليساً للخلفاء"، وهذه الثلاثية التي تربط الأدب بالتاريخ، بله وتجعله في صميمها، تجعلنا ندرس الأدب في ضوء مصادر تاريخية.
- كان يهم الخلفاء استقطاب الجلساء أصحاب المعارف المتنوعة، والعناية بهم، لأهداف سياسية بلا ريب، إذ ان الخليفة سيسخّر هؤلاء الأدباء والعلماء، للتدوين وفق أهوائهم ـ

كما مر معنا ـــ ، وهذا ما يجعلنا أن نحتم بأهمية اعادة قراءة النصوص قــراءة تأويليـــة نستنبط من خلالها الحقائق المغيّبة في ظل السلطة السياسية.

- تفسّر لنا المجالس الأدبية الطبيعة الموسوعية للكثير من المؤلفــات الأدبيـــة، كالأغــاني، والعقد، ، إذ أن مؤلفيها كانوا جلساء وندماء للخلفاء.
- بيّنت هذه الدراسة مدى هيمنة السياسة على الأدب خاصة، والفكر عامة، حتى ظهر مــا يُعرف بشعراء السلاطين، وأدباء السلاطين، ومؤرخي السلاطين، وقــد بقيــت الــسلطة السياسية بحاجة الأدباء والشعراء لمدحهم وتأييدهم، حتى بقاء السيطرة العربية على الدولة الاسلامية، وفي عصور انحلال الدولة وهيمنة الأعاجم عليها، لم تعــد بحاجــة لهــؤلاء الشعراء والأدباء، فقد فقدت شرعيتها السياسية أصلاً، وأصبح أمرها بيد غيرها، وهذا ما يفسر لنا انقطاع المجالس الأدبية في قصور الخلفاء في العصور الأخيرة للدولة العباسية.
- كانت المجالس الأدبية وأهل اللغة والأدب هم المنجم الحقيقي الذي ينهــل منـــه العلمـــاء علومهم.

وتخدم مثل هذه النتيجة الباحثين في التاريخ والاتجاهات الفكرية لتوسيع قاعدة المصادر بالبحث من خلال مصادر قد تقدم لنا جديداً في مايتعلق بالفكر السياسي في العالم الاسلامي .

التوصيات:

- ❖ الدعوة إلى دراسة المجالس الأدبية من خلال كتب التـراجم، وبيـان مـدى العلاقات المتشابكة للعلماء التي تنبئ عن كثير من القضايا المهمة في التراث العربي.
- ❖ الدعوة إلى المزيد من الدراسات التأويلية للأدب خاصـة، والتـراث عامـة، للكشف عن الكثير من الحقائق التاريخية من خلال النصوص الأدبية.
- ❖ دراسة فرع من فروع المجالس المجازية، وهو فن " المسايرات" ، وخاصـة عند الخلفاء، والمصطلح المرادف للمسايرة هو " المزاملة".

المصادر:

-القرآن الكريم.

-ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القُضاعي (٦٥٨هـ). **الحلّة السّيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، ط١ (القاهرة: الشركة العربية للنشر، ١٩٦٣م).

-الأبشيهي، شهاب الدّين محمد بن أحمد(ت ٨٥٠ هـ). **المستطرف في كل فن مستظرف**، تحقيق: المكتب العالمي للبحوث، (بيروت: دار مكتبة الحياة ، د.ت).

-ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ). **الكامل في التاريخ**، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٦م).

- أردشير.**عهد أردشير**، تحقيق: إحسان عبّاس (بيروت: دار صادر، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).

-**إخوان الصفا وخلاّن الوفا**، إعداد وتحقيق: عارف تامر، ط١، (بيروت - باريس: منشورات عويدات، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

-الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ). **أدب الغرباء**، تحقيق صلاح الدين المنجد، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٢م).

______ **الأغاني**، مراجعة: عبدالله العلايلي وآخرين، ط٢، (بيروت: دار الثقافة، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م).

-الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢ هـ). **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبُلغاء**، تحقيق: عمر الطبّاع، الطبعة الأولى (بيروت: دار الأرقم ابن أبي الأرقم، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).

-البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ). **صحيح البخاري**، (مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م).

-البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩هـ). **الفَرق بين الفِرَق**، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

-ابن بكّار، أبو عبد الله الزبير بن بكّار (ت ٢٥٦هـ). **الأخبار الموفّقيّات**، تحقيق: سامي مكي العاني – تقديم: صالح العلي، ط١ (إيران: منشورات الشريف الرضي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

- ابن بكّار، العباس بن بكّار الضبي(ت٢٢٢هـ). **أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان**، تحقيق: سكينة الشهابي، ط١(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م).

-البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ). **أنساب الأشراف**، تحقيق: عبد العزيز الدوري (بيروت: المطبعة الكاثولوكية – دار النشر: فرانس شتاينر بفيسبادن، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨).

-البلخي، أبو القاسم (ت ٣٨٩هـ). عبد الجبار، القاضي (ت ٤١٥هـ)، الجشمي، الحاكم (ت ٤٩٤هـ). **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**، تحقيق: فؤاد سيّد، ط٢(تونس: الدار التونسية للنشر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

-بيديا. **كليلة ودمنة**، ترجمة عبد الله بن المقفع، تحقيق: عبد الرحمن الصفتي (القاهرة: مطبعة بولاق، ١٨٣٥م).

-البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٠هـ). **المحاسن والمساوئ**، تحقيق: محمد سويد، ط١ (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

-ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي(ت٨٧٤هـ). **النجوم الزاهرة في أعيان مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١(بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

-التنوخي، القاضي أبو علي المحسّن بن علي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م). **المستجاد من فعلات الأجواد**، تحقيق: محمد كرد علي (بيروت: دار صادر، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

ـــــــ **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تحقيق عبود الشالجي (بيروت: دار صادر، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

-التوحيدي، أبو حيّان علي بن محمد بن العبّاس (ت٤٠٠ هـ تقريباً). **مثالب الوزيرين – أخلاق الصاحب بن عبّاد وابن العميد** – تحقيق إبراهيم الكيلاني، الطبعة الثانية (دمشق: دار الفكر، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

ـــــــ **البصائر والذخائر**، تحقيق: وداد القاضي ج١ + ج٢، الطبعة الأولى، (بيروت: دار صادر، ١٩٨٤م).

ـــــــ **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م).

-التيفاشي، شرف الدّين أحمد بن يوسف (ت ٦٥١هـ). **سرور النّفس بمدارك الحواس الخمس**، تحقيق: إحسان عبّاس، الطبعة الأولى (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

-الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ). **يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر**، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

ـــــــ **من غاب عنه المطرب**، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، ط١(مصر: مطبعة المدني، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م).

-ثعلب، أبو العبّاس أحمد بن يحيى (ت ٢٩١هـ). **مجالس ثعلب**، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة (مصر: دار المعارف، ١٩٥٠م).

-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ). **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الجيل، دار الفكر، د. ت) ج١+ج٢، ط٢ (مصر: مكتبة الخانجي، بغداد، مكتبة المثنى، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) ج٣+٤ .

ـــــــ **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣ (بيروت: المجمع العلمي العربي الإسلامي، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م).

ـــــــ **التاج في أخلاق الملوك**، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط١(القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م).

ـــــــ **المحاسن والأضداد**، تحقيق: علي بو ملحم (بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٩١م).

ـــــــ رسالة **القيان**، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون(القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

-ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت ٦١٤هـ). **رحلة ابن جبير أو اعتبار النّاسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى: (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م).

-الجمحي، محمد بن سلام (ت ٢٣١هـ). **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني، د. ت).

-الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ). **الوزراء والكتّاب**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، ط١ (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م).

-الحاتمي، أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي الكاتب (ت ٣٨٨هـ). **الرّسالة الموضحة – في ذكر سرقات أبي الطيّب المتنبي وساقط شعره** – تحقيق: محمد يوسف نجم، (بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م).

-ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ). **المحبّر**، تحقيق: إيلزة لختن شتيتر، (بيروت: دار الآفاق، ١٣٦١هـ / ١٩٤١م).

-الحريري، أبو محمد القاسم بن علي البصري (ت ٥١٦هـ). **مقامات الحريري**، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٨م).

-الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني(ت ٤٥٣هـ). **زهر الآداب**، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط٤ (بيروت: دار الجيل، د. ت).

-الحموي، ياقوت بن عبد الله الرّومي الحموي البغدادي(ت٦٢٦هـ). **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عبّاس، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م).

ـــــــ **معجم البلدان** (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

-الحميري، أبو سعيد نشوان الحميري (ت ٥٧٣هـ). **الحور العين**، تحقيق: كمال مصطفى، (مصر: مطبعة السعادة، ١٩٤٨م).

-ابن حيّون، القاضي النعمان بن محمد بن منصور (ت ٣٦٣هـ). **رسالة افتتاح الدّعوة**، تحقيق: وداد قاضي، ط١ (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٠م).

ـــــــــ **المجالس والمسايرات**، تحقيق: الحبيب الفقي، إبراهيم شبّوح، محمد اليعلاوي، ط٢(بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م).

-ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله الإشبيلي (ت ٥٢٩هـ). **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، تحقيق: حسين يوسف خريوش، ط١ (الأردن: مكتبة المنار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

-الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ). **تاريخ بغداد أو مدينة السّلام**، تحقيق: مصطفى قادر القط، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

ـــــــــ **الجامع لأخلاق الرّاوي وآداب السّامع**، تحقيق: محمود الطحّان، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

-ابن خلدون، عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين (ت ٨٠٨هـ). **المقدمة**، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).

-ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم(ت٦٨١هـ). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد(مصر: مكتبة النهضة المصرية،١٩٤٨م).

-الخيّاط، أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان (ت٣٠٠هـ). **الانتصار والرد على ابن الرّواندي الملحد**، تقديم ومراجعة: محمد حجازي، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د. ت).

-الدينوري، أحمد بن داود أبو حنيفة (ت ٢٨٢هـ). **الأخبار الطوال**، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط١ (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م).

-الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان (ت ٣٣٣هـ). **المجالسة وجواهر العلم**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، ط١(بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).

- **ديوان امرئ القيس**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٤(القاهرة: دار المعارف، د.ت).

- **ديوان أبي تمَّام، بشرح الخطيب التبريزي**. تحقيق: محمد عزام، ط٤(مصر: دار المعارف، ١٩٧٦م).

- **ديوان حاتم الطائي** (بيروت: دار صادر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

- **ديوان زهير بن أبي سلمى**، تحقيق: حجر عاصي، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٤م).

- **ديوان صريع الغواني، مسلم بن الوليد الأنصاري**. تحقيق: سامي الدّهان، ط٢(مصر: دار المعارف، ١٩٧٠م).

- **ديوان عليّة بنت المهدي**، تحقيق:سعدي ضنّاوي، ط١(بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م).

_ **ديوان لبيد بن أبي ربيعة** (بيروت: دار صادر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

- **ديوان مجنون ليلى**، تحقيق: يوسف فرحات، ط١(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ/١٩٩٢م).

_ **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق: شكري فيصل، ط١(بيروت: دار الفكر، ١٩٦٨م).

- **ديوان أبي نواس**، تحقيق: أحمد الغزالي(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٥٣م).

-الرقيق النديم، أبو إسحاق إبراهيم (ت ٤١٧ هـ). **قطب السرور في أوصاف الخمور**، تحقيق: أحمد الجندي، (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٦٩م).

-ابن الزبير، القاضي الرشيد أحمد بن الزبير(ت٥٦٣هـ). **المقامة الحُصَيْبية في المفاضلة بين الفنون وأربابها وشرحها**، تحقيق: ابتسام مرهون الصفار وبدري محمد فهد، ط١(بريطانيا: سلسلة اصدارات مجلة الحكمة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

-الزجّاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٤٠هـ). **مجالس العلماء**، تحقيق: عبد السلام هارون، (الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، ١٩٦٢م).

-الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن محمد (ت ٣٨ هـ). **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، تحقيق: عبد الأمير مهنّا، ط١ (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

- ابن السّاعي، علي بن أنجب بن عثمان تاج الدين ابن السّاعي(ت٦٧٤هـ). **نساء الخلفاء، المسمّى: جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء**، تحقيق: مصطفى جواد(القاهرة: دار المعارف، د. ت).

- السراج، أبو محمد بن جعفر القارئ. **مصارع العشاق** (بيروت،: دار صادر، ١٩٨٥م).

-السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (ت ٩١١هـ)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح: محمد أحمد جاد المولى، وآخرون، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

———— **نزهة الجلساء في أشعار النساء**، تحقيق: صلاح الدين المنجد (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٨م).

-الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ). **الدّيارات**، تحقيق: كوركيس عوّاد، ط٢ (بغداد: مطبعة المعارف، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م).

-أبو شامة، شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ). **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: محمد أحمد، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٦م).

-الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسّام (ت ٥٤٢هـ). **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عبّاس (بيروت: دار الثقافة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

- الشيرازي، هبة الله المؤيد (٤٧٠هـ). **المجالس المؤيدية (المائة الثالثة)**، تحقيق: مصطفى غالب، ط١ (دار الأندلس، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م).

- الصابئ، غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال (ت ٤٨٠هـ). **الهفوات النّادرة**، تحقيق: القدس للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

- الصّولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ). **أخبار الراضي بالله والمتقي لله**، عني بنشره ج. هيورث، د ن، الطبعة الثانية (بيروت: دار المسيرة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

ـــــــ**أخبار الشعراء المحدثين**، ط٢(بيروت: دار المسيرة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

-الطبري، أبو جعفر محمد جرير (ت ٣١٠هـ). **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: روائع التراث العربي، د. ت).

ـــــــ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: صدقي جميل العطار، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

-الطبري، أحمد بن موسى (ت ٣٤٠هـ). **مجالس الطبري**، تحقيق: عبد الله بن حمود العربي، ط١ (عمّان – الأردن: مؤسسة الإمام زيد بن علي، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

-ابن الطقطقي، أبو جعفر محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ). **الفخري في الآداب السلطانية**، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، ط١ (دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).

-الطّوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ). **أمالي الطّوسي**، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، (بغداد: المكتبة الأهلية، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).

-ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الخراساني (ت ٢٨٠هـ). **بغداد**، تحقيق: محمد ابن حسن الكوثري، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٤٩م).

ـــــــــ **المنثور والمنظوم**، تحقيق: محسن غياض(بيروت: دار تراث عويدات، ١٩٧٧م).

ـــــــــ **بلاغات النساء**،(بيروت: دار النهضة الحديثة، ١٩٧٢م).

-ابن ظافر، جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي (ت ٦١٣هـ). **بدائع البداية**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م).

- العبدري، أبو الحسين محمد بن عمران. **كتاب العفو والاعتذار**، تحقيق: عبد القدوس صالح، ط٢ (عمّان – الأردن: دار البشير، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).

-ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٧هـ). **العقد "الفريد"**، تحقيق: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الإبياري، (بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

- أبو عبيدة، معمّر بن المثنى التميمي (ت ٢٠٩هـ). **نقائض جرير والفرزدق**، تحقيق: خليل عمران المنصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

-علي، محمد كرد علي. **رسائل البلغاء**، ط٣(القاهرة: لجنة التأليف، ١٩٤٦م).

- ابن أبي عون، محمد بن أبي عون(ت٣٢٢هـ). **الأجوبة المسكتة**، تحقيق: مي يوسف (القاهرة: عين للدراسات، ١٩٩٦م).

-الغزّولي، علاء الدين بن عبد الله البهائي (ت ٨١٥هـ). **مطالع البدور في منازل السرّور**، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٩هـ / ٢٠٠٠م).

-القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ). **الأمالي في لغة العرب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

-ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ). **الاختلاف في اللفظ والرّد على الجهمية والمشبّهة**، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، (القاهرة: مكتبة القادسي، ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م).

ـــــــ **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م).

ـــــــ **عيون الأخبار** (بيروت: دار الكتاب، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م).

-القمي، ابن بابويه أبو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ). **أمالي الصدوق**، تقديم: محمد مهدي حسن الموسوي، (النجف: المطبعة الحيدرية، ١٩٧٠م).

-ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت: ٧٧٤هـ). **البداية والنهاية**، تحقيق: يوسف السباعي، ط٣ (بيروت: دار الفكر، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).

-كشاجم، أبو الفتح محمود بن الحسين (ت ٣٦٠هـ). **أدب النديم**، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، ط١ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

- مجهول. **ألف ليلة وليلة**، (عمان: دار أسامة، ٢٠٠٣م).

-مجهول. **التحفة البهية والطرفة الشهية**، (قسطنطينية: مطبعة الجوائب، ١٨٨٤م).

-المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي (ت ٦٤٧هـ). **المعجب في تلخيص أخبار العرب**، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العلمي، (القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٨٩م).

-المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦هـ). **أمالي المرتضى " غرر الفوائد ودرر القلائد"**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م).

-المرزباني، محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ). **الموشّح**، تحقيق: علي محمد البجاوي (مصر: دار النهضة، ١٩٦٥م).

ـــــــ **معجم الشعراء**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م).

-المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، (ت ٤٢١هـ). **أمالي المرزوقي**، تحقيق: يحيى الجبوري، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥م).

-المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: شارل بلا (بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٧٠م)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد (بيروت: المكتبة العصرية، د. ت).

-المقدسي، محمد بن أحمد (ت ٣٨٠هـ). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق: شاكر لعيبي، ط١ (أبو ظبي: دار السويدي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ٢٠٠٣م).

-المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ). **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر شاعرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق: إحسان عبّاس (بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م).

-المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ). **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ط٢ (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٦م).

-المعافي بن زكريا، أبو الفرج معافي بن زكريا النهرواني الجريري (ت ٣٩٠هـ). **الجليس الصالح الكافي والأنيس النّاصح الشافي**، تحقيق: محمد مرسي الخولي، ط١ (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨١م).

-ابن المعتز، عبد الله بن محمد (ت ٢٩٦هـ). **طبقات الشعراء**، تحقيق: عبد الستار عبد الفرّاج (مصر: دار المعارف، د. ت).

-المعرّي، أحمد بن عبد الله (ت ٤٤٩هـ). **رسالة الغفران**، تحقيق: عائشة عبد الرحمن" بنت الشاطئ"، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م).

-ابن منبه، وهب بن منبه (ت ١١٤هـ). **كتاب التيجان في ملوك حمير – ويليه أخبار عبيد ابن شريّة الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها**، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ط٢ (صنعاء: مركز الدراسات والأبحاث، ١٩٧٩م).

-ابن منظور، محمد بن المكرم بن علي بن أحمد جمال الدين(ت٧١١هـ). **نوادر أخبار أبي نواس**، تحقيق: يوسف البقاعي(بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٣م).

-المنقري، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ). **وقعة صفّين**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١ (القاهرة: د. ن، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م).

-النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت ٣٨٠هـ). **الفهرست**، تحقيق: يوسف علي طويل، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

-النّويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ). **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: محمد قميحة وآخرون، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م).

-هارون، عبد السلام. **نوادر المخطوطات**، ط٢ (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م).

-ابن هذيل، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الأندلسي (ت ق ٨هـ بعد ٧٦٣هـ). **عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

- الهمذاني، بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين (ت ٣٩٨هـ). **مقامات بديع الزمان الهمذاني**، شرح: محمود الرافعي، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٢١م).

-الوشاء، أبو الطيّب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى (ت ٣٢٥هـ). **الفاضل في صفة الأدب الكامل**، تحقيق: يحيى الجبوري، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ / ١٩٩١م).

______ **الموشّى أو الظرف والظرفاء**، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٥م).

-الوهراني، ركن الدين محمد بن محمد (ت ٥٧٥هـ). **منامات الوهراني**، تحقيق: إبراهيم شعلان ومحمد نغش، (ألمانيا: منشورات الجمل، ١٩٩٨م).

المراجع:

-الأطرقجي، واجدة مجيد عبد الله. **المرأة في أدب العصر العباسي**(بغداد: المكتبة الوطنية، ١٩٨١م).

-الأفغاني، سعيد. **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، (دمشق: المطبعة الهاشمية، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م).

-أمين، أحمد. **ضحى الإسلام**، ط٨ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤م).

- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. **السيدة سكينة بنت الحسين**(لبنان: دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م).

-جار الله، زهدي. **المعتزلة** (بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٧٤م).

-الجندي، علي، وآخرون. **أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام**، ط١ (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٩م).

-الحاجري، محمد طه.**مرحلة التشيّع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية**، ط١ (بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

-الحسناوي، رحيم جبر أحمد. **المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية**، ط١ (عمان: دار أسامة، ١٩٩٩م).

-حسين، طه. **حديث الأربعاء**، ط٢ (مصر: دار المعارف، د. ت).

-خريوش، حسين. **أدب الفكاهة الأندلسي**، (مطبوعات جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٨٢م).

-ـــــــــــ رسالة **التّوابع والزوابع" دراسة في الرؤية الأدبية وفلسفة الإبداع"**، (د. م: د.ن، د.ت).

- خلف، مي يوسف. **الشعر النسائي في أدبنا القديم** (القاهرة: مكتبة غريب، د.ت).

-الدوري، عبد العزيز. **بحث في نشأة علم التاريخ**، (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٣م).

-روزنتال، فرانز. **علم التاريخ عند المسلمين**، ترجمة: محمد توفيق حسين، (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٣م).

-الرويلي، ميجان. البازعي، سعد. **دليل الناقد الأدبي**، ط٢ (بيروت: الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، د.ت).

-الريّس، محمد ضياء الدين. **النّظريات السياسية الإسلامية**، ط٥ (مصر: دار المعارف، ١٩٦٩م).

-أبو زهرة، محمد. **تاريخ المذاهب الإسلامية**، (لندن – قبرص : دار الحديث، ١٩٨٧م).

-أبو زيد، نصر حامد. **الاتجاه العقلي في التفسير "دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة"**، ط٥ (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣م).

-ــــــ **إشكاليات القراءة وآليات التأويل**، ط٢ (بيروت: الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م).

-زيدان، جرجي. **تاريخ آداب اللغة العربية**، (مصر: دار الهلال، ١٩٨٥م).

-ــــــ **تاريخ التمدن الإسلامي**، (بيروت: دار الحياة، ١٩٦٧م).

-سرحان، جمال. **المسامرة والمنادمة عند العرب حتى القرن الرابع الهجري**، ط١ (بيروت: دار الوحدة، ١٩٨١م).

-السيّد، رضوان. **الأمّة والجماعة والسّلطة**، ط١ (بيروت: دار اقرأ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

-شاكر، محمود محمد. **المتنبي**، (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٧٦م).

-شاهين، عبد الصبور. **العربية لغة العلوم والتقنية**، ط١ (السعودية: دار الإصلاح، ١٩٨٣م).

-الشايب، أحمد. **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، ط٣، (مصر: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٨م).

ــــــ تاريخ الشعر السياسي (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢م).

-الشّكعة، مصطفى. **مناهج التأليف عند العلماء العرب**، ط٧ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م).

-شلبي، أحمد. **تاريخ التربية الإسلامية**، ط٧ (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٨٠م).

-صالح، محمود عبد الرحمن. **فنون النثر في الأدب العباسي**، (عمّان: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٤م).

-الصديق، حسين. **المناظرة في الأدب العربي الإسلامي**، ط١ (بيروت: مكتبة لبنان، ٢٠٠٠م).

-الصفّار، ابتسام مرهون. **آفاق الأدب في العصر الأموي**، ط١ (الأردن: دار حنين، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م).

-ضيف، شوقي. **العصر الإسلامي**، ط٧ (مصر: دار المعارف، د. ت).

ــــــ **العصر الجاهلي**، ط٨ (مصر: دار المعارف، د. ت).

ــــــ **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، ط٣ (مصر: دار المعارف، ١٩٦٥م).

-طبانة، بدوي. **البيان العربي**، (بيروت: دار الثقافة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

-عابدين، سامي. **في الأدب العباسي "قصر المأمون وأثره على العصر"**، ط١(بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

-عبّاس، إحسان. **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ط١ (عمان: دار الشروق، ٢٠٠١م).

-عبد الجابر، سعود محمود. **الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني**، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١).

-العشيري، محمد رياض. **التصور اللغوي عند الإسماعيلية – دراسة في كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي (ت ٣٢٢هـ)**، (الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٥م).

-عصفور، جابر. **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط٣ (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م).

-عطوان، حسين. **الرّواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي**، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦م).

ـــــــ **الرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي**، ط١(بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)

-العمرجي، أحمد شوقي إبراهيم. **المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية**، ط١ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠م).

-عوض، يوسف. **فن المقامات بين المشرق والمغرب**، ط٢ (مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

-عيّاد، محمد. **مضارب التأويل**، تقديم: محمد الخبو، (صفاقس: التسفير الفني، ٢٠٠٣م).

-فرّاج، عبد الستار. **نديم الخلفاء**، (مصر: دار المعارف، ١٩٥٢م).

-قصّاب، وليد. **التراث النقدي والبلاغي عند المعتزلة**، (قطر – الدوحة: دار الثقافة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

-كراتشكوفسكي، أغناطيوس. **تاريخ الأدب الجغرافي**، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣م).

-الكعبي، ضياء. **السّرد العربي القديم – الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل** – ط١ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م).

-كيلاني، محمد سيد. **أثر التشيّع في الأدب العربي**، ط٢ (القاهرة: دار العرب، ١٩٩٦م).

-مبارك، زكي. **النّثر الفني في القرن الرّابع** (بيروت: المكتبة العصرية، د. ت).

-متز، آدم، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٤ (القاهرة: مكتبة الخانجي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).

-مصطفى، شاكر. **التاريخ العربي والمؤرخون**، ط٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م).

-المنجد، صلاح الدين. **بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي**، ط٢ (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٤م).

-مويفن، المصطفى. **بنية المتخيّل في نص ألف ليلة وليلة**، ط١ (سوريا: دار الحوار، ٢٠٠٥م).

-نصّار، حسين. **المعجم العربي نشأته وتطوّره**، ط٤ (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

ــــــ **نشأة التدوين التاريخي عند العرب**، ط٢ (بيروت: منشورات اقرأ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

-النص، إحسان. **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي**، ط٢ (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣م).

- هاشم، علي محمد. **الأندية الأدبية في العصر العبّاسي**، ط١(بيروت: دار الآفاق، ١٩٨٢).

-هدّارة، محمد مصطفى. **مشكلة السرقات في النقد العربي**، ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

-يقطين، سعيد. **الكلام والخبر – مقدمة للسرد العربي** – ط١ (بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧م).

البحوث في المجلات والدوريات

-بلبع، محمد توفيق، " **المسجد والقصص والمذكرون** "، (مجلة عالم الفكر، مج١٢، ع٤، ١٩٨٢م).

-بهي، عصام، **الكلام على الكلام**، (مجلة فصول، مج١٤، ع٣، ١٩٩٥م).

-تضغوت، محمد، " **النّصوص والتأويل التـاريخي** "، (مجلـة العـصور الجديـدة، ع١١، ٢٠٠٠م).

-جراد، خلف محمد، " **التفاعل الثقافي والحضاري في العصر العباسـي** "، مجلـة التـراث العربي – دمشق – عدد ٨٠ .

-دويدار، حسين، " **ملامح الرؤية التاريخية عند الجاحظ** " (مجلة كلية الدراسات الإسـلامية والعربية، ع٤، ١٩٩٢م).

-الربّاعي، عبد القادر، " **التأويل: دراسة في آفاق المصطلح** " (مجلة عالم الفكـر، مـج٣١، ع٢، ٢٠٠٢م).

-زامل، صالح، " **البحث عن تأصيل للمختلف فـي اللغـة والأدب** "، (مجلـة النبـأ، ع٧٦، ٢٠٠٥م).

-سعيد يقطين، " **المجلس، الكلام، الخطاب – مدخل إلى ليالي التوحيدي** "، (مجلـة فـصول، مجلد١٤، عدد٤، ١٩٩٦م).

-شعيب حليفي، " **تحويل المتعة من البناء الشفوي إلى النسق المكتوب** "، (مجلـة فـصول، مجلد ١٤، عدد٤، ١٩٩٦م).

– الشوربجي، أمينة." **سيّدات القصر في مطلع العصر العباسي**"(مجلة التـاريخ والمـستقبل، ٢٠٠٢م)

-الشيخ، عبد الرحمن عبد الله، " **كتب الأمالي والمجالس والمحاضرات** "، (مجلة عالم الكتب، مج٥، ع٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

ـــــــــ"**كتب الأخبار مرحلة من مراحل الكتابة التاريخية عند المـسلمين**" ، (مجلـة عـالم الكتب، مج٨، ع١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

-ظاهر، محمد حسن محمد "اشكالية المعرفة والسُّلطة- بحث في الفكر السياسي الاسلامي -"(مجلة الاجتهاد، ع٢٣، ١٩٩٤م)

-العمد، هاني " **التوحيدي مترجماً للرجال** " من خلال كتاب الإمتاع والمؤانسة، (مجلة فصول، ج٣، ١٩٩٦م).

-الغزالي، عبد الله " **السّرد في المثاقفة العربية** "، (مجلة أبحاث اليرموك، مج٢٣، ع٢، ٢٠٠٥م).

-كمال أبو ديب، **المجلسيات والمقامات والأدب العجائبي**، (مجلة فصول، مجلد١٤، ع٤، ١٩٩٦م).

-وات، مونتغمري، " **بدايات المدارس الكلامية في الإسلام** "، (مجلة الاجتهاد، السنة٥، ع١٥، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).

-ويس، أحمد محمد، " **الانزياح وتعدد المصطلح** "، (مجلة عالم الفكر، مج٢٥، ع٣، ١٩٩٧م).

-يوسف، مي، " **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي (ت ٣٨٤هـ)**، (مجلة أبحاث اليرموك، مج١٧، ع٢، ١٩٩٩م).

المعاجم:

-أنيس، إبراهيم، وآخرون. **المعجم الوسيط**، ط٢ (بيروت: دار الأمواج، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

-الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد (ت ٣٩٣هـ)، **الصّحاح " تاج اللغة وصِحاح العربية** "، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطّار، ط٣ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

-ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ) **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد

الحميد هنداوي، ط١(لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠هـ).

-ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ). **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١(بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ/ ١٩٩١هـ).

-الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت١٧٠هـ). **العين**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

-الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ). **القاموس المحيط**، تحقيق: يوسف البقاعي(بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

-ابن منظور، محمد بن المكرم بن علي بن أحمد جمال الدين(ت٧١١هـ). **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).

الرسائل الجامعية

ـ حبّاس: سامة محمد سليم، ١٩٩٣م " **الأمالي في اللغة والأدب**"، رسالة دكتوراة، جامعة حلب، سوريا، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

ـ حسن: علي بكر، ١٩٨٤م "**الطبري ومنهجه في التاريخ**" ، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٤٨م.

ـ نعيم: مزيد، ١٩٩٣م " **البلاغة عند المعتزلة**" ، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، الأردن.

وقائع المؤتمرات

ـ السيابي، أحمد بن سعود " **أهمية كتابة التاريخ الاسلامي في التقريب بين المذاهب الاسلامية"** ، مؤتمر التقريب بين المذاهب الاسلامية، الرباط، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ـ أبو صالح، أمان " **الفكر الاسلامي: التوحد في التنزيل والتعدد في التأويل"** ،الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عُمان، الأردن، منشورات جامعة آل البيت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

ـ طه، عبد الواحد ذنون **"دور بلاد الشام في نشأة علم التاريخ في العصر الأموي"** ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية ، الأردن، ١٩٨٧م).

ـ عطية، جورج **"الجدل الديني المسيحي الاسلامي في العصر الأموي وأثره في نشوء علم الكلام"** ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، ١٩٨٧م.

الموسوعات

ـ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرُومي(ت١٠٦٧هـ). **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

ـ **دائرة المعارف الاسلامية** ، ترجمة: أحمد الشنتاوي، وابراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس (بيروت: دار الفكر، د. ت).

ـ الزركلي، خير الدين. **الأعلام**، ط٦(بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م).

ـ طاش كبرى زاده(ت٩٦٨هـ). **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، ط١(بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٨م).